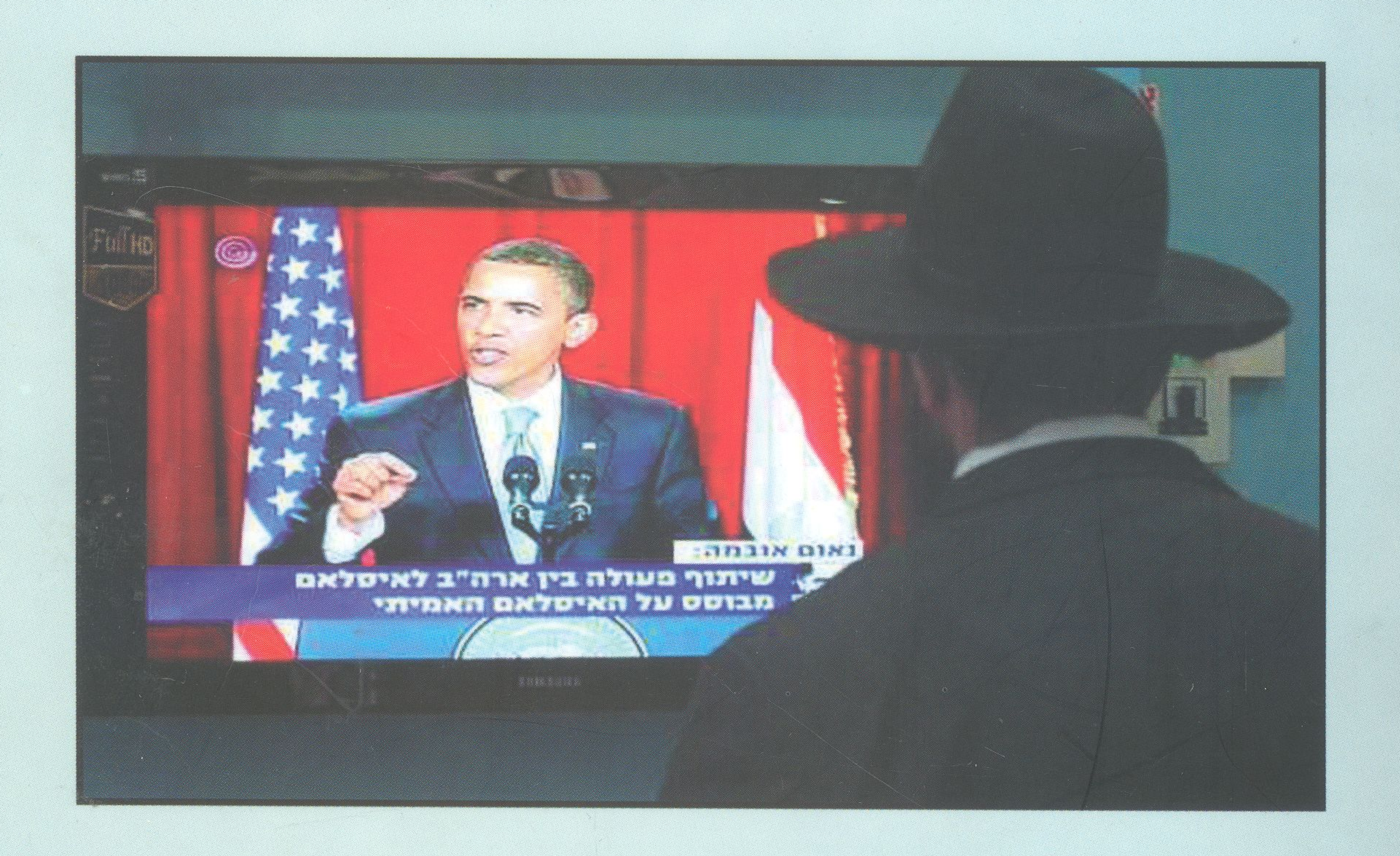
مختارات اسرائيلية



السنة الخامسة عشر. العدد ١٧٥ يوليو ٢٠٠٩ July - 2009



ترجمات عبرية

- خطاب أوباما في القاهرة: العرب أنصتوا، والإسرائيليون سدوا آذانهم
- خطاب أوباما: بداية النهاية للعلاقة الإستراتيجية بين واشنطن وتل أبيب
- أحزاب اليمين: خطاب نتنياهو خيانة لناخبيه
- السيناريو الكامل لخطة الهجوم الإسرائيلي على المنشآت النووية الإيرانية
- مقاطعة المنتجات الإسرائيلية في فرنسا
- "إنكار المحرقة لن يعتبر جريمة..." مشروع قانون جديد في هولندا

مختارات إسرائيلية

مجلة شهرية تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام
العدد ١٧٥ ــ يوليو ٢٠٠٩

مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
ت:٢٥٧٨٦١٠٠/ ٢٥٧٨٦٢٠٠/ ٢٥٧٨٦٣٠٠ فاكس ـ ٥٧٨٦٠٢٣٢

المحتويات

مقدمة

مــــأزق نـــتـــنـــيـــاهـــو

لم يكن الخطاب الذي ألقاه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو يوم الأحد ١٤ يونيو ٢٠٠٩، أكثر من إعادة إنتاج خطابات اليمين الإسرائيلي المتعارف عليها، خطاب سبق وألقاه بيجين وشامير وشارون مرات ومرات، ولكن صاحبه حرص على أن يمهد له باعتباره خطاباً تاريخياً. وبدأت العملية على إثر التأثيرات غير العادية لخطاب الرئيس الأمريكي باراك أوباما في جامعة القاهرة والذي عد بحق خطاباً تاريخياً، وقد استقبله قطاع من الرأي العام الإسرائيلي استقبالاً جيداً، وواجه نتنياهو حرجاً بالغاً في رفض ما ورد على لسان الرئيس أوباما من دعوة لتسوية سياسية على أساس حل الدولتين، وعاصمتان في القدس لدولتين.

وعلى الرغم من أن نتنياهو وفريق مستشاريه شعروا بالغضب من الخطاب، إلا أنهم اتفقوا على الترحيب به، فليس من اللائق ولا من مقتضيات مصلحة إسرائيل التعليق على الخطاب سلبياً.

ومع تواصل الجهود الأمريكية لاستئناف المفاوضات، أعلن نتنياهو أنه سوف يوجه خطاباً يحدد فيه رؤيته من عملية التسوية السياسية.. وعلى مدار عشرة أيام، حفلت وسائل الإعلام الإسرائيلية بأخبار عن الخطاب: نتنياهو وضع مسودة الخطاب، استعان بأكثر من ثلاثين مستشاراً في كتابته، لم يعرض الخطوط العريضة للخطاب على شريكه في الائتلاف الحكومي وزير الدفاع إيهود باراك، نتنياهو يتشاور مع الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريس حول الخطاب.. ثم جاء قرار نتنياهو بأن يوجه الخطاب من مركز «بيجين – السادات» بجامعة بار إيلان في تل أبيب، وأثار ذلك موجة من ردود الفعل وسيل من التحليلات لماذا هذا المكان، هل لأن أوباما وجّه خطابه من جامعة القاهرة..؟ أم لأنه من مركز بيجين – السادات اللذين وقعا أول معاهدة سلام عربية إسرائيلية..؟ أم لأن قاتل رابين «يجئال عامير» كان أحد طلبة هذه الجامعة الدينية..؟.

وبعد عشرة أيام من العمل المتواصل والإثارة المتعمدة من نتنياهو ووسائل الإعلام الإسرائيلية، جاء الخطاب أقل من عادي، فمن الناحية الشكلية جاء من غرفة أقل من عادية لا تقارن بقاعة الاحتفالات الكبرى في جامعة القاهرة، ولم يكن الحضور على مستوى حضور خطاب أوباما لا شكلاً ولا موضوعاً. أما على مستوى محتوى الخطاب، وبعيداً عن الكلمات التي تعكس تشدداً وغلواً، فإن ما عبر عنه نتنياهو يكشف عن شعور متقدم بالحصار الدولي من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، أي أنه خطاب سياسي مأزوم.. وربما كشفت التطورات اللاحقة عن عمق هذه الأزمة، فالزيارة الأخيرة للمبعوث الأمريكي جورج ميتشيل ومفاوضاته، سببت قلقاً شديداً لحكومة نتنياهو، فالحديث في جولة ميتشيل الأخيرة كان تفصيلياً وجرى تناول كل ما ورد في خطاب أوباما ورؤيته بما في ذلك وقف البناء في المستعمرات طوال العام الحالي ورفع الحصار المفروض على قطاع غزة.. والجديد في خطاب نتنياهو سوف يأتي في قادم الأيام على صعيد تركيبة الائتلاف الحكومي، ومن هنا نفهم ترحيب البيت الأبيض بالخطاب، فيبدو أن نتنياهو في حاجة إلى مثل هذه المساندة للانتقال إلى تنفيذ رؤية الرئيس الأمريكي باراك أوباما التي تنتهي بدولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية، أما القيود الواردة حول حق العودة وسلاح الدولة الوليدة وحدودها فهي قضايا محل تفاوض.

وإذا كان بيجين قد أصيب بالاكتئاب بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر والانسحاب من سيناء، فإن نتنياهو أصيب بالاكتئاب مقدماً لأنه يعرف مسبقاً الثمن المطلوب دفعه لتسوية سياسية باتت الإدارة الأمريكية تراها مصلحة قومية أمريكية.

ولكل ذلك يبدو مهماً للغاية عدم إشاعة أجواء اليأس والسماح لأصحاب مدرسة «لا فائدة» بتسييد خطاب تشاؤمي، بل العمل مع الإدارة الأمريكية والاتحاد الأوروبي من أجل دفع الحكومة الإسرائيلية لمواصلة تطوير مواقفها، والتمهيد لإعادة تشكيل الائتلاف الحكومي هناك، فنتنياهو شخصية برجماتية يرغب في البقاء على رأس الحكومة.. والمهم أيضاً مواصلة العمل لإتمام المصالحة الوطنية الفلسطينية.

د. عـمـــاد جـــاد

١

نقطة اللاعودة
الاستخبارات الإسرائيلية فى مواجهة إيران وحزب الله
القسم الخامس: لبنان، صعود حزب الله

بقلم: رونين برجمان - ترجمة وإعداد: محمد إسماعيل

(٤)
قيادة الجنوب على أهبة الاستعداد

الإعداد لكسب التأييد، إعداد المقاتلين، زرع الجواسيس، إثارة الاستفزازات على الحدود، شراء بالجملة للسلاح. خلال السنوات الست منذ انسحاب الجيش الإسرائيلى وضع حزب الله الأساس لنظرية قتالية كاملة وجديدة ضد إسرائيل. أما إسرئيل..؟

فيما يلى استمارة استبيان أمريكية. والمطلوب وضع دائرة على الإجابة الصحيحة:

* بما يُشبه السيد حسن نصر الله المواجهة البطولية، التى دمر خلالها رجال المقاومة الإسلامية موقعين إسرائيليين، العباسية والغجر، تدميراً تاماً..؟

١ - لعبة ريسك

٢ - بلايستيشن

٣- أتارى

* من القائل: "الموقف هو السلاح. والمصافحة بمثابة اعتراف بإسرائيل..؟"

١ - الشيخ راغب حرب

٢ - السيد عباس موسوى

٣ - السيد نصر الله

* أين اغتالت طائرات العدو الصهيونى الشيخ عباس موسوى وزوجته وابنه الرضيع حسين..؟

١ - جيبشيت

٢- وادى التفاح
٣- دير الزهرانى
* أية مزرعة من المزارع المذكورة لا تنتمى إلى مزارع شبعا..؟
١- ريتا العلم
٢- بسطارا
٣- العَزية
* أين نفذ الاستشهادى (مخرب/ انتحارى). الشيخ أسعد برو، عمليته البطولية..؟
١- شعر فاطمة
٢- رب الثلاثين
٣- تل النحاس
* من القائل: "هزمنا حزب الله" (خاصةً) بعد قتل ١٣ جندى صهيونى فى عملية سيحين..؟
١- شمعون بيريس
٢- آريئيل شارون
٣- يتسحاق رابين
* متى نفذت المقاومة الإسلامية الإعدام فى المسئول الكبير العميل عقل هاشم..؟
١- ٣٠ يناير ١٩٩٨
٢- ٣٠ يناير ١٩٩٩
٣- ٣٠ يناير ٢٠٠٠
* فى ١٨ سبتمبر ١٩٨٦ اخترقت المقاومة الإسلامية أحد مواقع العدو، وتلك كانت المرة الأولى التى ترافق فيها كاميرا الإعلام الحربى. ما اسم الموقع..؟
١- موقع الدبسا
٢- موقع سجد
٣- موقع علمان

هذه الأسئلة هى جزء من اختبار على جوائز باسم "مسابقة شباب نصر ٢٠٠٦"، الذى وُزع على الصف الثالث والرابع فى المدارس التى تُدار بدعم من حزب الله عن طريق "مؤسسة مساعدة ودعم المقاومة الإسلامية"، الجهاز الاقتصادى المركزى التابع للمنظمة. وأسفل اسم الاختبار يظهر من يلوح بإحدى يديه بعلم حزب الله من فوق دبابة إسرائيلية ويرفع بيده الأخرى علامة النصر V. وحصل الفائزون على جوائز مختلفة ووُعدوا بأن تُقرأ أسماؤهم فى برنامج تلفزيونى خاص فى قناة المنار. هذا مجرد نموذج واحد من نماذج كثيرة لما فعله حزب الله ليستثمره، ليس فقط فى تعظيم قدرته العسكرية ونشاطه الشامل ضد إسرائيل، بل أيضاً فى مواصلة كسب التعاطف والتأييد فى لبنان.

فى ٢٤ مايو عام ٢٠٠٠ نفذت إسرائيل بمحض إرادتها قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥، وانسحبت من لبنان بموافقة الأمم المتحدة والمجتمع الدولى. من الجانب الآخر امتنعت الإدارة اللبنانية، وبتشجيع سورى، من نشر قوات عسكرية فاعلة فى جنوب لبنان ليفرض صلاحيته فى المنطقة. كما امتنعت الإدارة اللبنانية عن تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ (٢ سبتمبر ٢٠٠٤)، الذى يدعو ضمن بنوده، لبدء فرض سلطة الحكومة اللبنانية على كفة الأراضى اللبنانية وتفكيك الميليشيات المسلحة ومصادرة أسلحتها، وعلى رأسها حزب الله.

وإلى الفراغ الذى نشأ فى منطقة الحدود مع إسرائيل دخل حزب الله، الذى بسط سيطرته على ما كان يُعرف بالمنطقة الأمنية، وأسس لنفسه خط مواقع على طول الحدود وأوجد لنفسه أهدافاً جديدة لمواصلة أعمال الإرهاب من لبنان، أهمها تحرير مزارع شبعا (المنطقة التى تعتبرها الأمم المتحدة جزءاً من هضبة الجولان السورية) وإطلاق سراح لبنانيين حُكم عليهم بالسجن فى إسرائيل.

لكن حزب الله استثمر جهده الرئيسى فى النشاط السياسى الداخلى فى لبنان وبالتالى بناء قوته العسكرية. لقد دعمت إيران على مدى سنوات حزب الله بكل الطرق. ومن وجهة نظر إيران فإن حزب الله هو نموذج مثالى لتصدير الثورة. ويقول مسئول استخبارى إسرائيلى "إنها القيادة الجنوبية لإيران". وبناء على تقرير نشرته جريدة الشرق الأوسط اليومية فى ١١ مايو ٢٠٠٦،

فى مقابلة بين شخصية إيرانية كبيرة مع مجموعة أقل من السياسيين الغربيين فى جلسة سرية فى لبنان أكد المسئول ايرانى أن حزب الله هو "أحد أركان الأمن الاستراتيجى لنا. إنه خط الدفاع الإيرانى الأول ضد إسرائيل. ولن نقبل بأى حال من الأحوال تجريده من السلاح".

فى عام ١٩٩٦، وبناءً على معلومات استخبارية جمعتها إسرائيل، تعاظم بشكل كبير معدل شحنات الأسلحة من إيران إلى حزب الله بهدف تحويل القبضة إلى قوة عسكرية مثيرة، وليس فقط جهاز إرهاب وحرب عصابات. ومع انسحاب إسرائيل فى مايو ٢٠٠٠ أصبحت شحنات الأسلحة من إيران تتدفق كفيضان حقيقى. وكان مما تحتويه هذه الشحنات، منظومة صواريخ أرض أرض طويلة المدى من طراز 'زلزال'، يصل مداها من ١٢٥: ٢١٠ كم، صواريخ أرض أرض طويلة المدى من طراز فجر٣ وفجر٥ يصل مداها إلى أكثر من ٧٥ كم، صواريخ من طراز نازعات يصل مداها من ٨٠: ١٤٠ كم، صواريخ مضادة للصواريخ من إنتاج إيران وهى مُزودة برأس تفجير مزدوجة من طراز 'تاندم' ذات قدرة على اختراق شديدة للمدرعات؛ صاروخ 'رائد'، وهو النسخة الإيرانية من صاروخ 'ستنجر'، يصل مداه إلى ٣٠٠٠ متر وقوة اختراق ٤٠٠ ملليمتر؛ صاروخ 'طوفان' النسخة الإيرانية من صاروخ تاو، يصل مداه حتى ٣,٧٥٠ متر وقوة اختراق ٥٥٠ ملليمتر فولاز؛ صواريخ بر بحر من طراز سى ٨٠٢، من انتاج الصين؛ صاروخ ذو مدى ٦٥ ميل بحرى وتزن رأسه المتفجر ١٦٥ كم، طائرات صغيرة من طراز 'أبابيل'، نتاج تطوير الصناعات الجوية الإيرانية. ومعدات جوية من عدة نماذج، تضم نموذج مراقبة ونموذج آخر يحمل رأس تفجير تزن عشرات الكيلوجرامات. وكذلك طائرات شراعية بمحرك واحد، يمكن أن يتم تركيب محرك كباس صغير عليها يوفر لها قوة الدفع المطلوبة لترتفع وتبقى مستمرة فى الهواء لأكثر من ١٠٠ كيلومتر طيران؛ وصواريخ مضادة للطائرات من طراز SA٧ وSA١٤ من إنتاج روسيا؛ ومعدات رؤية ليلية؛ وتجهيزات ومعدات قتالية لقتال بحرى بسيط.

بصفة عامة فقد نُقلت الأسلحة والمعدات فى طائرات إيرانية إلى أحد مطارات دمشق، ومن هناك براً إلى حزب الله فى لبنان. وقد استغل الإيرانيون بعض المناسبات التى صادفتهم لنقل المساعدات إلى حزب الله. من ذلك على سبيل المثال، ما حدث أثناء رحلات المعونة الإنسانية لضحايا ومنكوبى الزلزال الذى وقع فى مدينة بام، فى الجنوب الشرقى لإيرن (فى ديسمبر ٢٠٠٣ وحتى يناير ٢٠٠٤). فى هذه الأثناء استخدمت قوة القدس طائرات الإغاثة الإيرانية والسورية (على الأقل تسع رحلات)، التى كانت تحمل مساعدات إنسانية لمنكوبى الزلزال، فنقلت عن طريقها، فى طريق العودة إلى سوريا، معدات وأسلحة بكميات كبيرة لصالح حزب الله. واستمر الإيرانيون فى تقديم الأسلحة لحزب الله حتى أثناء حرب لبنان الثانية وبعدها، على خلفية المساعدات الإنسانية.

وقد طلب الإيرانيون من الرئيس حافظ الأسد فتح خط طيران مباشر لتوفير إمدادات السلاح بين طهران وبيروت، لكنه رفض. وبمرور الوقت عمد إلى تقليل شحنات الأسلحة التى كانت تمر عبر سوريا، مقابل مفاوضات سرية كان يُجريها مع إسرائيل وكذلك بسبب بعض التوتر بين النظام السورى وطهران. وحاول الإيرانيون فتح مسارات تتجاوز دمشق. من ذلك على سبيل المثال، أوقفت السلطات التركية ست شاحنات محملة بالأسلحة فى طريقها إلى حزب الله، وفى عام ١٩٩٨ أجبرت رحلتا طيران إيرانيتان على الهبوط فى الأراضى التركية، بعد وصول معلومات من مصدر موثوق حول حمولة الطائرتين. فى نهاية ٢٠٠٠ أبلغت تركيا إيران بأنها ستمنع بصورة تامة أى عمليات تحليق من هذا النوع فوق أراضيها. وفى أعقاب ذلك بدأت إيران فى نقل شحنات الأسلحة فى رحلات جوية تمر من فوق العراق.

بينما تعامل الأسد الأب مع نصر الله، على أكثر تقدير، باعتباره قدراً لا مفر منه، تحول ابنه بشار الأسد إلى جزء من نظرية خيوط العنكبوت الخاصة بنصر الله. كانت نقطة التحول فى صيف عام ٢٠٠١، بعد أن هاجم سلاح الجو الإسرائيلى مرتين أهداف سورية فى لبنان، رداً على عمليات لحزب الله. وابتداءً من هذه الهجمات فصاعداً بدأت سوريا تزود حزب الله بالسلاح والمساعدات بنفسها. بالتنسيق مع إيران أو بدونه. وفى أكتوبر ٢٠٠٣، وبالتحديد بعد مرور ٣٠ عاماً على حرب يوم الغفران، هاجم سلاح الجو الإسرائيلى سوريا ونفذ عدة مرات غارات وهمية، بما فى ذلك كسر حاجز الصوت فوق القصر الرئاسى للأسد. وبعد هذا الهجوم أمر الأسد بتوسيع عمليات شحن الأسلحة إلى حزب الله، وبالنسبة لبعض الأنواع تحولت سوريا إلى المورد الرئيسى للأسلحة الإيرانية. وعلى هذه الخلفية كان رد إسرائيل على مسئولية سوريا عما يحدث فى لبنان، فى الحالتين، شرعياً، وإن جاء نتيجة قلة الحيلة. وفيما بعد لم يكن من المؤكد أن القرار كان صائباً. لقد أدرك الأسد أن جيشه لا يستطيع مواجهة الجيش الإسرائيلى، ولم يحاول على الإطلاق استهداف الطائرات فى ميدان القتال. إلا أن كبريائه المجروح قاده إلى تغيير علاقته بحزب الله وبشكل جوهرى.

فى عام ٢٠٠٢ وصلت معلومات أن السوريين منحوا حزب الله على سبيل الهدية صواريخ ٢٢٠ ملليمتر من انتاجها، بالإضافة إلى أحدث نماذج من صواريخ مضادة للدبابات. يقول أورى حان، الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات التابعة للموساد: "لا

شك أن الرئيس الأسد وافق بشكل شخصي على هذه الشحنات من الصواريخ. بعد ذلك بوقت قصير سمح بشار لرجال نصر الله بتنظيم مظاهرة تأييد لسوريا في مدينة رداحة الشمالية. هل يخطر ببال أحد أن الأسد الأب كان سيسمح بموطأ قدم لحزب الله على الأراضي السورية..؟ فبدلاً من أن يتزلف إليه نصر الله ويُنافقه، فهو الذى يريد أن يحظى بإعجاب نصر الله".

بعد وقت قصير أصدرت وزارة الإعلام السورية كتاباً من وضع عدنان حسين أبو ناصر تحت عنوان فلسطين فى خُطب الإمام الخميني. كان توقيت ومكان صدور الكتاب غريبين للغاية، فهو يكشف عن عامل مشترك أيديولوجى بين سوريا ذات نظام الحكم البعثى الاشتراكى، العلمانى، وبين حليفتها إيران الشيعية الأصولية الراديكالية. وآلت وزارة الإعلام السورية على نفسها الترويج لنظرية الخميني فى كل ما يتصل بكراهية إسرائيل والصهيونية والسعى إلى تدميرهما. بدأ السوريون تزويد حزب الله بالمساعدات اللوجيستية وبمعلومات كثيرة ذات صلة بإسرائيل، هذه المعلومات جمعها السوريون على مدى سنوات طوال، استعداداً لحرب محتملة مع إسرائيل، وبمساعدة معدات متطورة، روسية فى معظمها. لقد كان حزب الله يمثل طرازاً جديداً للمنظمات الإرهابية، فهو متماسك للغاية، يعتمد على قدرات دولة كبيرة وقوية، اسمها إيران. إلا أن انضمام سوريا لدائرة رُعاة المنظمة كان بمثابة إضافة قوة ذات ثقل، ومن أسباب ذلك التقارب الجغرافى بين سوريا ولبنان، وإمكان الاستخبارات السورية تقديم مساعدة فورية لحزب الله. كما حدث بالفعل أثناء حرب لبنان الثانية.

إلى جانب السلاح من إيران ومن سوريا حصل حزب الله والاستخبارات الإيرانية على سلاح ومعدات ووسائل قتالية متقدمة من أنحاء العالم المختلفة. وفى هذا السبيل وجد حزب الله المساعدة المطلوبة من اللبنانيين الشيعة، المقيمين بالخارج فى إبرام الصفقات، وفى شركات وهمية أنشأتها المنظمة. وكان من بين المعدات التى نجح فى الحصول عليها أجهزة كمبيوتر مختلفة، وسائل رؤية ليلية، أجهزة توجيه بالأقمار الصناعية (GPS)، أجهزة كشف الألغام والبرامج المتصلة بمجال الطيران.

خلال سنوات ست على انسحاب الجيش الإسرائيلى بذل الإيرانيون جهداً كبيراً فى تدريب قيادتهم الجنوبية، واستخدموا فى ذلك قواعد الحرس الثورى فى إيران. وانتقلت التدريبات والتوجيهات أيضاً إلى مقاتلى حزب الله فى لبنان. وكان الطرف الإيرانى الذى قاد المساعدات إلى حزب الله هى وحدة مختارة من حرس لثورة تسمى قوة القدس. وقد نقلت إيران إلى حزب الله عبر قوة القدس مبالغ تصل إلى ١٠ مليون دولار فى السنة.

المعسكران الرئيسيان تستخدمهما حتى اليوم قوة القدس فى تدريب العملاء الإرهابيين الأجانب هما معسكر 'الإمام على' فى طهرن ومعسكر هونار الواقع فى مدينة كرج، شمالى طهران. وقد اعترف خلال التحقيقات مقاتلا حزب الله اللذان وقعا فى أسر الجيش الإسرائيلى أثناء حرب لبنان الثانية، أنهما تلقيا تدريبات فى معسكر كرج على يد أعضاء فى الحرس الثورى الإيرانى. وتلقى أعضاء حزب الله فى إيران برنامجاً منوعً من التدريب والإرشاد، بدءاً بالاشتراك فى المناورات المشتركة وصولا إلى التدريب على إطلاق الصواريخ المضادة للدبابات (بما فى ذلك صواريخ من طراز ساجر وتاو) وإطلاق صواريخ مضادة للطائرات. وتم التشديد بشكل خاص على تدريب وحدات حزب الله العاملة على الوسائل القتالية التى تعتبر استراتيجية، مثل الصواريخ أرض أرض ذاتى المدى ٧٥ كيلومتر والصواريخ المضادة للطائرات الصغيرة بدون طيار.

وفى أثناء حرب لبنان الثانية سقط فى الأسر حسين على سليمان، المقاتل فى حزب الله الذى كان مشتركاً فى خطف جنديين من الجيش لإسرائيلى فى ١٢ يوليو ٢٠٠٦، الأمر لذى أدى إلى اندلاع الحرب. وخلال التحقيقات قال إنه اجتاز فترة تدريب فى إيران مع مجموعة مكونة من ٤٠ - ٥٠ من رجال حزب الله. وقد مُنع أعضاء هذه المجموعة من ختم جوازات سفرهم لا فى سوريا ولا فى إيران لإخفاء وجهتهم إلى التدريبات فى إيران. كما قال إنه قبل الحرب بحوالى سنة ونصف، عندما كان يقوم بالحراسة فى موقع بجنوب لبنان، زار الموقع إيرانيان بصحبة قائدين من حزب الله. وتعرف الأسير على أحد الإيرانيين كواحد من الحرس الثورى الذين قاموا بتدريبهم فى إيران.

خلال السنوات الست التى مضت أقيمت فى الجنوب اللبنانى ما يمكن أن نسميه قاعدة عريضة على نمط حرس الثورة، الذى ضم عدة ألوية ميدانية ووحدات مضادة للطائرات، والمدرعات، ووحدات للإمداد والتموين، والهندسة والاتصال. هذه القاعدة كانت خاضعة لقيادة عامة - القيادة العامة لحزب الله فى الحى الجنوبى الشيعى من بيروت (الضاحية). هذه القيادة العامة تضم تشكيلات مختلفة، وحدة 'سلاح استراتيجى' (صواريخ أرض أرض)، وحدة جوية (وسائل طيران مُستخدمة)، وحدة بحرية وغير ذلك.

وكانت جريدة الشرق الأوسط اللندنية قد نشرت فى ٢٩ يوليو ٢٠٠٦ تفاصيل اخرى عن مساعدات الحرس الثورى الإيرانى لحزب الله، على لسان ضابط كبير فى الحرس، قام بتدريب وحدات بحرية تابعة لحزب الله. وقال إن حزب الله لديه وحدة ملاحى غواصات ووحدة كوماندوز بحرية. كما ذكر أن ضباط الحرس الثورى ساعدوا حزب الله فى إنشاء مبان تحت الأرض، بما فى ذلك حجرات قيادة وتوجيه، يستخدمها رجال الحرس بجانب رجال حزب الله. ومما قاله فى المقابلة الصحفية

أيضاً: "مئات من رجال حزب الله الذين يقاتلون اليوم (فى حرب لبنان الثانية) اجتازوا دورات تدريبية خاصة فى معسكرات الحرس الثورى فى طهران، وفى أصفهان، ومشهد والأهواز".

وقال الضابط: "وبفضل وجود مئات المهندسين والفنيين الإيرانيين وخبراء من كوريا الشمالية، الذين تم إدخالهم عن طريق الدبلوماسيين الإيرانيين، وعمال فى الملحقيات وهيئات التمثيل الإيرانية فى لبنان باعتبارهم خدم، نجح حزب الله فى بناء قطاعاً تحت الأرض بلغ طوله حوالى ٥٢ كيلومتر. كل فتحة فى القطاع بعرض من ١٢ إلى ١٨ متر، له أرضية متحركة وسقف نصف متحرك. كل أربعة فتحات مُتصلة بعضها البعض عن طريق ممر يدخل فيه المقاتل بسهولة ليصل من فتحة إلى أخرى.

"كذلك بنى رجال الحرس الثورى لحزب الله فى البقعة مخازن تحت الأرض على عُمق ثمانية أمتار، تحتوى على كميات ضخمة من الصواريخ والذخيرة. وفى البقعة توجد غرفة عمليات رئيسية يديرها أربعة من ضباط الحرس وأربعة من مقاتلى حزب الله. كل منطقة لها غرفة قيادة وعمليات. وتضم وحدة الصواريخ التابعة لحزب الله حوالى ٢٠٠ فنى وخبير تم تدريبهم فى إيران. ولدى حزب الله ثلاث وحدات صواريخ تحت قيادة طقم مكون من عشرين شخصاً.

وبالإضافة إلى المساعدات التى تلقاه من الحرس الثورى فإن حزب الله حصل أيضاً على مساعدات وزارة الخارجية ووزارة الاستخبارات الإيرانية. وتتركز أعمالها فى السفارات الإيرانية فى دمشق وبيروت. فالسفارة فى بيروت تمثل منظومة معقدة، الجزء الأكبر منها مخصص للنشاط الاستخبارى. ويشمل النشاط الاستخبارى فى السفارة الإيرانية ببيروت التنسيق العملياتى والاستخبارى بين إيران وحزب الله وكذلك التطوير الخططى والتنفيذى الخاص بالمنظمة. والواقع أن إيران سعت أن تقدم لحزب الله أسلوباً قتالياً جديداً ضد إسرائيل بما يتلاءم مع طبيعة ميدان القتال فى جنوب لبنان. وقد نفذت ذلك بشكل متميز، وأتت هذه الخطوات ثمارها خلال الحرب.

منذ الانسحاب الإسرائيلى وحتى حرب لبنان الثانية وسعت إيران بشكل كبير أيضاً نشاط "مركز الثقافة والدرسات الإسلامية"، الذى يعمل من داخل السفارة الإيرانية فى بيروت. وقد بذل المركز جهداً غير قليل فى تعليم العبرية لرجال حزب الله. ومع مطلع التسعينات أنشأ عماد مُغنية وحدة صغيرة من الفلسطينيين الذين طردت عائلاتهم إلى لبنان عام ١٩٤٨، يتنصتوا على ترددات اتصالات الجيش الإسرائيلى. إلا أن هذا المخزون من المتحدثين بالعبرية أوشك على النفاد وأخذ مغنية من تلقاء نفسه فى الاعتماد على غير الفلسطينيين. وفى مركز الثقافة بالسفارة توجد مكتبة ضخمة باللغة العبرية، تضم كتب أطفال وصحف ومؤلفات تُعنى بالجانب الأمنى. وفى هذا المكان أهَل حزب الله، بمساعدة بعض الفلسطينيين، مجموعة كبيرة من المقاتلين الذين تولوا التنصت على شبكات الاتصال الإسرائيلية، بهدف جمع أكبر قدر من المعلومات عن العدو.

إلى جانب الجهد العسكرى واصل حزب الله مخاطبة عواطف الشيعة فى لبنان. فعشرات الكُتيبات التى وزعتها المنظمة كانت تُعلى من شأن كراهية إسرائيل والولايات المتحدة، وقيم الجهاد (الحرب المقدسة) ونيل الشهادة (الاستشهاد) ويُظهرون التقديس لآية الله الخمينى وعلى خامنئي. والمقصود بالأساس مادة دعائية إيرانية تُترجم إلى اللغة العربية، وليس لها أية علاقة بالساحة اللبنانية.

فى غُرف الكثير من مقاتلى حزب الله وقيادات المنظمة توجد بوسترات مُعلقة لخامنئى والخميني. ويحتفظ غالبية المقاتلين بكتيب قائدى، الذى أصدرته حركة شباب حزب الله 'مُنتظرو الإمام المهدى'، وفيه سيرة ذاتية مختصرة للزعيم الإيرانى خامنئي. ويُعرض خامنئى فيها باعتباره الشخصية المعجزة للشباب. وهناك كتاب شعبى آخر هو الجهاد، الذى أصدره عام ٢٠٠٤ "مركز الإمام الخمينى الثقافي" فى بيروت. ويُحلل هذا الكتاب معنى الجهاد على أساس نظرية على خامنئي. وتتلخص هذه النظرية فى أن الجهاد هو حرب مقدسة ضد "أطماع الإمبريالية" الغربية. بينما على غلاف كُتيب الولايات المتحدة هى مصدر الإرهاب تحترق أعلام الولايات المتحدة وإسرائيل ومن تحتها صورة لفلسطينيين يبكون وخلفهم المسجد الأقصى بالقدس. والحقيقة أن كميات كبيرة من نوعية هذه الدعاية، المخصصة فى أصلها الفارسى لرجال الحرس لثورى، وعثُرت عليها قوات الجيش الإسرائيلى أثناء حرب لبنان الثانية، داخل مواقع حزب الله ومكاتب المنظمة، تؤكد العلاقة الوثيقة بين إيرن وحزب الله. وفى نظرية حزب الله، لا يُعتبر مقاتلوه فقط يتمتعون بهوية لبنانية بل فى الأساس مسلمون شيعة، ومقاتلو جهاد، ليست قيادتهم فى بيروت بل فى طهران.

هذه النافذة التى تفتحها كُتيبات الدعاية تلك فى عقلية مقاتلى حزب الله مثيرة للقلق بصورة كبيرة خاصة بسبب تبصرها وعمقها. إذ بجانب كلمات خامنئى التى توجب على رجال الحرس الثورى أن يكتسبوا معرفة عسكرية مناسبة حتى يتغلبوا على نقاط ضعفهم، هناك تأكيد على أن المقاتل المسلم مطالب بمهارات إضافية، من بينها فهم الاتجاهات السياسية. فالمعرفة السياسية تشكل جزءاً من الثقافة الدينية. وفى ختام كتيب الجهاد كتب خامنئي؛ إلى 'المقاتل المؤمن': " كل الأعين تنظر إليك

وتنتظر أفعالك".
أنشأ حزب الله 'هيئة دعم المقاومة الإسلامية' عام ١٩٨٩ بغرض إدارة أموال المنظمة بشكل منظم. وتتبع هذه المؤسسة 'بيت المال' (البنك الخاص بحزب الله) وعلى رأسه الحاج حسين الشامي. وقد جُمعت الأموال، المخصصة لشراء الأسلحة ولأعمال الاستثمار فى لبنان، فى لبنان وبين الجمهور الإسلامى وبخاصة الشيعة، فى أنحاء العالم. آلاف من 'صناديق التوفير' المنتشرة بين التجمعات السكانية، مثل هكيرن هكايمت (الصندوق القومى الدائم لدولة إسرائيل) فى إسرائيل فى حينه. وعلى مدر العام هناك عمليات جمع تبرعات.

وتعتبر 'هيئة دعم المقاومة الإسلامية' جزءاً من بنية تحتية واسعة من المؤسسات والهيئات التابعة لحزب الله، التى تقوم بأنشطة اجتماعية متنوعة وسط تجمعات الطائفة الشيعية فى لبنان، وهى أنشطة لا تستطيع الحكومة اللبنانية، بوسائلها المتواضعة، أن تضطلع بها، وبطبيعة الحال تساعد تماماً فى زيادة شعبية حزب الله. ويتصل هذا النشاط بعملية دعائية مُحكمة لحزب الله. من ذلك على سبيل المثال، أن حوَّل حزب الله سمير قنطار، عميد الأسرى اللبنانيين، إلى رمز للمطالبة بإطلاق سراح الأسرى اللبنانيين فى السجون الإسرائيلية. وفى بيان عن 'هيئة دعم المقاومة الإسلامية' بمناسبة عيد الأم ورد: "إلى عيون لا تنام... تهنئة من المقاومة". وعلى يسار الصورة تظهر إمرأة كبيرة فى السن (هى على ما يبدو أم قنطار)، تنظر بلهفة إلى صورة ابنها المعلقة على الجدار. وفى الجهة اليمنى من الإعلان كتبت تهنئة بمناسبة عيد الأم: "إلى أمهات الشهداء، والأسرى، والجرحى، ومقاتلى الجهاد، إلى كل أم... تهنئة من المقاومة".

كذلك نشَّط حزب الله وسط الطائفة الشيعية حركة شبابية باسم 'حُراس الإمام المهدى'. وقد أُنشئت هذه الحركة فى مايو ١٩٨٥، بعد انسحاب الجيش الإسرائيلى إلى المنطقة الآمنة، وحصلت على تصريح من وزارة التعليم اللبنانية فى سبتمبر ١٩٩٢. والآن تضم الحركة حوالى ٤٢ ألف فتى وفتاة تتراوح أعمارهم بين ٨ و١٦. وهدف حراس حزب الله، كما عرضتها لوحة التقويم السنوى التى أصدرتها الحركة عام ٢٠٠٦، هو تأهيل جيل إسلامى على نهج الخمينى. ففى معسكرات الشبيبة يجتاز الشباب دورات تدريب أساسية على استخدام السلاح بجانب دروس للياقة البدنية. ومن بين صفوف هذه الحركة يتم تجنيد جزء من أعضائها لحزب الله نفسه. وحسب المعلومات المعروضة على لوحة التقويم السنوى فقد قدم حراس الإمام المهدى أكثر من ١٢٠ شهيداً خلال نشاط حزب الله، بما فى ذلك مخربون وانتحاريون. وقد صدرت عن حركة الحراس منشورات كثيرة، منها مؤلفات: 'شارون المجرم' و'قصة سيد عباس موسوى، إمام شهداء المقاومة الإسلامية' 'شباب الجهاد'.
هذا النشاط التربوى - التعليمى لحزب الله يتركز على أبناء الطائفة الشيعية فى جنوب بيروت، وفى جنوب لبنان وفى البقاع اللبنانية. لقد بذل حزب الله جهوداً ملموسة لتخفيض المصروفات الدراسية والمساعدة فى التكاليف المالية المرتبطة بالعملية التعليمية، بالشكل الذى يسمح لبعض مؤيديه بإرسال أبنائهم إلى مدارس مجانية. وبفضل هذا التأييد تحولت المدارس لتى ترعاها المنظمة إلى دوائر جذب حتى لأبناء من ليسوا مؤيدين للمنظمة.
وفى الصراع على المعرفة استخدم حزب الله شبكة الانترنت على نطاق واسع، على غرار ما فعلته حماس. وعلى مواقع النت المختلفة التابعة للمنظمة تَبرز ملامح شخصية حسن نصر الله، رعاية العمليات الإرهابية، وخرافة الشهداء، التحريض المسموم ضد إسرائيل والدعوة إلى القضاء عليها، بالإضافة إلى معاداة السامية السافرة والدعاية المناهضة للولايات المتحدة الأمريكية. والجمهور المستهدف للمنظمة يشمل لبنان ودول الشرق الأوسط (بما فى ذلك إسرائيل نفسها) وكذلك الجمهور المسلم/العربى فى الدول الغربية. والمواقع تُكتب بلغات مختلفة العربية، الإنجليزية والفرنسية والإسبانية وحتى العبرية.

◆ دراسات ◆



كتاب عدم المساواة (الجزء الرابع عشر)

تحرير: أورى رام- نيتسا بركوفيتش ترجمـــة و إعداد: د. أشرف الشرقاوي

(١)
التنميـة

بقلم: شلومو سفيرسكي

يعبر مصطلح التنمية عن نظرية تبلورت فى القرون الثلاثة الماضية ولاسيما فى أوروبا، وترى هذه النظرية أن الجنس الإنسانى يتعرض لعمليات تحسين وتقدم مستمرة. وتقاس التنمية بشكل أساسى على المستوى التكنولوجي، غير أن من المفترض أن هناك وسائل لقياس مستويات التنمية فى مجالات أخرى من مجالات النشاط الإنسانى مثل أشكال التنظيم الاجتماعى (الذى تتمثل التنمية فيه فى التحول من النظام العشائرى إلى النظام الملكى والنظام الديموقراطي) ومثل مستوى المعيشة (وتتمثل التنمية فيه فى أنماط السكن) والنشاط الثقافى (وتتمثل التنمية فيه فى إنشاء مؤسسات ثقافية وتعليمية). ويحمل مصطلح التنمية بين طياته إمكانية ترتيب مستويات متعددة من التنمية، سواء فى المجتمع الواحد فى فترات مختلفة أو فى مجتمعات متعددة فى نفس الفترة.

يعتبر مصطلح التنمية إلى حد كبير من إفرازات حركة التنوير الأوروبية، التى زعمت أن الإنسان قادر بعمله الذى يستند إلى العقل، ودون وساطة من كيان رباني، على التخلص من قيود التقاليد، وعلى السيطرة على نفسه وعلى الطبيعة من حوله وخلق مجتمع إنسانى أفضل وطبيعة أكثر إسهاماً لصالح الإنسان. وتلقى مصطلح التنمية دفعة اخرى كبيرة من الثورة الصناعية، التى تعد هى وأطوارها المختلفة من أرقى التعبيرات عن النشاط الإنسانى القائم على العقل.

فى أعقاب الثورة الصناعية أصبحت انجلترا - التى بدأت هذه الثورة فيها - نموذجاً تحتذى به الدول الأخرى. وكان المثقفون الأوروبيون يعتقدون أن انجلترا والدول الأوروبية الأخرى فى أعقابها تحدد للبشرية اتجاه التطور الإنسانى بالكامل. وكان من أفضل التعبيرات المشهورة عن هذه النظرية، ما ورد فى الوثائق الشيوعية التى أعدها «كارل ماركس» و«فريدريك أنجلز». ورغم ان هذه الوثائق دعت لثورة العمال ضد الطبقة البرجوازية، إلا ان هذا حدث من خلال افتراض أن الطبقة البرجوازية سوف تتسبب فى عولمة الثورة الصناعية. وكتب ماركس وأنجلز عن الطبقة البرجوازية ما يلي:

«بفضل التطور السريع فى أدوات الإنتاج، وبفضل التطور الهائل فى وسائل الإعلام، فإن الطبقة البرجوازية تسوق وراءها إلى قلب الحضارة جميع الأمم، حتى أشدها همجية. فهى تجبر جميع الشعوب - تحت تهديد الفناء - أن تتبنى أسلوب الإنتاج البرجوازي. وتجبر هذه الشعوب على تبنى ما تسميه بـ«الحضارة»، وهو ما يعنى أن تصبح شعوباً برجوازية. والخلاصة أنها تخلق عالماً على شاكلتها» .

كانت نظرية النشوء والارتقاء لتشارلز داروين عنصراً آخر - إلى جانب الثورة الصناعية وحركة التنوير - أسهم فى تبلور

فكرة التنمية، باعتبارها سيراً متواصلاً إلى الأمام فى اتجاه التقدم. كانت نظرية النشوء والارتقاء هى التى جندت - لصالح هذه الفكرة - تشبيهاً قوياً للغاية؛ تمثل فى التطور من وضع القرد القديم إلى وضع الإنسان الأول. وفى نفس الوقت فقد قدمت فكرة الانتخاب الطبيعى - التى تترتب عليها - فكرة أن الجماعة الإنسانية التى لن تتطور من الممكن أن تفنى.

أدى الجمع بين الأسس الثلاثة التى قامت عليها فكرة التطور والتنمية إلى خلق نظرية شاملة «للمشروع الإنساني» أعطت أهمية للأطوار التى مر بها الجنس الإنسانى فى الماضى والحاضر والمستقبل. فقد أصبح الماضى سلسلة لا تحصى من الخطوات الصغيرة، التى تم القيام بها على مدى ملايين السنين، فى الطريق من الإنسان الأول إلى الإنسان المعاصر، وعلى الطريق الذى يصل بين اختراع العجلة والوصول إلى الفضاء. أما الحاضر فهو سعى مليارات من البشر إلى اقتحام مجالات جديدة، كالحواسيب والهواتف المحمولة، وعلى مستوى آخر فإن من الأشياء التى تمثل الحاضر الاتحاد الأوروبى والقانون الدولي. أما المستقبل فهو سلسلة متتالية من السعى لاقتحام مجالات تحقق إمكانيات جديدة، مثل زيادة متوسط الأعمار، والقضاء على أمراض مثل السرطان والإيدز، وخلق نظام سياسى عالمي، وتنظيم رحلات إلى كواكب بعيدة وما إلى ذلك.

كانت الرؤية المستقبلية للتطور هى القضية الرئيسية فى برامج عدد من الحركات الاجتماعية والسياسية الكبرى فى القرنين التاسع عشر والعشرين. وقد عبر عنها ظهور الهويات القومية والحركة الشيوعية والحركة النسائية. سعت الحركات القومية- كل فى بلدها- إلى جعل بلادها تحتل المركز الرئيسى فى مسيرة التنمية العالمية. وسعت الحركات العمالية الثورية إلى وضع نفسها على رأس جهود التنمية، إيماناً منها بأنها سوف تصنع مجتمعاً أفضل، وأكثر عدالة من المجتمع الذى أفرزته البرجوازية. وفى وقت لاحق قامت الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية والنقابات المهنية فى الدول الغربية بتبنى الرؤية المستقبلية للتطور، التى طرحتها الطبقة البرجوازية، على افتراض أنها سوف تكون فى صالح الطبقة العمالية أيضاً. وفى النصف الثانى من القرن العشرين سعت الحركة النسائية- على حد تعبير سيمون دى بوفوار- إلى جعل النساء شريكات يحظين بالمساواة فى الحقوق والواجبات فى «المشروع الإنساني»، وهو مجال العمل الجماعى الذى ظلت المشاركة فيه قاصرة على الرجال فقط لسنوات طويلة.

رغم أن فكرة التنمية تفترض حدوث تقدم متواصل، إلا أنها هى نفسها مرت بتقلبات بما يتفق مع التقلبات التاريخية. فقد أثارت الثورة الفرنسية التفاؤل بشأن قدرة الإنسان على إصلاح شأنه، ولكن فترة الإرهاب التى تلتها أدت إلى التشكك فى هذا. وأدى انتشار الثورة الصناعية فى القرن التاسع عشر إلى تجدد الأمل، ولكن الحرب العالمية الأولى التى حصدت ارواح الملايين من شباب أوروبا أدت إلى مزيد من خيبة الرجاء والإحساس بوجود تراجع. وزاد التشاؤم مع صعود نجم النظم الشمولية فى ألمانيا وإيطاليا والاتحاد السوفيتي. وأعربت جماعة مدرسة فرانكفورت التى تبلورت فى العقد الثالث من القرن العشرين عن خشيتها من أن التنمية نفسها تؤدى إلى مزيد من القمع فى الدول التى تطورت لأنها تخلق مجتمعاً قامعاً تحكمه أجهزة متسلطة فى مجال الإنتاج والاتصالات والثقافة بما يقلل بشدة من مساحة حرية الفكر المتاحة للفرد لدرجة تعريض قدرته على البحث وتغيير البيئة المحيطة به للخطر.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حدث نمو اقتصادى متواصل فى أجزاء عديدة من العالم فيما أدى ثانية إلى التفاؤل الشديد. وسرعان ما نتعشت أوروبا الغربية وكذلك اليابان بفضل المساعدات الأمريكية بعد الخراب الشديد الذى تعرضت له خلال الحرب العالمية الثانية. وعاد الاتحاد السوفيتى للوقوف على قدميه بعد الدمار الشديد الذى لحق بالجزء الأوروبى منه، ونجح فى أن يسبق الولايات المتحدة الغنية فى السباق للوصول إلى الفضاء. وتمكنت الدول التى كانت مستعمرة من تحقيق الاستقلال السياسى واحدة بعد الأخرى، فيما كان يعد خطوة هامة فى الطريق إلى لحاق هذه الدول القومية بركب التنمية العالمية. فى تلك السنوات تحول حلم التنمية إلى آلية عملية للتقدم عرضتها الولايات المتحدة والدول الغربية على الدول الجديدة التى نشأت فى المستعمرات التى كانت تسيطر عليها الدول الاستعمارية. وحددت تلك الآلية المراحل التى يجب على الدول المذكورة أن تمر بها لكى تصل إلى مستوى تطور مماثل لما تحقق فى الدول الصناعية.

ولكن سرعان ما تبين أن عدداً كبيراً من الدول القومية الجديدة تلقى صعوبة فى تمثل نموذج الدول الغربية الكبرى التى جمعت فى يدها نسبة كبيرة من ثروات العالم، واستغلتها لتطوير قدرات جديدة؛ مثل صناعة الفضاء وأجهزة التعليم العالى والمعامل البحثية المتقدمة وصناعة الحواسيب وما شابه ذلك. وساد فى كثير من الدول النامة شعور بأن الأفق لم يعد مفتوحاً أمامها، وكان من بين أسباب ذلك التكلفة الكبيرة والمتزايدة التى يتطلبها اللحاق بركب التنمية.

فى ظل هذه الخلفية زعم أندريه جوندار فرانك أن التنمية العالمية عبث، نظراً لأن ارتفاع مستوى التنمية فى بعض دول العالم يرتبط بانخفاض مستواه فى دول أخرى، وهو ما يعنى أن تطوير جزء من العالم يترتب عليه عدم تطوير جزء آخر. وأعطى عمانويل فلرشتاين عمقاً تاريخياً لهذا الزعم عندما أكد أن الرأسمالية منذ بدأت فى القرن الخامس عشر نشأت كآلية عالمية قائمة على التوزيع العالمى للعمل، لتصبح هناك دول متطورة تعتبر بمثابة المركز ودول أخرى أقل تطوراً تعتبر بمثابة المناطق النائية او

الأطراف. وقد أشارت مزاعم فرانك وفلرشتاين إلى أن ثروة الدول الأطراف تذهب إلى الدول التى فى المركز.

فى نهاية القرن العشرين بعد نحو خمسين عاماً على نهاية الحرب العالمية الثانية تبين أنه لم يكن هناك من بين الدول النامية من تمكن من النجاح فى تحقيق تقدم كبير عن الوضع الذى كان سائداً قبل الحرب سوى عدد قليل من تلك الدول (وهى دول النمور الأسيوية). وتعرض عدد كبير من دول العالم ومنها دول أفريقيا والدول العربية لتدهور اقتصادى وسياسي. وفى ضوء هذه الخلفية ارتفعت الأصوات التى تشكك فى حلم التنمية. ووصف الدبلوماسى البيرونى «أوسوالدو دى روفيرو» حلم التنمية بأنه خرافة، أو شيء ليس فى استطاعة أغلب مواطنى العالم تحقيقه. وعلى حد قوله فإن عدداً كبيراً من الدول القومية الجديدة لم تكن سوى مشروعات قومية لم تصل إلى حد الكمال، وبمعنى آخر فإنها دول نصف قومية.

لم تكن الشكوك التى ترددت تتناول القدرة على تحقيق الحلم فحسب، بل وكانت تتناول مدى اعتباره هدفاً محبذاً للإنسانية. وجاءت هذه الشكوك نتيجة لعنصرين أساسيين: القيود المفروضة على الواقع والنقد الأوروبى للحلم. كان الحلم مصحوباً منذ الثورة الصناعية بمخاوف من تأثيرات التنمية التكنولوجية على بيئة الحياة الإنسانية، ولكن هذه المخاوف تزايدت بشدة فى العقود الأخيرة، عندما تبينت العلاقة بين النشاط الصناعى - الذى تمثل فى المركبات وأسلحة الدمار الشامل - من ناحية، وبين الاحتباس الحرارى فى الكرة الأرضية، وتدهور الغلاف الجوي، وتلوث الهواء والمياه من ناحية أخرى. وفى ظل هذه الخلفية ثار خوف من أن انضمام مليارات من البشر، الذين يعيشون الآن فى دول غير متطورة، إلى الطبقة المتوسطة العالمية - مع تبنيهم لأنماط الاستهلاك السائدة لدى هذه الطبقة- سيتسبب فى كارثة بيئية.

جاء نوع آخر من النقد من جانب هؤلاء الذين ينظرون إلى حلم التنمية العالمية على أنه سعى ليس له أساس لفرض اهتمامات موحدة على الإنسانية كلها. وفى مقابل التقاليد التى ترى أن التاريخ الإنسانى هو حكاية تطور منتظم وموحد، قام بعض مفكرى ما بعد الحداثة بطرح إمكانية وجود تطورات متعددة ومتباينة. وفى نفس الوقت قام بعض المفكرين غير الأوروبيين بتوجيه النقد للطريقة التى كان المفكرون الأوروبيون ينظرون بها إلى العالم غير الأوروبي، ليس على أنه عالم مختلف فحسب، وإنما أيضاً على أنه أدنى فى المرتبة من العالم الأوروبي، زاعمين أنهم أسهموا بذلك فى بسط السيطرة الأوروبية.

وعلى الرغم من التقلبات والنقد، فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية تعتبر مشكلة التنمية هى المشكلة المطروحة للنقاش فى أغلب دول العالم، وفى كافة المحافل الدولية. فى العقدين أو العقود الثلاثة التى تلت الحرب العالمية الثانية، سادت نظرية موسعة بشأن التنمية، تدعو للتطور الاقتصادى والثقافى والسياسى والتعليمى وما إلى ذلك. وفى وقت لاحق، ومع تطور المقاييس الإحصائية، التى أتاحت الفرصة لتقييم النشاط الاقتصادى للدول، أصبح الحوار قاصراً على مصطلح أقل فى معناه وهو مصطلح النمو الاقتصادي، الذى يعنى الزيادة فى الناتج الاقتصادى القومى من عام لآخر. غير أن هذا الأمر أدى إلى إمكانية وصف اقتصاد دول معينة على أنه اقتصاد متنام، حتى عندما لا تظهر لدى هذه الدول علامات تطور بالمفهوم العريض للكلمة. وعلى سبيل المثال، فمن الممكن أن يجرى هذا فى دولة تعمل بها شركة متعددة الجنسية، جاءت لتستغل الثروة الطبيعية المحلية لهذه الدولة، أو العمالة الرخيصة فيها، دون أن يغير هذا الأمر شيئاً من مستوى التصنيع أو التعليم أو المواصلات أو الصحة فى تلك الدولة بصفة عامة.

منذ العقد الثامن من القرن العشرين كان الجدل حول قضية التطوير مصحوباً بجدل آخر حول من الذى يقود عملية التطوير الدولة أم القطاع الخاص. بدأ الجدل حول هذا الموضوع فى السنوات الأولى التى تلت الثورة الصناعية، فى العصر الذى كان الملوك فيه يجمعون فى أيديهم سلطات مطلقة. وفى نهاية القرن الثامن عشر طرح آدم سميث - الذى يعد الأب الروحى للنظرية الاقتصادية - نظرية «اليد الخفية»، التى تعبر عن السعى للوصول إلى مجتمع متطور، يقوم بتنقية نفسه من خلال السوق، فيتطور دون تدخل من جانب عنصر مركزي، من خلال التداخل بين مصالح الأفراد المختلفين فيه. كانت فكرة «اليد الخفية» فكرة تعكس إلى حد كبير مصالح الطبقة البرجوازية التجارية والصناعية، التى سعت فى تلك السنوات إلى التحرر من قبضة الدولة الملكية.

ولكن عندما سعت دول أوروبية مثل فرنسا وألمانيا لتقليد إنجلترا - رائدة الثورة الصناعية - طالب رجال الصناعة فيهما بحماية الدولة لهم. وكان من بين وسائل الحماية فرض جمارك حمائية. وقام رجل الاقتصاد الألمانى «ليست» الذى عاد اليوم الاهتمام بكتاباته بطرح دفوع تبرر تدخل الدولة فى عملية التصنيع.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى لعبت الدولة دوراً هاماً فى التصنيع فى الاتحاد السوفيتى الذى أصبح دولة صناعية متطورة. وفى الغرب، بعد الأزمة الاقتصادية التى شهدها العقد الثالث من القرن العشرين بدأت الحكومات تعتبر نفسها مسئولة عن تنقية النشاط الاقتصادى اعتماداً على أفكار رجل الاقتصاد البريطانى جون ماينارد كينز، الذى كان لأفكاره السيطرة التامة خلال أغلب سنوات القرن العشرين. ولكن فى العقد الثامن من القرن العشرين تم تسجيل تحول فى اتجاه سياسة السوق

الحرة، ولاسيما فى الولايات المتحدة وانجلترا والمؤسسات المالية الدولية. ودعا أنصار هذه السياسة إلى الحد من تدخل الدولة وتقليل ميزانياتها وإعطاء حرية العمل للقطاع الخاص. ولقيت هذه الدعوة أذناً مصغية من المؤسسات المالية والصناعية الكبرى فى الغرب، التى نمت بشدة بعد الحرب العالمية الثانية، لدرجة تجاوزها لحدودها الوطنية اعتباراً من العقد السابع من القرن العشرين، والتى بدأت العمل فى أراضى وطنية مختلفة ومتعددة، لأنها وجدت أنها تحقق مصالحها. وفى الدول المتقدمة تسعى هذه المؤسسات - التى تزعم أنها هى التى تقود التنمية الاقتصادية - إلى تقليص النشاط الاقتصادى للدولة، بهدف الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من ثمار التنمية، بدلاً من أن توزعها الدولة على عموم السكان. أما فى الدول غير المتقدمة (النامية) فإن هذه المؤسسات كثيراً ما تكون ذات قوة هائلة، تفوق قوة مؤسسات الدولة المحلية. ومن هذا المنطلق تعتبر نفسها مساهمة فى التنمية المحلية بما لا يقل عن الدولة. غير أن هذه التنمية كثيراً ما تكون محدودة للغاية، وتتماشى مع مصالح المؤسسة وليس مع مصالح السكان المحليين.

يلجأ الذين يزعمون أن التنمية لا يمكن أن تكون نتاجاً لسياسة اليد الخفية التى تحرك قوى السوق - وخاصة فى الدول الفقيرة - إلى دعم حجتهم بحكاية «دول النمور فى جنوب شرق آسيا» التى تبرز فيها دولتان قوميتان، هما كوريا الجنوبية وتايوان، ودولتان كل منهما بحجم مدينة، وهما هونج كونج وسنغافورة. سجلت هذه الدول الأربعة منذ العقد السابع من القرن العشرين نسب نمو اقتصادى مبهرة، وكان من بين وسائل تحقيق ذلك التدخل الشديد من جانب الدولة. أضف إلى هذا أن النمو فى هذه الدول يبدو مستقراً. فقد تحولت كوريا الجنوبية وتايوان من الناحية العملية من دول زراعية إلى دول صناعية بكل معنى الكلمة. وكانت النمور الأربعة نموذجاً احتذت به «الديناصورات» - وأعنى بها دولاً مثل تايلاند وماليزيا وأندونيسيا - التى سجلت نسباً مرتفعة من النمو الاقتصادى فى العقدين الثامن والتاسع من القرن العشرين.

مع كل هذا هناك من يشكك فى قدرة كوريا الجنوبية وتايوان على أن تصبح دولاً رائدة فى مجال التنمية، ولاسيما بفضل عدم وجود أساس عريض بالقدر الكافى للبحث والتطوير المحلي. وفى ظل هذه الخلفية يمكن فهم النقاش الذى دار مؤخراً بشأن الاختيار الذى تواجهه اليوم بعض الدول وبعض الجماعات السكانية فى دول أخرى بين مسارين مختلفين للتنمية: مسار تنموى علوى وفيه تختار وحدة كاملة، عبارة عن مجتمع أو جماعة سكانية كاملة من مجتمع، أن تعتمد على عمليات التنمية والإنتاج، القائمة على العلوم والتكنولوجيا، وعلى القوة البشرية المتعلمة القادرة على اتخاذ سلسلة متتالية من الخطوات إلى الأمام؛ ومسار تنموى سفلى قائم على تكنولوجيات وعمليات إنتاج بسيطة نسبياً، وعلى قوة بشرية ذات مستوى تعليمى منخفض أو متوسط. والعنصر الرئيسى فى التمييز بين النوعين هو مهارات وتعليم السكان. وعلى سبيل المثال فقد ثار زعم يقول إن بريطانيا بعد عصر مارجريت تاتشر ستلقى صعوبة فى التشبث بالمسار التنموى العلوي، ومن بين أسباب ذلك أنها لا تنفق ما يكفى على الرقى بالقوة البشرية لديها على المستويين التعليمى والمهني.

ويشهد هذا التمييز الجديد على مزيد من التراجع فى حلم التنمية. وإذا كانت الدول الجديدة التى نشأت بعد الحرب العالمية الثانية اكتشفت فى العقدين السادس والسابع من القرن العشرين مدى صعوبة طريق التنمية بالنسبة لها، فقد تبين فى العقد التاسع من هذا القرن حجم الفارق التكنولوجى سواء بين الدول الغنية والدول الفقيرة أو بين المناطق المختلفة داخل الدول الغنية. لقد شهد حلم التنمية فى عصره الذهبى وضعاً يمكن فيه للمجتمع الإنسانى كله أن يسهم فى النشاط الثقافى والاقتصادى والاجتماعى المتقدم لفترة معينة. وبمعنى آخر فإن من المفترض أن يكون للجميع حظ من التحضر. وفى مقابل ذلك فإن مصطلح «مسار تنموى علوي» من المفترض أن يعبر عن إمكانية النمو الاقتصادى الذى تحقق بواسطة قطاع محدود من القوة العاملة بفضل ارتفاع مستواها الثقافى والتعليمى وقدرتها على تحقيق التنمية التى تعتمد على التكنولوجيات المتقدمة. من الممكن لمثل هذا النمو الاقتصادى أن يؤدى إلى زيادة كبيرة فى الناتج القومى لدولة معينة رغم انخفاض نسبة مشاركة مواطنى هذه الدولة فى القوة العاملة ورغم ارتفاع نسبة البطالة ونسبة الفقر فيها.

كانت الحركة الصهيونية التى انبثقت عن حركة التنوير اليهودية فى أوروبا تعتبر نفسها حاملة لراية التنمية لدى الشعب اليهودي، أو لمزيد من الدقة فإنها كانت تعتبر نفسها حاملة لراية إدماج الشعب اليهودى فى العالم المتقدم. وتوقع هرتسل أن تكون الدولة اليهودية التى ستنشأ متطورة مثل الدول الأوروبية وأن تحمل بشرى التطور إلى دول الشرق الأوسط. واتسم الاستيطان اليهودى فى أرض إسرائيل (١) قبل عام ١٩٤٨ بوجود مشروعات كثيرة، فيما كان يعكس السعى إلى بناء مجتمع يقف فى مصاف الدول المتقدمة، وكان من بين هذه المشروعات شبكة التعليم الصهيونية ومؤسسات التعليم الجامعى والأطر الاجتماعية والاقتصادية المبتكرة مثل الكيبوتس (٢) والموشاف (٣) والزراعة القائمة على التكنولوجيا المتقدمة وما إلى ذلك.

وفى نفس الوقت فقد تسبب الاستيطان الصهيونى فى وجود تعارض بينه - باعتباره جماعة إنسانية متطورة - وبين المجتمع العربى المحيط به، بما فيه الطوائف اليهودية فى الدول العربية المجاورة، التى كانت فى حاجة إلى البدء فى جهود التنمية. وبعد عام

١٩٤٨ عندما أصبح عدد كبير من الفلسطينيين مواطنين فى إسرائيل، وبعد تهجير أغلب اليهود العرب إلى إسرائيل أصبح هذا التعارض عنصراً هاماً فى الخطاب الجماهيرى والأكاديمى فى إسرائيل، وأسهم فى إضفاء الشرعية على إجراءات سياسية مختلفة بدءاً بتحويل اليهود القادمين من الدول العربية إلى طبقة عمالية ونهاية بخلق أطر تعليمية مختلفة للجماعات السكانية المختلفة.

بعد إقامة الدولة لعبت الحكومة دوراً هاماً فى التنمية. واستعانت لتحقيق هذا بالمعونات التى تلقتها من حكومات الولايات المتحدة وألمانيا وبالأموال التى جمعتها من الطوائف اليهودية فى كافة انحاء العالم. بنت الحكومة مساكن وأقامت مرافق وطورت قطاعات الاقتصاد وفتحت مدارس وما إلى ذلك. وبعد فترة بسيطة كانت التنمية فيها معتمدة على الزراعة دعت الحكومة فى نهاية العقد الخامس من القرن العشرين إلى حملة تصنيع سريعة قامت فى الغالب على الصناعات التى تحتاج لعدد كبير من الأيدى العاملة. وبعد حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ تبنت الحكومة تحويل الصناعات العسكرية إلى القطاع الرائد فى مجال الصناعة. وفى هذه الأثناء تسببت الحكومة فى انقسام مسارى التنمية، ليصبح المسار العلوى خاصاً بالصناعات العسكرية وصناعات التكنولوجيا المتقدمة والمسار السفلى قائماً على الصناعات التى تحتاج لعداد كبيرة من العمال.

فى العقد الثامن من القرن العشرين وصلت إلى إسرائيل نظرية «السوق الحرة»، وبدأت تتردد دعوات إلى الحد من دور الدولة. ومنذ ذلك الحين تعمل الحكومات الإسرائيلية على تسهيل الأمور أمام القطاع الخاص ليتولى زمام المبادرة فيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية، سواء عن طريق خصخصة الشركات الحكومية أو تخفيض تكلفة العمل أو تحرير التجارة أو تسهيل انتقال الأموال أو غير ذلك من الإجراءات. كما تعمل الحكومات الإسرائيلية على جذب الشركات الأجنبية للعمل فى إسرائيل.

اتسم عصر السوق الحرة فى إسرائيل بقدر كبير من النمو فى مجالين ساهما فى جذب رؤوس الأمال الأجنبية والمحلية وهما صناعات التكنولوجيا المتقدمة والقطاع المالي. ولكن لا يمكن اعتبار أى من هذين القطاعين قاطرة لها القدرة على جذب الاقتصاد والمجتمع وراءها. فهناك كثير من الإسرائيليين لم يدخلوا مجال النشاط الاقتصادي، وهناك كثيرون غيرهم ليس لديهم الأدوات الكافية التى تساعدهم على العمل فى القطاعات المتنامية. أضف إلى هذا أن النشاط الاقتصادى كثيراً ما يكون متركزاً فى وسط البلاد الذى يمكن اعتباره المركز الجغرافى والاجتماعي. وفى عصر التنمية القائمة على أيديولوجية السوق الحرة، حدثت زيادة كبيرة فى مستويات عدم المساواة فى إسرائيل. وفى هذا العصر تمت ولو بشكل مؤقت تنحية حلم التنمية العالمى القائم على الاعتراف بذكاء الإنسان لمجرد أنه إنسان.

---

(٢)
الحركة النسائية

بقلم نيتسا بركوفيتش

ظهرت الحركة النسائية - سواء كدعوة للتغيير الاجتماعى أو كنظرية اجتماعية - فى ساحة العمل العام فى أوروبا والولايات المتحدة، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. وإذا شئنا تبسيط الأمور فمن الممكن أن نشير إلى ثلاثة عناصر تتشارك فيها جميع الحركات النسائية: (أ) الاعتراف بالمساواة الأساسية فى القيمة بين الرجال والنساء (بغض النظر عن التماثل أو التشابه). (ب) الزعم بأن جميع المجتمعات فيها ترتيبات مؤسساتية تعطى أفضلية للرجال على النساء (فى الموارد والفرص والنفوذ). (ج) لهذه الأسباب فإن الهدف مزدوج، وهو: أولاً الإشارة إلى التركيبات والممارسات التى تفرز عدم المساواة والسيطرة وتحافظ على وجودهما، والكشف عن التبريرات التى تعطى الشرعية لهذه الممارسات؛ وثانياً العمل على إحداث تغيير اجتماعى يؤدى لوجود مجتمع اكثر مساواة وأكثر عدالة.

وبخلاف الاتفاق على هذه العناصر الأساسية فإن الحركة النسائية تتضمن توجهات وتيارات مختلفة، تختلف عن بعضها فى رؤيتها لما يلي: ١. جوهر العلاقات بين النساء والرجال (هل هناك عدم مساواة فى الفرص فقط أم أن هناك قهر واستغلال منهجى للنساء). ٢. مصدر عدم المساواة والأجهزة التى تتناقله (هل هى التركيبة الرأسمالية أم المكانة الجنسية التى يحتلها الرجال). ٣. التغيير المطلوب وحجمه ووسائل تحقيقه (هل سيكون هذا مثلاً عن طريق التشريع والتكامل بين الطرفين أم الانقسام بينهما). ٤. مسألة التشابه والاختلاف. حيث احتلت هذه المسألة مكان الصدارة فى العقدين الثامن والتاسع من القرن العشرين، عندما تم استبدال الحديث عن أوجه الشبه والاختلاف بين النساء والرجال بالحديث عن الاختلافات بين النساء

وبعضهن (هل يمكن وضع النساء فى قائمة واحدة أم أنهن مميزات ومختلفات عن بعضهن البعض، بما يتفق مع سمات مثل الأصل العرقى والطبقة الاجتماعية).

كانت هذه الاختلافات سبباً فى أن الحركة النسائية لم تكن أبداً حركة موحدة، ولم تكن لها نظرية عمل موحدة. تمثل الحركة النسائية خليطاً من حركات جديدة، تنشأ من وقت لآخر من خلال النقد الموجه لأساليب عمل وأفكار الحركات القائمة حالياً، وإعلان التحدى لهذه الحركات. وعلى سبيل المثال كان من الممكن فى العقد التاسع من القرن العشرين (فى إطار ما سُمى باسم «الموجة الثالثة») رصد حركات النساء سود البشرة، ونساء ما بعد الحداثة، والنساء السحاقيات، إلى جانب الحركات النسائية التى ظهرت فى مرحلة ما بعد الاستعمار، والتى نشأت فى دول ومجتمعات العالم الثالث. جاءت هذه الحركات بشكل أساسى رداً على الحركات النسائية الليبرالية والماركسية/ الاشتراكية، التى كانت بدايتها فى القرن التاسع عشر (الذى شهد «الموجة الأولى» للحركات النسائية)، والتى حظيت ببعث جديد فى العقد السابع من القرن العشرين (فيما عُرف باسم «الموجة الثانية») عندما انضم إليها صنف جديد من الحركات النسائية وهو الحركة النسائية الراديكالية).

ظهرت الموجة الأولى للحركات النسائية فى نهاية القرن التاسع عشر. وتنسب هذه الحركة بشكل أساسى إلى الليبرالية، التى ركزت الحركة النسائية فيها بشكل أساسى على النضال من أجل ضمان حق الانتخاب للنساء، ومن أجل ضمان حق الالتحاق بمؤسسات التعليم العالي، وحق التخصص فى مهن مثل المحاماة والطب. كانت الحركة النسائية الليبرالية نتاجاً غير متوقع لحركة التنوير وللتوجه الليبرالي. ورغم أن التنوير والليبرالية جعلا مكان الصدارة للفرد الذكى المستقل القادر على ممارسة حقوقه واستنفاذ قدراته، والذى يحق له ذلك، إلا أن النساء أقصين عن هذا الوصف. ووسعت الحركة النسائية الليبرالية من نطاق مصطلح «الإنسان» - الذى أطلقته حركة التنوير الأوروبية - ليتضمن النساء أيضاً. وقد مثلت نقطة الانطلاق النظرية المذكورة مبرراً لمطالبة النساء بمنحهن نفس الحقوق التى يتمتع بها الرجال، والمساواة فى الفرص، لكى يكون فى استطاعة النساء ممارسة هذه الحقوق. وجاء الإلهام والأساس النظرى لهذه النظرية من خلال كتابات ميرى وولستونكرافت التى نُشرت فى نهاية القرن الثامن عشر وجون ستيوارت ميل وهاريت تيلور ميل التى ظهرت بعد ذلك بنحو قرن كامل.

بعد أن تحقق للنساء حق الانتخاب فى أغلب الدول اتسع نطاق النضال النسائى ضد التمييز ليتضمن رصداً للعراقيل التى تحول دون تقدم النساء وإزالتها، من أجل ضمان قدرة النساء على الوصول إلى جميع مراكز القوة، وإلى كافة المنافع والموارد فى المجتمع. ولم تكن هذه العراقيل قاصرة على ماتضمنته قوائم التمييز الرسمى والمباشر، وإنما اشتملت أيضاً على ما يتضمن تمييزاً غير مباشر، صيغ بلغة محايدة، ولكن بما يتفق عملياً مع التجربة الحياتية للرجال (مثل المطالبة بالالتحاق بالأعمال التى يكون المرء فيها تحت الطلب فى أى وقت). وكان التمييز غير الرسمى الذى يترتب على وضع الجماعة النسائية كلها فى قالب فكرى واحد هو أكثر أنواع التمييز رسوخاً وبعداً عن الرصد. وبالفعل فإن الحركة النسائية الليبرالية، كما تصدت للتشريعات التى تنطوى على تمييز، وجهت النقد إلى القوالب الفكرية الثابتة، والمواقف والأنماط والقيم التى يستنسخها المجتمع من خلال الأليات الاجتماعية والأجهزة التعليمية.

كان هذا التوجه النسائى شديد الراديكالية عند ظهوره للمرة الأولى، ولكنه أصبح الآن مقبولاً للغاية. وأصبح هو الأساس لإصلاحات تشريعية عديدة، وأصبح سمة أساسية للنشاط النسائى فى إطار الحركات النسائية المقربة للنظام مثل المنظمة النسائية العامة فى الولايات المتحدة «NOW» واللوبى النسائى فى إسرائيل. حيث يرتبط التقارب مع النظام بعدم قيام المنظمة النسائية بتوجيه نقد اجتماعى شامل، حيث تعطى المنظمة بذلك شرعية للمنظومة الاجتماعية القائمة حالياً، فيما يؤثر بشكل أساسى على النساء بيض البشرة من بنات الطبقة المتوسطة، حيث أن المشكلة الرئيسية لهؤلاء النساء هى الترقى والنجاح فى مجال العمل العام، ولا تقف فى طريقهن عقبة سوى التمييز ضد النساء. وإيماناً منه بتراثه الليبرالى فإن هذا الاتجاه النسائى يركز على مجال العمل العام (الذى يتمثل فى التعليم وسوق العمل والسياسة والجيش والمؤسسات الدينية وما إلى ذلك)، ويتجاهل ما يجرى فى المجال المنزلى فى الحياة الشخصية، وبهذه الطريقة يتبنى سيطرة الرجال داخل البيوت كشرط للنجاح وتحقيق المساواة.

بينما ركزت النساء الليبراليات من بنات «الموجة الأولى» على النضال من أجل حق الانتخاب فقد قام نساء الحركات الاشتراكية - وهن المنافسات الرئيسيات لهن، اللاتى جئن من بين صفوف النقابات المهنية والأحزاب الاشتراكية - بتركيز جهودهن الأساسية على الصراع ضد استغلال النساء الاقتصادي، وعلى النضال من أجل تحسين ظروف عمل النساء. وفى العقد السابع من القرن العشرين شهدت أوروبا ازدهار الحركة النسائية الاشتراكية من جديد، كما ظهرت فيها الحركة النسائية الماركسية. وهاجمت هذه الحركات الحركة النسائية الليبرالية، التى كانت تنظر إلى المنظومة الاجتماعية على أنها منظومة علاقات بين أفراد، يتأثرون بأنماط ومواقف معينة، وطرحت بدلاً من الليبرالية تحليلاً للاقتصاد السياسى للمنظومة الجنسية. حيث صيغت العلاقات بين الجنسين، ليس من خلال مصطلحات تعبر عن عدم المساواة فى الفرص، وإنما من خلال مصطلحات

تعبر عن سيطرة الرجال على عمل النساء - سواء كان هذا العمل بأجر أو كان عملاً تطوعياً بدون أجر. وتعبر هذه السيطرة المزدوجة عن العلاقة بين النظام الأبوى والنظام الرأسمالي وعن العلاقة بين المجال الشخصي والمجال العام. وكانت الصياغة الماركسية للنظام الأبوى بمثابة خدمة للرأسمالية، نظراً لأنها جاءت على النحو التالي: يعتبر العمل المنزلي الذي تقوم به النساء مجاناً بمثابة عمل تطوعي، يتمثل في تقديم خدمات بدون أجر وتقديم دعم لرأس المال (الخاص بأصحاب الأعمال)، كما تقوم النساء بخلق أهم أدوات الإنتاج وهي القوة العاملة، ويمكن اعتبارهن مستهلكات للسلع التي ينتجها النظام، وبذلك فإنهن يسهمن في استمرار ما يتعرضن له من قهر. وفي سوق العمل يتصرف النساء كاحتياطي من العمالة الرخيصة، التي يستخدمها أصحاب الأعمال كوسيلة لتخفيض الأجور، ولإحداث انقسام بين الطبقة العمالية. وكانت النتيجة التي توصلوا إليها بالتالي هي أن التمييز على أساس الجنس هو عنصر هام لاستمرار النظام الرأسمالي، ولن يختفي طالما ظلت الرأسمالية موجودة. أما الرؤية الشيوعية فأشارت إلى علاقات أكثر تعقيداً بين الجانبين. فالنظام الأبوى والنظام الرأسمالي هما صورتان منفصلتان من صور القهر، حدث بينهما ارتباط تاريخي متبادل وتأثير متبادل. فالنظام الأبوى سابق في وجوده على الرأسمالية، ولكنه استمد شكله منها، ولذلك فليس من المحتم أن يختفي مع اختفائها. وفي الحالتين - الماركسية والشيوعية - كانت سيطرة الرجال على عمل النساء هي التي تقدم الأساس المادي للسيطرة الأبوية.

يهتم هذا الاتجاه اليوم بشكل أساسي بالعلاقة بين سيطرة جنس على الآخر وبين التغيرات التي تمر بها الرأسمالية، باعتبارها شكل من أشكال الحياة الاجتماعية العالمية. وقد تم إهمال مناقشة المعنى الاقتصادي للأعمال المنزلية لصالح مناقشة أمور مثل: العولمة وسياسة المؤسسات المالية الدولية، وسياسة التنمية الاقتصادية، والإصلاح الاقتصادي، والإصلاح العقاري، وسياسات التكيف الهيكلي (structural adjustment policies)، وكيفية اعتماد كل هذه الأشياء على توجهات أحد الجنسين، واختلاف تأثيرها على الرجال والنساء حسب النوع والطبقة الاجتماعية.

تنتمي الحركة النسائية الراديكالية إلى «الموجة الثانية» من الحركات النسائية الأمريكية التي ظهرت في العقد السابع من القرن العشرين. وكما حدث مع الحركة النسائية الماركسية تتحدث الحركة الراديكالية عن الحاجة لتغيير اجتماعي شامل، ولكنها بما يختلف مع الحركة الماركسية تعتبر أن آلية قهر النساء هي الأهم والأكثر تأثيراً. فهذا القهر من الناحية التاريخية يسبق كافة صور القهر الأخرى، وهو موجود في كافة المجتمعات المعروفة، وهو الأكثر قدرة على الصمود في مواجهة المعارضة له، وهو الذي يسبب أكبر قدر ممكن من المعاناة. وترى الحركة أن الأصل في السلطة الأبوية هو سيطرة الرجال على الهوية الجنسية النسائية، والتهديد المستمر باستخدام العنف ضدهن. وتتعامل الحركة النسائية الراديكالية مع القهر الكائن في المؤسسات الاجتماعية التي يسيطر عليها الرجال، ولكن الشيء الأساسي الذي تهتم به هو جسد المرأة. بمعنى أنها تعارض العنف والاغتصاب، والاستغلال الجنسي في أفلام العرى والدعارة، والإتجار في الرقيق الأبيض، وإحداث عاهات في جسد المرأة تحقيقاً لمتعة الرجل، واستخدام تكنولوجيات تتعارض مع صحة المرأة. تعتبر هذه الأشكال من العنف والسيطرة تجاوزاً للخطوط التي تميز بين حدود البيت وحدود العمل العام، فيما يحول الأسرة إلى مركز للقهر سواء العاطفي أو المادي.

نظرت الحركة إلى الوعي بأن تجربة الحياة الخاصة لكل امرأة على حدة هي نتاج لتوزيع قوى القهر على أنه ضرورة أساسية لعملية التحرر. ورفعت الحركات النسائية شعار «الشخصي هو السياسي» من أجل زيادة الوعي بأحد الممارسات الهامة لدى الحركة، ولعبت هذه الحركات دوراً رئيسياً في تجنيد عضواتها وتطرفهن في الاتجاه الراديكالي. وبالإضافة إلى ذلك فإنه نظراً لأن الأخوة بين الرجال كانت أحد الأدوات الهامة للحفاظ على الهيكل الاجتماعي وحسن أدائه، فإن رفض التعاون مع المؤسسات الرجالية، وتوفير مؤسسات منفصلة، تعمل على توفير مساحة من الحرية للمرأة، وتسمح بتنمية الأخوة بين النساء، أصبح يعد الرد الاستراتيجي المناسب على هذا.

ومن خلال توجيه النقد إلى الحركة النسائية الراديكالية بسبب تنحيتها لأصوات السحاقيات جانباً، قامت الدوائر السحاقية بتطوير صياغات نظرية وسياسية مميزة عما طورته الحركة الراديكالية. حيث تعتبر الحركة النسائية السحاقية أن المثلية والسحاقية هي مؤسسات سياسية وليست ميولا جنسية... وفي إطار هذه النظرية السياسية تقول أدريان ريتش أن «الوجود السحاقي يمثل امتداداً يعبر عن وجود إمكانيات مختلفة للعلاقات وللحياة النسائية المشتركة مع نساء أخريات، حيث لا تمثل الهوية الجنسية سوى جزء صغير (وغير ضروري) من منظومة الحياة الشاملة». ورغم ذلك فمن الواضح أن الميول السحاقية - كشكل من أشكال الحياة - من الممكن ان تمثل حلاً لنساء معينات كأفراد، ولكن ليس في استطاعتها ان تطرح حلاً شاملاً. كذلك فإن هذه النظرية - التي تعتبر الحركات النسائية التاريخية حركات متعاونة مع النظام الأبوى وتعتبر السحاقيات يعشن خارج هذا النظام - هي نظرية تبسط الأمور. فلا توجد امرأة تتمتع بامتياز القدرة على تجاهل الهوية الجنسية للأب.

كانت النساء بيض البشرة من بنات الطبقة المتوسطة بصفة عامة هن اللاتي رفعن راية الحركة النسائية الراديكالية لأنهن

كن يؤمن أنه بخلاف الفوارق الاجتماعية المختلفة فإن العنصر الرئيسى المسبب لعدم العدالة الذى تعانى منه كل النساء يرجع إلى النظام الجنسى القائم على السيطرة الذكورية. بينما زعمت السحاقيات والنساء سود البشرة أن هذا التركيز على عدم العدالة الناتج عن النوع هو نوع من الرفاهية التى تتمتع بها النساء المذكورات اللاتى يعتبر هذا هو الشيء الوحيد الذى عليهن مواجهته. فقد كن يشعرن هن أيضاً أن التيار الرئيسى للحركة النسائية يقصيهن ويقصى تجربتهن الحياتية بعيداً عن الحركة النسائية وعن جدول أعمالها. وكانت أى محاولة لطرح موضوعات تتعلق بأجهزة القهر الأخرى مرفوضة باعتبارها لا محل لها لأنها تحول الانتباه بعيداً عن الأهداف الحقيقية للحركة النسائية. ونتيجة لذلك بدأ النساء سود البشرة فى العمل خارج إطار الحركات النسائية الرئيسية، وقمن بتطوير أدوات تحليلية كشفت التوجهات العنصرية لهذه الحركات. وعلى سبيل المثال فقد كشفن عن الكيفية التى جعلت تحديد جدول أعمال الحركة يأتى نتيجة لتجانس وصف «النساء»، بينما كانت فيه المرأة بيضاء البشرة وتجربتها الحياتية هى التى تعد الممثل النموذجى للمرأة. وتبرز هذه النظرية فى المقارنة التى قام بها النساء الراديكاليات بين القهر الجنسى والقهر العنصرى وبين «النساء» و«السود» (وهى مقارنة محت تماماً هوية المرأة السوداء)، أو فى إشارتهن إلى الأسرة على أنها أحد مراكز القهر الرئيسية فى النظام القائم على السلطة الأبوية. حيث تعتبر الأسرة بالنسبة لسوداوات البشرة فى كثير من الأحيان المهرب الوحيد من العنصرية المتفشية فى المجتمع من حولهن، ومن الممكن أن تصبح مصدراً لدعم المرأة من الناحية العاطفية. كما أشرن إلى أن التشبيهات المليئة بالتلميحات الجنسية التى سادت فى الثقافة المتفشية تعتبر الرجل الأسود عدوانيا والمرأة السوداء مستباحة تضع المرأة السوداء فى مكانة مختلفة عن المرأة البيضاء عند الحديث مثلا عن الدعوة إلى النضال ضد الاغتصاب ومهاجمة النساء.

فى الآونة الأخيرة بدأت النساء سود البشرة فى مناقشة مرحلة ما بعد الاستعمار عامة ومناقشة سمات الحركة النسائية فى مرحلة ما بعد الاستعمار بشكل خاص. وفى أعقاب ذلك بدأت النساء من جماعات عرقية متعددة فى بحث عنصرية الحركة النسائية وصياغة نقد نسائى خاص بهن. وأصبحت هناك مساحة لبحث الاختلاف والهوية الجنسية والعرقية والاقتصادية وكيف تكون هذه الأشياء جزءاً من وصف النساء. وبدلاً من التركيز على بحث الاختلاف بين الرجال والنساء نحت فى اتجاه بحث الاختلاف بين مجموعات النساء المختلفة.

يتصدر الخطاب النسائى فى مرحلة ما بعد الاستعمار السيطرة المستمرة للعالم الأول على العالم الثالث واستغلاله له، ونهايتهما ظهور استعمار داخلى فى العالم الأول وظهور نظام رأسمالى عالمي. لعبت منظومة العلاقات بين الجنسين دوراً هاماً فى هذه السيطرة، وشارك فيها بقدر مختلف وبشكل مختلف الرجال والنساء المنتمين للعالم الأول على حد سواء. ونتيجة لهذا فقد وجدت الجماعات النسائية المختلفة نفسها خاضعة لصور مختلفة من القهر، تطرح إمكانيات مختلفة للتحرك الاجتماعى وللمقاومة. فتحتاج النساء اللاتى يعشن فى نظم القهر العنصرية والعرقية والطبقية إلى التعاون مع الرجال من أبناء الجماعات التى ينتمين إليها من أجل تغيير الإطار الذى يعملن فيه، والنضال فى نفس الوقت ضد هؤلاء الرجال وكذلك ضد المحاولة المستمرة لإسكات صوتهن داخل الحركات النسائية. وإذا أخذنا هذه العلاقات فى اعتبارنا فسيكون من الواضح أنه من غير الممكن افتراض أن التعاون بين النساء بديهي، وبذلك يصبح مصطلح «أخوة النساء» مصطلحاً إشكالياً سواء من الناحية السياسية أو من الناحية النظرية.

تتمثل هذه الإشكالية بوضوح فى اللقاءات الدولية للمنظمات النسائية، والتى كانت تعقد تحت رعاية الأمم المتحدة فى العقود الثلاثة الأخيرة. فقد أسهمت هذه اللقاءات من ناحية فى النهوض بحقوق المرأة وحدوث تقدم فى جدول الأعمال المتعلق بها، ولكن اللقاء بين الحركات والمنظمات النسائية من مختلف أنحاء العالم كشف من ناحية أخرى عن علاقات القوة والقهر بين الجماعات النسائية وداخل كل من هذه الجماعات. وقد تمثل ذلك فى الخلافات حول تحديد جدول أعمال الحركة النسائية. وعلى سبيل المثال فقد اعتبرت النساء بيض البشرة أن المحاولات التى قامت بها نساء العالم الثالث للربط بين وضع النساء وبين الاستغلال الاقتصادى من جانب الشركات الدولية متعددة الجنسية والنظام الاقتصادى العالمى وللتعامل مع الفصل العنصرى ومع الصهيونية هى محاولات للتسييس ليس لها محل فى مجال العمل النسائي.

أدى النقد الذى وجهه تيار ما بعد الاستعمار، ودخول الحركات النسائية - فى كافة أنحاء العالم - إلى ساحة العمل العالمي، إلى جعل الحركة النسائية الرسمية فى العالم الأول تواجه تحدياً نظرياً وسياسياً. وكانت نتيجة ذلك هى زيادة الوعى بمدى الحاجة الملحة إلى توسيع جدول الأعمال الخاص بالحركة النسائية، وتوسيع نطاق التحليل الذى تقوم به هذه الحركة لما يجرى حولها فى العالم من أحداث، وكذلك إلى تبنى الحركة النسائية لموقف برجماتى قائم على المساواة فيما يتعلق بالتعاون بين النساء. ولولا ذلك لما أمكن وجود نشاط مشترك، ولكانت التحليلات النظرية قد شابها النقصان، وما كانت هذه التحليلات لتتناسب مع التجربة الحياتية لأغلب نساء العالم. جدير بالذكر أن هذا الوعى لم يمتد إلى كافة الأوساط، ولو امتد إليها لما كان من الممكن أن يكون

حلاً سحريا للأزمة التى أصبحت سمة ثابتة من سمات الحركة النسائية.

من ناحية أخرى ساهم اتجاه ما بعد الحداثة الذى بدأ فى الظهور بين دوائر الحركة النسائية فى الأوساط الأكاديمية فى العقدين الثامن والتاسع من القرن العشرين فى تحريك الموقف. فقد أثار هذا الاتجاه علامات استفهام حول جميع التوجهات النسائية المعروفة، وسحب البساط من تحت أقدام كافة وسائل العمل المعروفة. فرفض هذا الاتجاه الحركات النسائية الكبرى ومنها الماركسية والليبرالية (وفى بعض الأحيان رفض وصف ما يجرى بأنه عمل نسائي) ورفض اللجوء لاستخدام صفات مثل الجنس والنوع والانتماء العرقى والطبقي، نظراً لكونها صفات مجردة ومتحجرة ومعممة أكثر من اللازم، وبالتالى فليس فى استطاعتها وصف تعقيد الهويات الاجتماعية. وبذلك فقد كان هذا يمثل تحدياً للسعى لجعل الهوية الجنسية أساساً للتعبئة السياسية وللنضال.

رفض نساء ما بعد الحداثة الرؤية التعميمية التى تميز بها الفكر الغربى الذكوري، وقمن بتفكيك المتناقضات التى أفرزها هذا الفكر، (ومنها الموضوعي/ النفسى والمادي/ الأيديولوجي، والعاطفي/ العقلاني، والذات/ الآخر، والثقافة/ الطبيعة، الخاص/ العام). ولم يكن هذا التفكيك ممكناً سوى عن طريق خلق لغة وأساليب تعبير وعالم مصطلحات بعيد عما يستخدمه الرجال، وذلك من أجل إقامة عالم قائم على التعددية والتنوع لا تعتبر المرأة فيه بمثابة «الآخر»، وتتمتع فيه بالحرية والقدرة على الإبداع وتقييم نفسها دون مقارنة نفسها بالمعيار الرجالي. وحسب تعبير جوديث باتلر، يجب رفض استخدام النوع كوصف من أجل تحليل علاقات القوة، واستبداله بالنظر إلى النوع على أنه مجموعة هويات دائمة التغير. ويجب فهم النوع على أنه عرض مستمر (Performance)، يتكون من عناصر مؤقتة وغير مرنة. وقد أتاح تحقير التمييز بين النوعين - من خلال السخرية من سمات النوع - تقويض بعض أساليب الخطاب المتحجرة والقمعية، وتجنيدها لصالح الأهداف النسائية.

وإذا شئنا تقييم مجموعة النظريات التى عرضناها فى هذا الفصل، فإن من الواضح لنا اليوم أنه لم يعد من الممكن التفكير فى الجنس أو النوع سوى باعتباره وصفاً غامضاً ومليئاً بالتناقضات الداخلية، فقد مكانته كوسيلة للتحليل والتعبئة الاجتماعية. وتم تفكيك الفئات النسائية إلى مجموعة من الهويات المرنة. فلم يعد الاختلاف الجنسى أمراً بديهياً، ولم يعد من الممكن اعتبار التضامن بين النساء ووحدة مصالحهن مصدر قوة فحسب، بل أصبحا أساساً لقهر النساء للنساء.

إلى جانب هذه الصورة المركبة لا زلنا فى السنوات الخيرة نشهد صعود نجم موجة ما بعد الحركة النسائية، التى تنكص النساء المشاركات فيها عن العمل المشترك المنظم من أجل تحقيق أهداف منسوبة للحركة النسائية، وتبدين الاستياء من الاهتمام بأمور مثل العنف والاغتصاب وفقر النساء، ويقبلن خرافة المجتمع الذى يقدس الإنجاز، ويرفضن التحليلات التى تكشف عن أجهزة القهر الذكوري. فلا يرين أن هناك أى احتياج إلى إجراء تغيير شامل فى المنظومة الاجتماعية، ويدللن على وجهة نظرهن بقيام مجموعة من النساء باقتحام القلاع الذكورية «دون التنازل عن أنوثتهن» ودون المطالبة بتفضيلهن أو دعمهن. وعلى حد قولهن فقد انقضى عصر أيديولوجية الحركات النسائية المتشددة وحان وقت استمتاع النساء بالعمل والقوة القائمة على كونهن يحصلن على حقهن البديهي. وقد تبنى الإعلام الأمريكى والإسرائيلى هذا الفكر المنبثق عن تفكير نساء حققن نجاحاً فى عالم الرجال، وأطلق عليه اسم «الحركة النسائية الجديدة». وحظيت هذه الطريقة فى التفكير بشعبية فائقة، ولكنها من الناحية العملية كانت تفتقر إلى أهم أساس وهو: النقد الاجتماعى والعمل من أجل التغيير الاجتماعي.

يجرى هذا الأمر فى ظل وجود تطورات متناقضة، مثل إزالة العقبات والحواجز التى كانت تعترض طريق النساء فى جميع أنحاء العالم، وتزايد الفوارق بين الجماعات النسائية المختلفة، وتزايد الأخطار المادية التى يتعرض لها النساء، والجرائم التى تُرتكب ضدهن، والازدهار غير المسبوق للمنظمات والحركات النسائية على المستوى المحلى والإقليمى والعالمي، الذى كان سبباً فى تغيير ظروف المعيشة النسائية. وأخيراً فنحن فى حاجة إلى الرصيد النقدى النسائى بالكامل بكافة ألوانه وتياراته المختلفة لكى نتفهم كافة أبعاد وعناصر هذا الواقع ونضفى عليها معنى.

(٣)
سيكولوجية التخصيص والتمييز

بقلم: رمزى سليمان

فكروا فى الوضع التالي: تقسيم امتياز معين – وليكن مبلغ ١٠٠ شيكل جديد – بين شخصين، بفرض أن هناك إجراء معين يجعل واحداً منهما هو المسئول عن التخصيص، بمعنى أنه هو الذى سيحدد كيف يتم تقسيم المبلغ بينه وبين الآخر، والآخر هو الذى يقبل ما يتم إعطاؤه له. ويمكن أن نسمى الأول «المعطي» والثانى «المتلقي». وكل ما على المعطى أن يفعله هو أن يحدد كم من المبلغ سيعطيه للمتلقى وكم سيحتفظ به لنفسه. وبعد أن يتقدم المعطى باقتراحه يكون على المتلقى إما قبول الاقتراح، وبالتالى قبول المبلغ الذى يعرضه عليه المعطي، أو رفض الاقتراح، وفى هذه الحالة لن يحصل أى منهما على شيء (بمعنى أن المشاركين أو اللاعبين فى هذه اللعبة سيحصل كل منهما على صفر فى هذه الحالة).

يطلق رجال الاقتصاد الذين يدرسون نظرية الألعاب على اللعبة المذكورة آنفاً اسم «لعبة الإنذار». وكان من بين الأسئلة التى طرحها الباحثون المعنيون بهذا المجال السؤال التالي: كيف يلعب الناس العقلانيون هذه اللعبة..؟ والأهم من ذلك، كم من المبلغ المقترح يمكن أن يعرضه المعطى العقلاني، الذى يسعى لتعظيم أرباحه من هذه اللعبة، على شريكه فى اللعبة..؟ وفى المقابل، كم من هذا المبلغ يجب أن يسعى المتلقى للحصول عليه..؟ ما المبلغ الذى يجب أن يقبله وما المبلغ الذى يجدر به أن يرفضه..؟

إن تنبؤات نظرية الألعاب بسيطة وقاطعة. فالمعطى العقلانى يمكن ببساطة أن يسعى لأخذ المبلغ كله لنفسه، ولا يترك للمتلقى سوى أقل قدر ممكن منه. أما المتلقى العقلانى فسيدرك بالتالى نقاط الضعف لديه، وسيقبل بالتالى أى مبلغ يُعرض عليه مهما كان قليلاً، لسبب بسيط وهو أن أى شيء سيكون أفضل من لا شيء. وبالطبع فإن المعطى العقلانى يدرك هذه الحقيقة، وسيحاول تقليل ما يحصل عليه شريكه قدر الإمكان، وهو ما يعنى أنه سيعرض عليه أقل ما يمكن.

يمكن افتراض أن كل طرف من طرفى أى نزاع، من النوع الذى يحصل أحد طرفيه على مراده والآخر على لا شيء، سيحاول تعظيم نصيبه، وهذا الافتراض مقبول فى مجال الاقتصاد، كما أنه من المسلمات فى بعض نظريات علم الاجتماع التى تتناول الصراعات بين الجماعات. ويمكن ضرب مثال على هذا بنظرية علم الاجتماع المعروفة باسم «نظرية الصراع الواقعي» (Le Vine & Cambell، ١٩٧٢)، وبالنظرية المماثلة فى علم النفس الاجتماعى التى طبقها مظفر شريف (Sherif ١٩٦٦).

أسفرت بعض الأبحاث التجريبية التى أجريت على نظرية «لعبة الإنذار» عن نتائج تدعو للاهتمام، وتفند توقعات نظرية الألعاب. فالمعطين لم يقوموا بتخصيص الكعكة كلها لأنفسهم، وبدلاً من ذلك قاموا بتقسيمها بالتساوى بينهم وبين شركائهم فى اللعبة. وكانت القاعدة أن مخصصات المتلقى تصل أحياناً إلى نحو ٤٠٪ من الكعكة، ولكن العرض الشائع كان تقسيم الكعكة بالتساوي. تم تطبيق هذه النتيجة اللافتة للنظر فى دول متعددة ومنها إسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا واليابان ويوغوسلافيا ودول أخرى عديدة.

قد يتسرع القاريء ويصل إلى نتيجة خاطئة مفادها ان الناس يتصرفون بنزاهة أو بعدالة، حتى عندما يتمتعوا بقوة تفوق قوة أقرانهم فى موقف معين. وللأسف الشديد ليس هناك ما يؤكد صحة هذه النتيجة من الناحية العملية. ولكن هناك ما يؤكد أن النزاهة ليست هى الدافع الرئيسى للتقسيم على أساس المساواة فى لعبة الإنذار.

لماذا إذن، رغم ما يتمتعون به من قوة نسبية، يلجأ أغلب المعطين إلى المساواة فى التقسيم..؟ السبب فى ذلك بسيط، وهو أنهم يخشون ان يتصرف شركاؤهم فى اللعبة بشكل غير عقلاني، فيرفضون المبالغ القليلة أو العروض التى يعتبرونها غير نزيهة. وإذا كان الأمر كذلك، فإن مصطلح القوة ليس بالبساطة التى تخبرنا عنها النظرية الاقتصادية العقلانية. فاللاعب الذى يقف فى موقف أدنى فى لعبة الإنذار لديه هو الآخر نقاط قوة. ويمكن أن نطلق على قوته اسم «قوة الضعيف». ويميز جون تيفوت وهارولد كيلي الخبيران المعروفان فى علم النفس الاجتماعى بين القوة التى تتمثل فى القدرة على البناء والقوة التى تتمثل فى القدرة على الهدم. وفى حالة اللعبة المذكورة، يتمتع المعطى بالسيطرة الكاملة على بناء العرض الذى سيتقدم به، ولكن بعد أن يتقدم بالعرض يصبح مصيره بين يدى المتلقى بكل ما للكلمة من معنى. وقد يختار المتلقى من جانبه أن يحافظ على العرض الذى تلقاه، ولكنه أيضاً قد يقوضه تماماً، كأنه يقول «على وعلى اعدائي».

أود هنا أن أشير إلى تجربة أخرى جاءت من مجال علم النفس الاجتماعى التجريبي، من البحوث التى تمثل أساساً لنظرية الهوية الاجتماعية. فى تجربة نموذجية دعا هانسين مجموعة من المشاركين للحضور إلى المعمل. وقسمهم إلى مجموعتين وفقاً لمعيار سطحى بسيط، بناء على اختيار كل منهم لأحد وجهى العملة. وتم استدعاء المشاركين فى التجربة إلى المعمل واحداً بعد الآخر. ولم يلتق أى منهم بالآخر قبل التجربة ولا أثناءها ولا بعدها. وطلب من كل واحد منهم أن يقسم مبلغاً ضئيلاً من المال بين شخص غير محدد الاسم من مجموعته وآخر غير محدد الاسم من المجموعة الأخرى. وقد كشفت هذه النوعية من التجارب أن المرء عادة يفضل العضو فى مجموعته، حتى لو ألحق بذلك ضرراً بأعضاء المجموعة الأخرى. ومن الناحية العملية فإن أى تقسيم من هذه النوعية إلى «نحن» و«هم» يكون كافياً لوجود تمييز من هذا النوع. غير أن التمييز الذى تكشف عنه هذه النوعية من التجارب غريب للغاية، نظراً لأن المشاركين فى التجربة يدركون أن التقسيم إلى مجموعتين هو مجرد تقسيم مصطنع، يجرى وفقاً لمعايير ليس لها أى معنى. ومن يقوم بالتمييز لا يعرف أصلاً أى شخص من مجموعته أو أى شخص من المجموعة الأخرى/ والأدهى من ذلك أنه لا ينتظر أن تتحقق له أى فائدة شخصية نتيجة لهذا التقسيم. والحق أن هناك نتائج بحثية توضح أنه عندما يتعارض التمييز ضد عضو من المجموعة الأخرى مع المصلحة الشخصية يفضل كثير من المشاركين فى التجربة التضحية بالمصلحة الشخصية من أجل التميز ضد «الآخر».

وقد اقترح هنرى تاجفيل الذى قام مع شريك له بإجراء أول تجربة من هذا النوع (Tajfel et al، ١٩٧١) تفسيراً مهماً للتمييز ضد الآخر. ووفقاً لهذا التفسير فإن الناس يسعون لتحقيق شعور بأهميتهم وبقيمتهم الشخصية عن طريق تفضيل مجموعتهم والتمييز ضد المجموعة الأخرى. وبالتالى فإنهم يرفعون من شأن مجموعتهم وبالتالى يرفعون من شأن أنفسهم.

من المنطقى الزعم بأن ما ثبتت صحته معملياً بالنسبة لمجموعة مصطنعة ليس لها تاريخ مشترك ولا مستقبل مشترك سيكون منطبقاً أكثر على أى مجموعة حقيقية. وقد طرح هذا الزعم عدد كبير من الباحثين الذين حاولوا فهم القوى الاجتماعية غير العقلانية التى تتسبب فى ظهور الحركات العنصرية والفاشية والسلفية المتطرفة. ذلك أن سعى الإنسان إلى التعظيم من شأن نفسه بانتمائه إلى مجموعة قوية ومنتصرة ومبجلة هو قوة هامة، تؤثر أيضاً فى نشأة وتطور الحركات العنصرية والدينية والقومية «الطبيعية».

عندما أجرى هنرى تاجفيل وزملاؤه تجاربهم، إلى أن طوروا نظرية «الهوية الاجتماعية» لم يكونوا مدركين ان أفكارهم الأساسية بشأن أهمية تعظيم الذات ليست جديدة. حيث ظهرت الأفكار التى تتناول سعى الفرد إلى التميز فى كتابات العديد من الفلاسفة مثل هيجل ونيتشة الذين كانت لهم أفكار مماثل لفكرة تاجفيل. وقد ورد مصطلح تعظيم الذات نفسه فى جمهورية أفلاطون. فقد أورد فى الكتاب الرابع تقسيم النفس إلى ثلاثة أقسام، حيث ذكر أن أقسام النفس هى الرغبة والذكاء وجزء آخر مستقل هو الـ«تيموس»، وهو القيمة التى يضعها الإنسان لنفسه أى الشعور الإنسانى الفطرى بالذات أو تعظيم الذات بشكل فطري.

من الناحية الظاهرية يعتبر الشعور بقيمة الذات جزءاً إيجابياً من ذاتية الإنسان، ولكن البحث المتعمق يكشف أنه ينطوى على أجزاء شائكة. وأعتقد أن طبيعته الشائكة تأتى نتيجة لثلاثة أسباب رئيسية:

يجرى النظر إلى مصطلح «قيمة الذات» بصفة عامة بطريقة نسبية وليس مطلقة. فقيمة الإنسان لابد أن تتحدد مقارنة بقيمة الآخرين. ويمكن للإنسان أن يحددها ليس فقط من خلال التعظيم من قيمة نفسه، وإنما يمكنه أن يفعل ذلك بسهولة عن طريق الحط من قيمة الآخر. ويمكن إلى حد معين اعتبار التوازن بين تقييم البشر لذواتهم ناتجاً عن العلاقات التنافسية المتمثلة فى المكسب والخسارة، كما هو الحال فى السوق الذى يشهد تنافسا للسيطرة على موارد محدودة.

يبدو أن العلاقات التنافسية تتسبب فى عدم اكتفاء الناس بالحفاظ على قيمتهم والدفاع عنها. وبدلاً من ذلك كثيراً ما يسعى الناس إلى التعظيم من شأن أنفسهم قدر الإمكان.

أما السبب الثالث الذى ربما يكون أهم سبب يهمنا هنا فهو أن الناس يحاولون التعظيم من شأن انفسهم، ليس فقط بناء على صفاتهم الشخصية، وإنما أيضاً وبشكل أساسى بناء على انتمائهم إلى جماعات راقية أو محترمة. ويرفع الفرد من شأن جماعته عن طريق المبالغة فى سجلها والحط من شأن الجماعة الأخرى، وبذلك يرفع من شأن نفسه. وتعد الجماعات الدينية أو العرقية أو القومية جماعات طبيعية يمكن عن طريقها تحقيق الرضا عن النفس لأعضاء الجماعة، الذين يسعون إلى التعظيم من شأن أنفسهم عن طريق المقارنة مع جماعات أخرى بهدف التعظيم من شأن مجموعتهم والحط من شأن الجماعة الأخرى والتمييز ضدها.

وبصفة عامة فإن "اقتصاد" تعظيم الذات ليس مختلفاً عن اقتصاد "الامتيازات المادية". وكل إنسان عندما يسعى للتعظيم من شأن نفسه يواجه منافسة وصراعاً حتمياً مع الآخر، حيث يحاول كل فرد أن يحقق لنفسه نقطة تميز إيجابي. وهنا يكون الحط من شأن الآخر استراتيجية فعالة لرفع قيمة الذات.

تعطى نظرية الهوية الاجتماعية اهتماماً خاصاً للعلاقات بين الجماعات المختلفة، كالعلاقة بين الأغلبية والأقلية. ولأن النظرية تفترض أن أعضاء الجماعة سيلجأون للتمييز ضد الجماعة الأخرى، يمكن أن نفترض أن جماعات الطبقة الراقية التى تعتبر الأكثر قوة ومكانة وثراء بما يمكنها من اللجوء للتمييز ضد الآخر ستكون أكثر تمييزاً ضد الآخرين. وقد دعمت نتائج التجارب المعملية من هذا الرأي.

يتناول أحد التوقعات الهامة لنظرية الهوية الاجتماعية سلوك أعضاء إحدى الجماعات الراقية، الذين ينظرون إلى الوضع الذى تتسم به العلاقات بين مجموعتهم ومجموعة أدنى على أنه لا يتسم بالعدالة، ولكنهم يعتبرونه مستقراً. فى هذه الحالة تتوقع النظرية أن يؤدى بهم التناقض بين رؤية الجماعة المذكورة لعدم العدالة وبين سلوكهم الذى ينطوى عملياً على تمييز فى نهاية الأمر إلى تغيير موقفهم بدلاً من تغيير سلوكهم، وذلك فى محاولة لإيجاد مبرر لسلوكهم الذى ينطوى على تمييز. ولن يحاول أعضاء الجماعة الراقية تغيير سلوكهم الذى ينطوى على تمييز سوى عندما يدركون أن هذا الوضع غير شرعى وغير مستقر.

هنا أيضاً كما كان الحال فى لعبة الإنذار لن تكون المسألة قاصرة على حس العدالة أو النزاهة أوالسخاء من جانب من يتمتعون بالقوة، الذى يدفعهم للتصرف بنزاهة مع الفقراء، وإنما سيكون حساب مصالحهم الشخصية هو الذى يحركهم بسبب الخطر الذى سيتمثل عليهم من الجانب الضعيف.

من الناحية النظرية تبدو هذه الرؤية السلبية غير واعدة، عند التفكير فى فرص التسامح أو الوفاق أو التعايش. ولكن هل يمكن أن تكفى الشواهد التاريخية المعروفة لنا لنقض أسس التشخيص النظرى للحالة ولتفنيد النقاط البحثية التى أشرنا إليها آنفاً..؟ لا أعتقد هذا. ومن الناحية العملية فإن الخطاب التاريخى للصراعات العرقية والقومية، ومنها الصراعات القائمة فى عصرنا هذا يقدم لنا أمثلة شديدة البشاعة على سهولة تصعيد الصراعات وصعوبة تهدئتها. ويبدو أن التوتر وعدم التسامح والتشدد هى قواعد اللعبة، أما التسامح والتعايش فهما الاستثناء. ويمكن للتفكير فى الجانب التاريخى والأيديولوجى فى الصراعات الحقيقية - وهو ما لم نفعله هنا - أن يضيف مزيداً من التعقيد، الذى من الممكن أن يؤدى لتقليل فرصة تطور علاقات التسامح والوفاق.

كيف يمكن تطبيق التحليل الذى طرحناه هنا على النزاع اليهودى الفلسطيني..؟ وما هى الدروس المستفادة فيما يتعلق بالعلاقات بين الأغلبية اليهودية والأقلية الفلسطينية فى إسرائيل..؟ من البديهى أننا يجب أن نعترف بالقيود التى يفرضها ضيق نطاق البحث المعروض هنا وعدم قدرته على تقديم ردود مناسبة لهذه الأسئلة الهامة. ورغم ذلك فإننى أود الحديث عن تلك الأسئلة باختصار، وذلك من خلال التحليل الذى أوردته آنفاً. وفى غضون ذلك سوف أركز على العلاقة بين الأغلبية والأقلية فى إسرائيل. ولن أتناول المجال الأوسع وهو المشكلة الإسرائيلية الفلسطينية والمشكلة اليهودية العربية، سوى إذا اضررت لهذا.

إذا استخدمنا مصطلحات من التى استخدمتها نظرية الهوية الاجتماعية فإن الأغلبية اليهودية - التى يعتبر وضعها أرقى - تنظر إلى الوضع الراهن، الذى فى ظله توصف دولة إسرائيل بأنها دولة الشعب اليهودي، وتدار بناء على هذا، على أنه وضع مشروع. ورغم أن كثيرين من اليهود الإسرائيليين يدركون أن استخدام هوية الشعب اليهودى من أجل تقرير المصير قد تصادم بشكل مأساوى مع حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره، إلا أن رد فعلهم على ذلك يتسم فى الغالب بالأنانية، ولا يتمثل فقط فى كبت وإنكار الشعور بالذنب الناتج عن الاعتداء على حق الشعب الفلسطيني، بل ويمتد إلى تحييد هذا الشعور عن طريق المبررات الأيديولوجية والشعور المبالغ فيه بالعدالة.

وبالنسبة لجانب الاستقرار وعدم الاستقرار، لا تقل الصورة عن ذلك تعقيداً. وذلك لأنه ليس من الممكن الفصل بين التهديد الذى يشعر به أغلب أبناء الشعب اليهودى من الأقلية الفلسطينية التى تعيش فى إسرائيل، وبين التهديد الذى يشعر به من باقى الشعب الفلسطيني، ومن العالم العربى كله. والأدهى من ذلك أنه ليس من الممكن أن نفهم تماماً الأهمية النفسية لهذا الشعور استناداً إلى الحسابات الموضوعية لتوازن القوى فحسب. فالخوف النفسى يتضخم ليصل إلى حد الهلع الشديد لأنه يرتبط بالذاكرة الجمعية للشعب اليهودي، فيما يتعلق بالنكبة النازية وبالتاريخ الطويل الذى مر به هذا الشعب كأقلية مضطهدة.

وأخيراً فإن الأغلبية اليهودية تعتبر أهدافها الجماعية عادلة، ورغم أنها بلا شك تعد الجانب القوى والمسيطر، إلا أنها تشعر بعدم الأمان فى مواجهة الأقلية الضعيفة. ونتيجة لذلك فقد تبنت هذه الأغلبية بشكل رسمى وشعبى على حد سواء سياسة تمييز متطرفة ضد الأقلية الفلسطينية.

من الأهمية بمكان أن نؤكد أنه فضلاً عن الفائدة المادية الجماعية التى تترتب على التمييز ضد الأقلية فإن هذا التمييز يخدم هدفين نفسيين.

يستخدم أعضاء الأغلبية التمييز ضد الأقلية من أجل دعم وترسيخ شعورهم بالسيطرة، وتعظيم إحساسهم بالأمن وتعظيم شأن أنفسهم نتيجة لذلك.

من خلال رفع مستوى التمييز من تمييز طبيعي إلى تمييز متطرف ينطوى على إنكار شرعية الآخر تعزز الأغلبية من شعورها بالشرعية. وفى هذا الصدد جدير بنا أن نشير إلى أن هناك قيم عديدة فى الأيديولوجية الصهيونية والتاريخ الجماعى للأغلبية اليهودية تستمد أهميتها الأيديولوجية من نفى الآخر العربى أو الفلسطيني. ومن أهم الأمثلة فى هذا الصدد ما نطلق عليه "تخليص الأرض" و"احتلال فرص العمل" وهى من أهم نماذج المبادىء الصهيونية الإيجابية القائمة على نفى الآخر. ومن هذا المنطلق يصبح رفض شرعية الآخر مسألة أخلاقية يفخر بها المؤمنون بها، وهو ما يعنى أنها تسهم فى تعظيم الذات.

بالنسبة لأعضاء جماعة الأقلية فإن التمييز ضدهم فى تخصيص موارد الدولة وفرص العمل وتطوير المشروعات والاستثمار فى التعليم وغيرها يسبب لهم خسائر فورية مادية بديهية. ومع ذلك فإن جزء من الثمن الذى تدفعه الأقلية دون أن يتحدث عنه أحد هو التأثير الهدام للتمييز ضدها ولنفى شرعية وجودها على شعور أبنائها بقيمتهم. ويعتبر إقصاء الأقلية بعيداً عن ثقافة الدولة وتاريخها وأساطيرها ورموزها - بالإضافة إلى تعظيم الأغلبية لقيمة العناصر التاريخية والثقافية التى تتعارض مع وجود هذه الأقلية - أشياء هدامة تدمر شعور أبناء الأقلية بقيمتهم.

فى ضوء كل هذا هل يمكن لأعضاء الأقلية أو يجب عليهم الانتفاع بما يتاح لهم من خلال التصرف بشكل عقلانى وقبول أى عرض يتلقونه..؟ أليس الأكثر فائدة واحتراماً أن يرفضوا أى "عرض مهين" يتلقونه..؟ تدل الأفكار والمعلومات التى أوردتها فى هذا المقال، والمأخوذة من مجالات الاقتصاد وعلم النفس الاجتماعى على أن طيبة الطرف القوى لا تمثل ضماناً لأن يتسم تقسيمه بقدر من المساواة. والضمان الأفضل من وجهة نظرى للأسف هو خوفه من "قوة الضعيف". ورغم كل ذلك فإنه كما هو الحال فى كافة أنواع العلاقات من الممكن للجانب الضعيف المتخاذل أن يفتح شهية الجانب القوي، إذا علم أن أى عرض سيقدمه له سيكون مقبولاً. ولكن فى استطاعة الجانب الضعيف الحصول على مقابل أفضل إذا التزم بسياسة النفس الطويل ورفض العروض المهينة. ويمكنه بهذه الطريقة أن يعلم الجانب القوى أن العدالة تحقق مصالحه أكثر. وفى هذا الصدد يمكننا أن نلقى العزاء فى القول بأنه فى المواقف الإنذارية يعمل الوقت لمصلحة الجانب الضعيف. وذلك لأن من المنطقى افتراض أن الجانب القوى الذى فى يده الكعكة سيتعلم ألا يتقدم بعروض ظالمة أسرع من تعلم الجانب الضعيف لقبول العروض المقدمة إليه. ومعنى ذلك ببساطة هو أنه للمرة الأولى سيكون لديه ما يمكن أن يخسره فى حالة رفض عرضه المهين، وحتى لو لم نحسب الشعور بالرضا الذى يشعر به الجانب الضعيف لرفضه العرض المهين فإن الثمن الذى سيدفعه عن هذا الرفض تافه.

---

* هوامش وتعليقات:

١ - أرض إسرائيل: الاسم الذى يطلقه بعض اليهود على المساحة التى تشمل الآن إسرائيل والأردن والأراضى الفلسطينية المحتلة وأجزاء من سوريا ولبنان والعراق ومصر. وتتسع هذه المساحة أو تضيق حسب هوية من يتحدث عنها وحسب قوة أو ضعف دولة إسرائيل.

٢ - الكيبوتس: مستعمرة ذات طابع تعاوني. تقوم الحياة فيها على الملكية المشتركة لأدوات الإنتاج. ويعمل فيها كل حسب استطاعته ويحصل كل على احتياجاته. ويتم توزيع العمل فى نوبات على جميع الأعضاء سواء كان هذا العمل زراعياً أو صناعياً أو فى الأعمال الداخلية كالنظافة والتعليم وتربية الأطفال. ويوضع أطفال المستعمرة فى عنابر جماعية ويُسمح للآباء بزيارة أبنائهم فى وقت معين خلال اليوم، ولكن لا يُسمح للأبناء بالمبيت مع آبائهم.

٣- الموشاف: مستعمرة ذات طابع زراعى تقوم الحياة فيها على الملكية الفردية، حيث يملك كل عضو فيها قطعة أرض، يقوم بزراعتها حسب ما تقرره لجنة المستعمرة. وتقوم جمعية تعاونية بتسويق الإنتاج لصالح الأعضاء، ويحصل كل عضو فى النهاية على ثمار عمله. ويعيش الأعضاء حياة أسرية عادية مع عائلاتهم.

◆ دراسات ◆

٣

مجموعة الاستخبارات الإسرائيلية: إلى أين..؟ تحليل واتجاهات وتوصيات

مركز بحوث الأمن القومى الإسرائيلى (مذكرة ٩٧ - مارس ٢٠٠٩)

بقلم: شموئيل إيفن وعاموس جرانيت - ترجمة وإعداد: مصطفى الهواري

* مدخل:

«جاسوس واحد فى المكان الصحيح يساوى ألف جندى فى ميدان القتال» - هكذا وصف نابليون بونابرت أهمية الاستخبارات فى الحرب. والفكرة القائلة بأن الاستخبارات هى «مضاعف قوة» هى فكرة صائبة اليوم أيضا، ومنذ ذلك الحين تضاعفت أهمية الاستخبارات فى كل الثورات العسكرية.

تتناول هذه المذكرة مجموعة أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية التى تضم شعبة الاستخبارات فى الجيش الإسرائيلى (المعروفة اختصاراً باسم «أمان»)، وجهاز الأمن العام (المعروف اختصاراً باسم «الشاباك») وجهاز المخابرات والمهام الخاصة (الموساد). وبالإضافة إلى هذه الأجهزة تضم المجموعة أيضا هيئة الاستخبارات فى الشرطة (ضمن شعبة الاستخبارات والتحقيقات) ومركز البحوث السياسية فى وزارة الخارجية (المعروف اختصاراً باسم «مماد»). ويمكن تعريف المجموعة بوضعها الحالى بأنها مجموعة تنظيمات رسمية تعمل فى مجال جمع المعلومات وإجراء البحوث وتنفيذ عمليات سرية لصالح أمن إسرائيل القومي.

فى العقود الزمنية الأولى من عمر الدولة كانت أجهزة الاستخبارات بعيدة عن الأضواء، لكن بمرور السنين بدأت مجموعة أجهزة الاستخبارات تتكشف للجمهور، وأصبح رؤساء المجموعة معروفين الآن للجميع، كما تُنشر تقديراتهم بشكل اعتيادى فى وسائل الإعلام، وأجهزة الاستخبارات تقدم نفسها فى مواقع الإنترنت، وهناك قانون يحدد بالتفصيل مهام الشاباك، وتتطرق تقارير لجان التحقيق التى تم نشرها على الملأ إلى أسلوب أداء أجهزة الاستخبارات بالتفصيل، ويقوم مسؤولون كبار متقاعدون من أجهزة الاستخبارات بشرح وجهات نظرهم على مسمع ومرأى من الجميع فى مختلف المناسبات.

على الرغم من المعلومات الغزيرة عن كل هذه التنظيمات فإنه لا يوجد تناول منظم لمسألة هدف ومهام وطريقة أداء مجموعة أجهزة الاستخبارات كآلية تتبع الدولة. بمعنى أنه لا يوجد تناول لمسائل مثل: ما هى المهام الاستراتيجية التى أسندتها القيادة السياسية إلى مجموعة أجهزة الاستخبارات..؟ وهل أعمال الأجهزة المختلفة فى المجموعة مستقاة من استراتيجية استخباراتية قومية تترجم إلى خطة عمل جماعية..؟ وما هو عنصر التنسيق بين أعمال مجموعة الأجهزة ونظرية الأمن القومي..؟ وهل تعمل المجموعة ككيان واحد، أم أن كل كيان يعمل لذاته..؟ وما هى آليات السيطرة والرقابة على المجموعة..؟.

هذه القضايا تناقشها المذكرة. وهى لا تتطرق لأداء أجهزة الاستخبارات ككيانات منفصلة بل تتفحص مجموعة أجهزة الاستخبارات ككل لا يتجزأ، وهذه هى خصوصية المذكرة وإسهامها المحتمل.

القضية الأولى التى تتناولها المذكرة هى أهداف وأسلوب عمل مجموعة أجهزة الاستخبارات. وفقاً لما ورد بالمذكرة فإن لمجموعة أجهزة الاستخبارات هيكلاً تنظيمياً ضعيفاً لا يتناسب بالشكل الكافى لمواجهة التحديات الأمنية الحالية التى تعترض طريق دولة إسرائيل. معنى هذا أنه لا يوجد لمجموعة أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية منسق/ رئيس/ مدير، وليست لها آليات على مستوى المجموعة، باستثناء لجنة رؤساء الأجهزة التى تعد هيئة تنسيق تطوعية وليست لها سلطة وآلية إصدار قرارات. ونتيجة لهذا فإنه لا توجد للمجموعة خطة عمل مشتركة، ولا يوجد تنسيق فى مجال بناء القوة بين أجهزة الاستخبارات المختلفة ولا توجد رؤية شاملة بشأن تخصيص الموارد فى المجموعة. فشعبة الاستخبارات العسكرية (أمان) تتبع رئيس هيئة الأركان العامة وميزانيتها هى جزء من ميزانية الجيش الإسرائيلى وميزانية الدفاع، بينما يتبع جهاز الأمن العام (الشاباك) والموساد رئيس الوزراء وترصد لهما ميزانية فى إطار ميزانية ديوان رئيس الوزراء. ولا توجد جهة تبحث كل هذه الميزانيات الكبيرة من خلال رؤية شاملة.

هذا الوضع تبلور فى العقد الزمنى الأول من عمر دولة إسرائيل، ومنذ ذلك الحين لم يتغير جوهرياً. وفى الماضى أيضا لم يسهم هذا الهيكل فى تحسين أداء المجموعة، إلا أن الحاجة إلى تغيير هيكل المجموعة أصبحت ملحة فى الوقت الحالى من أجل أداء أكثر فاعلية ومن أجل أمن الدولة - سواء بسبب تغير التهديدات الأمنية (فقد تزايد ثقل التهديدات التى تتعامل معها مجموعة أجهزة الاستخبارات) أو بسبب تغير المحيط الخارجى لمنظمات الاستخبارات. فعلى سبيل المثال، تؤدى ثورة المعلومات وتكنولوجيا المعلومات واتساع مجال السيطرة والتحكم، كبعد جديد للنشاط الاستخباراتى والعملياتى، تؤدى حالياً إلى التقاء مجالات نشاط وعمل استخباراتية وعملياتية كانت منفصلة فى الماضى عن بعضها البعض. وفى الساحات الرئيسية بالمحيط الإستراتيجى لإسرائيل (مثل إيران والإرهاب) تجد أجهزة المجموعة نفسها تعمل جنبا إلى جنب فى مواجهتها للتحديات الأمنية، ولا يوجد جهاز يستطيع التعامل وحده مع التحديات. وتظهر محاولة توقع التوجهات التى سوف تميز المحيط الاستراتيجى الإسرائيلى فى العقد القادم، وكذلك التوجهات التكنولوجية - الاجتماعية التى ستظل تشكل ملامح العمل الاستخباراتى، أن الحاجة إلى وجود رؤية شاملة لمجموعة أجهزة الاستخبارات وإلى أدائها الجماعى التعاونى سوف تتزايد من أجل تحقيق أهداف قومية بأقصى قدر من الفاعلية.

كان من المفترض أن يكون هذا الواقع ومحدودية الموارد دافعاً لمجموعة أجهزة الاستخبارات إلى التعاون التام فيما بينها، ولكن بدلاً من أن يزيد التعاون يبدو أن تغير التهديدات قد ساهم بالذات فى زيادة حدة التوترات والعزلة بين أجهزة الاستخبارات.

إذا كان قد ساد الإجماع حتى ثمانينيات القرن العشرين على أن الجيش الإسرائيلى هو الكيان الرئيسى الذى يتولى مهمة التعامل مع التهديدات الأمنية الخارجية الخطيرة، فالأمر ليس كذلك حالياً. فالموساد والشاباك يريان أنهما يقفان فى جبهة الأمن القومى فى مجالات زادت أهميتها إلى أبعد الحدود - إحباط الإرهاب وإحباط محاولة تطوير أسلحة غير تقليدية والتزود بها. وأدى غياب يد موجهة، من ناحية، والرغبة الطبيعية لدى كل جهاز فى أن يكون فى مقدمة العمل الأمنى وأن يؤدى مهامه وفقاً لما يراه، من ناحية أخرى، إلى تعميق الانفصال والعزلة بين الأجهزة. نحن ندرك إذاً أن هناك حاجة ماسة إلى تآلف منظومة الأمن القومى بوجه عام (الجيش الإسرائيلى والأجهزة الأمنية من خارج وزارة الدفاع) ومجموعة أجهزة الاستخبارات بوجه خاص. ومن المحتمل أن يحدث التآلف فى مجموعة أجهزة الاستخبارات إذا أصبح هناك محور إدارة مركزى وأصبحت هناك آليات ملائمة على مستوى المجموعة تتولى تنظيمها.

فى ضوء ما سبق فإننا فى إطار هذه المذكرة نقترح تشكيل هيئة إدارية وتنظيمية مركزية لمجموعة أجهزة الاستخبارات يتولى رئاستها رئيس مجموعة الاستخبارات. هذه الهيئة المركزية سوف تخلق الظروف المناسبة لعمل مشترك لأجهزة الاستخبارات وتحقق الاستفادة المنظمة من قدرات المجموعة، وستؤدى إلى زيادة مردودها الأمني. وسيكون رئيس مجموعة الاستخبارات تابعاً لرئيس الوزراء وسيلقى القبول أيضا من وزير الدفاع. ويمكن أن نجد سنداً لهذه الوظيفة فى الهيكل التنظيمى لمجموعة أجهزة الاستخبارات الأمريكية بالشكل الذى تطورت به فى العقد الأخير، وكذلك فى الدروس التى استخلصتها لجان التحقيق وتقصى الحقائق الخاصة بمجموعة أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية. وقد أدركت بعض هذه اللجان الاحتياج إلى وجود همزة وصل بين مجموعة أجهزة الاستخبارات وبين رئيس الوزراء تساعده على التعامل معها. لكن على النقيض من توصياتها، فإن المقصود بالاقتراح الذى تطرحه هذه المذكرة ليس إيجاد همزة وصل تقوم بوظيفة تقديم المشورة أو التقديرات الاستخباراتية، بل هى وظيفة إدارية لها صلاحيات التخطيط والتنسيق والرقابة، ولها طاقم قيادى قوي. وعلى الرغم من هذا فإننا لا نقترح تغيير تبعية رئيس الموساد ورئيس الشاباك المباشرة لرئيس الوزراء، وتبعية رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية (أمان) لرئيس هيئة الأركان العامة.

كجزء من الحل، نقترح تشكيل آليات لتنفيذ عملية التنسيق بين أجهزة الاستخبارات، مثل تشكيل طواقم تختص بموضوعات ميدانية مشتركة فى المجموعة - كالفلسطينيين وإيران وغيرهم - وأيضا مثل تشكيل طواقم مشتركة تعنى بموضوعات تخصصية فى كافة المجالات، مثل تشكيل لجنة مشتركة للحصول على معلومات من مصادر بشرية (يومينت) ولجنة للحصول على معلومات

من مصادر إلكترونية (سيجينت)، وتُعنى بموضوعات تخصصية بينية المجالات، مثل: لجنة مشتركة لليوجينت - وهو مجال لجمع المعلومات يجمع بين مجالات تخصصية مختلفة: يومينت وسيجينت. وإلى جانب هذه التشكيلات سيتم الحفاظ على الهوية التنظيمية لكل جهاز من أجهزة المجموعة. أى أن مجموعة أجهزة الاستخبارات ستبدو وكأنها مجموعة شركات ((concern لها أهداف واضحة وخطة عمل، وتكون لكل جهاز خصوصيته ووظيفته الخاصة به.

ينبغى التأكيد هنا أن الحاجة إلى الهيكل التنظيمى المقترح - رئيس لمجموعة أجهزة الاستخبارات وآليات للتنسيق بين الأجهزة - هى استنتاج واضح تفرضه أربع زوايا مختلفة للرؤية تتناولها هذه الدراسة بالتحليل وهى: "نظرة على الحاضر" - أى تحليل الوضع التنظيمى الحالى ومشكلاته (الفصل الأول)، و"نظرة على الماضي" - أى علامات الطريق التاريخية التى توضح لماذا تبدو مجموعة أجهزة الاستخبارات بالصورة التى تبدو عليها اليوم، وتحليل الدروس التنظيمية المستخلصة من الماضى (الفصل الثاني)، و"نظرة على المستقبل" - وهى تحليل للتحديات التى تواجه مجموعة أجهزة الاستخبارات فى العقد القادم (الفصل الثالث)، ثم "نظرة على ما وراء البحر" - وهى تحليل مقارن مع مجموعتى أجهزة الاستخبارات فى الولايات المتحدة وبريطانيا (الفصل الرابع).

هناك قضية ثانية تتناولها المذكرة، وهى الفائدة التى ستعود على إسرائيل من وراء زيادة استغلال القدرات العملية للاستخبارات فى إطار نظرية الأمن وتطبيقها. من أجل توضيح هذا الأمر تعرض المذكرة تمييزاً بين مفهوم إنتاجيات مجموعة أجهزة الاستخبارات المطلوبة لمسيرة اتخاذ قرارات إستراتيجية للقيادتين السياسية والعسكرية، ومفهوم الإنتاجيات العملية لمجموعة أجهزة الاستخبارات التى تحتاجها التشكيلات القتالية. وبالنسبة للإنتاجيات الأخيرة - فالمقصود بها هو المهام القتالية البارزة، مثل: القتال السرى فى جبهة واسعة، والمشاركة فى القتال من منطلق أن الاستخبارات عنصر مكمل فى إطار استخدام قوة نيران الجيش الإسرائيلى (على سبيل المثال: جمع معلومات عن أهداف)، والمشاركة فى الحرب النفسية (التأثير على فئات مستهدفة بواسطة المعلومات)، والإجهاض عن طريق الكشف (الكشف عن جهود العدو السرية والإبلاغ عنها بهدف إجهاضها)، وما إلى ذلك.

التغيرات التى طرأت خلال العقود الأخيرة على التحديات الأمنية التى تواجهها دولة إسرائيل، وعلى القدرات العملية لأجهزة الاستخبارات تؤكد الحاجة إلى زيادة استخدام قوات الاستخبارات، بمعنى: زيادة إنتاجية قوات الاستخبارات على الصعيد العسكري. فعلى سبيل المثال، الاعتماد المتزايد من جانب القوات الجوية وجميع القدرات النيرانية الإسرائيلية على قدرات الاستخبارات. وإذا كانت إسرائيل قد نجحت فى الماضى فى أن تخلق فى مواجهة الجيوش العربية ظروفاً عملياتية حاسمة باستخدام قوة جوية مسيطرة، فإن فاعلية قوة نيران الجيش الإسرائيلى اليوم - فى مواجهة خصوم يتبنون أسلوبا قتاليا يعتمد على الاختفاء والهروب (مثل حزب الله وحماس) ويقفون فى جبهة التهديد - مرهونة إلى حد كبير باستخبارات ذات حجم ومستوى دقة كبيرين. وهناك مثال آخر: أن الاتجاه إلى التزود بسلاح نووى يضع الاستخبارات فى بؤرة المواجهة للتصدى لتنامى تهديد مصيري. وفى ظل الواقع الحالى المتمثل فى فرض رقابة على التسلح، فإن الاختراق الاستخباراتى والحصول على معلومات "تجريمية"، يشكلان أداة إحباطية وقائية من الدرجة الأولى.

القضية الثالثة التى تناقشها هذه المذكرة تتعلق بجمع المعلومات ودراستها وإجراء بحوث عليها من أجل اتخاذ قرارات إستراتيجية. وتستعرض المذكرة بعض التحديات العصرية التى تواجهها مجموعة أجهزة الاستخبارات فى هذا المجال. صحيح أن مشكلات إسرائيل الإستراتيجية كانت تتطلب فى الماضى فهماً عميقاً للخصوم وللدائرة المحيطة، ولا تزال تتطلب مثل هذا الفهم اليوم أيضا، إلا أنه يمكن الإشارة إلى بعض المجالات التى يوجد بها شيء من التجديد. يتعلق المجال الأول بضرورة أن يكون هناك تعامل أكبر مما كان فى الماضى مع الساحات التى تكثر فيها كيانات سياسية وعسكرية بلا سلطة مركزية قوية. وينطبق هذا القول على الساحة الفلسطينية ولبنان والعراق. ومن الناحية البحثية، يمكن القول بأن هذا تحد معقد بالمقارنة مع وضع دولة يقودها نظام حكم مستقر وجهة مركزية تتخذ القرارات. ويتعلق المجال الثانى باحتمال امتلاك دول مستهدفة فى المنطقة لسلاح نووى فى المستقبل، وهو تطور يتطلب إعادة النظر فى نظرية "الردع النووي". أما المجال الثالث فإنه يتعلق بتعميق الساحة واتساعها - حيث أصبحت إيران البعيدة بؤرة اهتمام، وكذلك دول بعيدة أخرى متداخلة فى الشرق الأوسط.

فى كل ما يتعلق بإجراء البحوث فى مجموعة أجهزة الاستخبارات، تتضمن هذه المذكرة اقتراحا للمجموعة بأن تتحول من حالة الانفصال المبالغ فيها إلى حد التطرف باسم التعددية (كثرة الآراء من جانب عناصر التقدير) إلى حالة التعاون وإلى رؤية مركزية قومية، وذلك دون تجاهل التعددية. فمثلا، تتشكل آلية مهمتها توضيح اختلاف المواقف والخلافات فى الرأى داخل المجموعة قبل عرض تقدير الموقف القومى على الحكومة. فى الوضع الحالى يجد القائد أحيانا صعوبة فى الوقوف على الفروق الموجودة بين مختلف التقديرات وعلى أسبابها. وهناك أيضاً أفكار أخرى مقترحة: إنشاء وحدة رقابة وسيطرة على مستوى المجموعة، ووضع خطة عمل مشتركة للأبحاث الأساسية، والتطوير المشترك لنظرية البحث الاستخباراتي، والتدريب المشترك، والتعاون لتوسيع معرفة الباحثين فى مجالات مختلفة (مثل: الفلسفة والاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس وما شابه ذلك)، واستخلاص الدروس

المستفادة من إخفاقات الماضي، وغيرها من الأفكار.

فى علاقة الاستخبارات مع المنتفعين بخدماتها - ينبغي مواءمة تطلعات المنتفعين مع القدرات الحقيقية للاستخبارات عن طريق الحوار الدائم بين الطرفين. وينطبق ذلك سواء على التطلعات المفرطة بشأن تنبؤات الاستخبارات أو سواء فيما يتعلق بنقص المعلومات عن القدرات والطاقات الهائلة التى تتمتع بها قوى الاستخبارات فى المجالات العملية المختلفة.

كتب هذه الدراسة الدكتور شموئيل إيفن والدكتور عاموس جرانيت فى إطار برنامج شيرى ويسرائيل رويزمان للاستخبارات والأمن القومي، الذى يرأسه اللواء (احتياط) أهارون زئيفى فركش (الرئيس الأسبق لشعبة الاستخبارات العسكرية "أمان"). وضم فريق التوجيه رئيس البرنامج (صاحب مبادرة تشكيل الفريق وقائده) وكاتبى البحث، وكذلك الدكتور باراك بن تسور. كما أسهم فى الدراسة الدكتور تسفى شتاوبر، ودان مريدور، واللواء (احتياط) رافائيل فيردي، والدكتور يهودا بن مئير، وأهارون - دافيد كوبرمان، ودودى سيمان طوف، والعقيد (احتياط) الدكتور راؤوفين إرليخ، وباحثون آخرون.

عُرضت الاستنتاجات الرئيسية فى هذه المذكرة على رؤساء أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية السابقين، ومن بينهم: يعقوف بيرى، والفريق (احتياط) أمنون ليبكين شاحاك، والفريق (احتياط) موشيه يعلون، واللواء (احتياط) دانى ياتوم، وكرمى جيلون، واللواء (احتياط) عاموس ملكا، واللواء (احتياط) شلومو جازيت، وإفرايم هاليفى. بوجه عام كان هناك إجماع فى الرأى بين المشاركين على وصف الوضع بالصورة التى عرضتها هذه الدراسة، وكذلك إجماع بقدر أو بآخر على التوصيات التى وردت فيها. إلا أن عدداً غير قليل منهم أعربوا عن تشككهم فى استعداد "المنظومة" لإحداث تحول حقيقى فى الوضع القائم. تجدر الإشارة فى هذا الصدد إلى اقتراح أحد المشاركين بأنه سيكون من الصواب تبنى النموذج الذى تقدمه الدراسة مع التأكيد على أن يبدأ تطبيقه بعد ثلاث سنوات حتى يكون كل المرشحين القادمين لمناصب رؤساء أجهزة الاستخبارات ملتزمين بالهيكل التنظيمى الجديد.

* مقدمة:

لمجموعات الاستخبارات فى العالم بوجه عام ثلاث وظائف رئيسية:

١- جمع المعلومات وإجراء البحوث والتقديرات عن الخصوم والمحيط الاستراتيجى لصالح المستفيدين من العمل الاستخباراتي.

٢- أن تكون ذراعا سرياً يعمل خارج حدود الدولة من أجل تحقيق مصالح الدولة وأهدافها الإستراتيجية.

٣- التعامل مع التهديدات التآمرية - السرية داخل الدولة.

تتناول هذه المذكرة مجموعة أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية التى تضم أمان والشاباك والموساد، بالإضافة إلى جهازين أصغر حجماً هما: مركز البحوث السياسية فى وزارة الخارجية ووحدة الاستخبارات فى الشرطة (تتبع شعبة التحقيقات والاستخبارات). ولا تتناول المذكرة كل جهاز من الأجهزة على حده، بل تبحث فى مجموعة أجهزة الاستخبارات ككل لا يتجزأ وإنتاجيتها كنسيج واحد.

فى ضوء هذا، تركز المذكرة على قضية التعاون داخل مجموعة الأجهزة. كانت مجموعة أجهزة الاستخبارات قد حققت فى الماضى نجاحات رائعة أفادت أمن دولة إسرائيل بشكل ملموس. وقد تحقق الكثير من هذه النجاحات بفضل التعاون بين الأجهزة، وهو ما يؤكد أهمية التعاون، كما يؤكد أيضا عواقب غياب هذا التعاون. تقول فرضية هذه الدراسة فى هذا المجال إنه حتى لو كان من الصعب تحديد الفائدة المنتظرة من مثل هذا التغيير التنظيمى أو غيره، فإنه يمكن الافتراض بأن المؤسسات التى توجد بها آليات للتعاون بين الهيئات وبرامج عمل مشتركة وما شابه ذلك، من شأنها أن تحقق إنتاجيات أعلى بكثير من تلك التى ليست من هذا النوع. لذلك فإن التغييرات التى يمكن أن تسهم فى مثل هذه الثقافة فى مجموعة أجهزة الاستخبارات من شأنها أن تؤدى إلى تحسين مساهمتها فى تحقيق أهداف قومية. موضوع آخر تتناوله المذكرة، وهو مشاركة وإسهام مجموعة أجهزة الاستخبارات فى المجهود الحربي. هنا تفترض المذكرة أن التغيرات الملحوظة فى طبيعة الحروب وفى التحديات الأمنية تتطلب إعادة النظر فى هذه المسألة.

يعتمد البحث على الأسئلة التالية:

١- كيف تؤدى مجموعة أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية مهامها حاليا وكيف تطورت على مر السنين..؟.

٢- هل يتناسب الهيكل التنظيمى للمجموعة وأداؤها مع التحديات الأمنية التى تواجهها إسرائيل..؟ وإلى أى مدى يختلف المردود والأداء المطلوبان من أجهزة الاستخبارات عن تلك التى كانت تميزها فى العقود السابقة فى ضوء تغير المحيط الإقليمى والعالمي، وتغير طبيعة الحروب والتطورات التكنولوجية..؟.

٣- كيف يمكن زيادة إنتاجية مجموعة أجهزة الاستخبارات ككل عن طريق تحسين أداء المجموعة كمنظومة واحدة..؟.

٤- كيف يمكن زيادة التكامل الأمنى عن طريق أداء مجموعة أجهزة الاستخبارات بالمشاركة مع عناصر القوة الأخرى..؟ بمعنى ما هى المهام والأعمال التى يمكن مطالبة مجموعة أجهزة الاستخبارات بتنفيذها من أجل المساهمة فى زيادة إنتاجية أمن

إسرائيل..؟.

يشمل منهج البحث الخاص بهذه المذكرة المراحل التالية:

١ - تشخيص الوضع القائم وتحليل الاتجاهات - فى هذا الصدد تم استعراض الاتجاهات والجهود التى بذلت فى الماضى لتنظيم مجموعة أجهزة الاستخبارات، وعلامات الطريق فى تاريخ مجموعة أجهزة الاستخبارات التى يمكن أن تفسر كيف تطور الهيكل التنظيمى الحالى للمجموعة وأسلوب أدائها - الفصلان الأول والثاني.

٢ - دراسة الحاجة إلى التغيير - فيما يتعلق بالمحيط الإستراتيجى لتحديات مجموعة الاستخبارات فى العقد القادم، والإشارة إلى الفجوات بين ما هو مرغوب وما هو كائن بالفعل وأسباب حدوث هذه الفجوات - الفصل الثالث.

٣- نظرة إلى ما وراء البحر - صور من المقارنة بين مجموعة الاستخبارات فى إسرائيل وبين مجموعتى أجهزة الاستخبارات فى الولايات المتحدة وبريطانيا - الفصل الرابع والملحق.

٤ - توصيات - نماذج للحل ومقترحات لتحسين أداء مجموعة الاستخبارات الإسرائيلية - الفصل الخامس.

سوف تستخدم فى هذه المذكرة المصطلحات شائعة الاستخدام فى مجموعة الاستخبارات مثل (١):

أ- يومينت (HUMAN INTELLIGENCE) استخبارات بشرية. وهو فرع متخصص فى جمع المعلومات باستخدام أشخاص - عملاء ومتعاونين - وفى تجنيدهم وتشغيلهم، وأيضا من خلال التحقيقات مع أشخاص.

ب - سيجينت (SIGNAL INTELLIGENCE) - وتعنى استخبارات الإشارات. وهو فرع متخصص فى جمع المعلومات التى تُلتقط عن طريق اعتراض الإشارات الإلكترونية (SIGNALS) التى تنبعث من مصادر إلكترو- مغناطيسية. و يشتمل فرع استخبارات الإشارات على عنصرين رئيسيين هما:

١- كومينت (COMMUNICATION INTELLIGENCE) - وتعنى استخبارات الاتصال - ويتم التقاط المعلومات هنا عن طريق اعتراض حركة انتقال الإشارات (محادثات هاتفية وفاكس واتصال بيانات وبريد إلكترونى وما شابه ذلك) التى تحتوى على معلومات ذات مضمون.

٢- إلينت (ELECTRONIC INTELLIGENCE) - تعنى الاستخبارات الإلكترونية. يتم التقاط هذه المعلومات عن طريق اعتراض حركة انتقال الإشارات الإلكترو- مغناطيسية التى تنبعث من أجسام مشعة (أجهزة إرسال أو رادارات أو طائرات أو قطع بحرية أو ما شابه ذلك) ولا تحتوى على معلومات ذات مضمون.

٣- فيزينت (VISUAL INTELLIGENCE) - تعنى معلومات مرئية (VISUAL). وهذه المعلومات يتم الحصول عليها من وسائل تجميع بصرية: عمليات المراقبة والتصوير الجوى وصور الأقمار الصناعية وما شابه ذلك.

الفصل الأول
نظرة على الحاضر
مجموعة الاستخبارات الإسرائيلية - الوضع الحالي

يصف هذا الفصل وظيفة مختلف الأجهزة فى مجموعة الاستخبارات الإسرائيلية ومهامها بالشكل الذى تصف به نفسها، ويتحدث بالتفصيل عن المهام الرئيسية لمجموعة الاستخبارات من منظور قومي، ويلقى الضوء على أداء المجموعة ككيان مشترك، وعلى التعاون القائم بين أجهزة الاستخبارات حاليا.

* شعبة الاستخبارات العسكرية (أمان):

وظيفتها: تتولى شعبة الاستخبارات فى هيئة الأركان العامة بالجيش الإسرائيلى مهمة تقديم معلومات استخباراتية إلى الجيش، وإلى وزير الدفاع والحكومة وجهات رسمية أخرى، فى مجالات الأمن والعلاقات الخارجية ذات الصلة بالدائرة الإستراتيجية المحيطة بإسرائيل (٢).

تتبع أمان من الناحية القيادية رئيس هيئة الأركان العامة الذى يخضع لسيادة الحكومة ويتبع وزير الدفاع. ومهام أمان الرئيسية هى:

أ- إمداد قادة الدولة والجيش بالمعلومات التى تتيح لهم إمكانية تقدير قدرات العدو، وفهم دوافعه وتوقع نواياه.

ب- إمداد القيادة السياسية والقيادة العسكرية بإنذار عن الحرب والإرهاب والعمليات العدائية.

ج- الإمداد بإنذار يحذر من تطوير الأعداء لأسلحة غير تقليدية والتزود بها، وبالمعلومات التى تساعد على إحباط هذه المساعي.

د- تقديم تقرير معلومات على المستوى العسكرى والسياسى لصناع القرار.
هـ- الإمداد بمعلومات عن الاتفاقات والتحولات السياسية والفرص المتاحة.
و- التحرى وتقديم معلومات لصناع القرار فى القيادتين السياسية والعسكرية تفيدهم فى أداء مهامهم.
ز- الإمداد بمعلومات تفيد فى استخدام الجيش الإسرائيلى - حتى المستويات الميدانية - وقوات الدفاع والأمن الأخرى.
ح- تجميع المعلومات بأنواعها المختلفة وإرسالها إلى الجهات المختصة.
ط- القيام بعمليات خاصة.
ى- تطوير منظومات ووسائل تكنولوجية.
ك- تعمل كمرجعية مهنية لعناصر الاستخبارات الأخرى فى الجيش الإسرائيلى.
ل- تتولى مسؤولية أمن المعلومات فى الجيش الإسرائيلى.

وفقا للانطباع الذى قد يتكون من مجمل هذه المهام، فإن تعريف أمان كشعبة فى هيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلى لا يعكس ماهيتها بالضبط. إنها شعبة غير عادية بسبب مسؤوليتها القيادية عن مجموعة كبيرة من وحدات جمع المعلومات ووحدات البحوث والعمليات والتكنولوجيا. وهى من هذه الناحية تشبه الذراع (مثل الذراع الجوى) لكن هذا الذراع يعمل فى مجال المعلومات.

رغم كون أمان كياناً عسكرياً، إلا أنها بمثابة جهاز استخبارات قومى (٣). والهدف الرئيسى من وجودها هو مساعدة الجيش الإسرائيلى على أداء مهامه، لكن بفضل قدراتها الهائلة فى مجالات جمع المعلومات وإجراء البحوث فإنها تقوم بمهام قومية أيضا خارج الجيش الإسرائيلى وذلك بهدف مساعدة القيادة السياسية وأجهزة الأمن الأخرى على أداء مهامها.

* جهاز الأمن العام (الشاباك):

وظيفته: يتولى جهاز الأمن العام مهمة حماية أمن الدولة وأسس النظام الديموقراطى ومؤسساته من أخطار الإرهاب والتخريب والتآمر والتجسس وكشف أسرار الدولة، كما يعمل الجهاز على حماية وتحقيق مصالح رسمية حيوية أخرى للأمن القومى للدولة، وكل هذا وفقاً لما تحدده الحكومة وبموجب كل القوانين (٤).

يخضع الشاباك لسلطة الحكومة ويتبع رئيس الوزراء. ومهامه الرئيسية هى:
أ- إحباط ومنع النشاط غير القانونى الذى يستهدف المساس بأمن الدولة وبأسس النظام الديموقراطى ومؤسساته.
ب- تامين شخصيات ومعلومات وأماكن تحددها الحكومة.
ج- وضع تعليمات بشأن التصنيف الأمنى للوظائف والمناصب فى الخدمة العامة وفى هيئات أخرى، وإجراء التحريات الخاصة بالتصنيف الأمنى.
د- تحديد إجراءات وقواعد التأمين للهيئات التى تحددها الحكومة.
هـ- إجراء بحوث استخباراتية وتقديم المشورة وتقديرات الموقف للحكومة ولجهات أخرى تحددها الحكومة.
و- القيام بنشاط فى مجال آخر تحدده الحكومة، بمصادقة لجنة الكنيست لشئون الجهاز، يكون هدفه هو حماية وتحقيق مصالح رسمية حيوية للأمن القومى للدولة.
ز- تجميع وتلقى معلومات لحماية وتحقيق الأمور سالفة الذكر.

يوصف الشاباك بأنه جهاز أمنى (٥)، لكونه يؤدى مهمة أمنية قومية رئيسية مستقلة خاصة به ("حماية أمن الدولة وأسس النظام الديموقراطى ومؤسساته") على غرار الجيش الإسرائيلى (الذى تُعد أمان جهاز استخباراته). والشاباك مسؤول عن حماية الدولة (فى مجالات تخصصه) من التهديدات السرية، ونشاطه الرئيسى يجرى فى إطار من السرية، ولذلك فإنه يُعد أيضا بمثابة جهاز استخبارات قومى. وللاشاباك قدرات فى مجال جمع المعلومات وإجراء البحوث والعمليات الاستخباراتية التى تفيد كل مجموعة أجهزة الاستخبارات.

* جهاز الاستخبارات والمهام الخاصة ("الموساد"):

وظيفته: جهاز الاستخبارات والمهام الخاصة مكلف من قبل دولة إسرائيل بمهمة جمع المعلومات وإجراء البحوث الاستخباراتية وتنفيذ عمليات سرية خاصة خارج حدود الدولة (٦).

يتبع الموساد رئيس الوزراء ومهامه الرئيسية هى:
أ- إحباط محاولات تطوير أسلحة غير تقليدية فى دول معادية والتزود بها.
ب- إحباط النشاط التخريبى ضد أهداف إسرائيلية ويهودية خارج البلاد.
ج- تجميع سرى لمعلومات خارج حدود الدولة.

د- الإمداد بمعلومات إستراتيجية وسياسية وعملياتية.
هـ- تطوير علاقات سرية خاصة، سياسية وغيرها، خارج الدولة وتقويتها.
و- تنفيذ عمليات خاصة خارج حدود دولة إسرائيل.
ز- تهجير يهود من أماكن يصعب الهجرة منها بواسطة مؤسسات الهجرة المألوفة فى دولة إسرائيل (٧).

جهاز الاستخبارات والمهام الخاصة (الموساد) هو جهاز استخبارات قومى طبقاً لتعريف وظيفته ("مكلف بمهمة جمع معلومات وإجراء بحوث استخباراتية وتنفيذ عمليات سرية خاصة خارج حدود الدولة"). والموساد، على النقيض من أمان التى تشكل جزءاً من الجيش الإسرائيلي، هو جهاز استخبارات مستقل. وعلى النقيض من الشاباك، لا يوجد فى تعريف وظيفة الموساد تحديد لمسؤولية عن مجال أمنى قومى رئيسى معين بل هناك تكليف بأن يكون ذراع عمل سرى خارج حدود إسرائيل للقيام بالمهام التى يكلفه بها رئيس الوزراء (٨). وعلى الرغم من ذلك فإن المهام التى ينفذها الموساد، وعلى رأسها إحباط محاولات تطوير الأسلحة غير التقليدية وإجهاض الإرهاب فى الخارج، تعكس المهام الأمنية التى تُسند إليه بصورة متكررة. ويبدو أن الموساد يعتبر نفسه فى هذه المجالات ليس فقط هيئة تنفيذية بل أيضاً جهازاً أمنياً مسؤولاً عن مجالات أمنية قومية خاصة به. إن قدرات الموساد – فى مجالات جمع المعلومات وإجراء البحوث والعمليات الاستخباراتية والعلاقات الخارجية الاستخباراتية – تخدم جميع عناصر مجموعة الاستخبارات. ومع هذا فإن عملية بلورة الهوية المستقلة للموساد صاحبتها فى كثير من الأحيان احتكاكات مع الأجهزة الأخرى فى مجموعة الاستخبارات.

* مركز البحوث السياسية (٩):

هو هيئة لبحوث الاستخبارات تابعة لوزارة الخارجية تُعنى بمجال التقدير السياسى فقط، وتعتمد – ضمن ما تعتمد – على المعلومات التى ترد من هيئات التمثيل الدبلوماسى التابعة لوزارة الخارجية فى جميع أنحاء العالم. ومركز البحوث السياسية هو هيئة أصغر بكثير من هيئتى البحوث التابعتين لأمان وللموساد. وتخصص نشاطاته أساساً لخدمة أغراض وزارة الخارجية. ومع هذا يشارك ممثلوه فى مناقشات تقدير الاستخبارات القومى فى الحكومة ويعرضون تقديراتهم.

* الاستخبارات فى شرطة إسرائيل (١٠):

لشرطة إسرائيل نشاط استخباراتى متشعب فى إطار شعبة التحقيقات والاستخبارات وبعض الوحدات المتخصصة وفى الأقاليم. يتولى جهاز الاستخبارات فى الشرطة مهمة جمع المعلومات وتقدير الموقف وإجراء البحوث والقيام بعمليات خاصة وعمليات إجهاض وقائية، وذلك من أجل تنفيذ مهام الشرطة فى مجالات مكافحة الجريمة وحفظ النظام العام والمسؤولية عن الأمن الداخلي. والجهاز مسؤول عن رسم صورة استخباراتية للموقف لصناع القرارات على المستوى القيادى الإدارى والميداني. كما أنه يقوم بدور رئيسى فى كشف النشاط الجنائى والأمنى وإحباطه والحصول على أدلة بطرق سرية. وفى هيئة قيادة الشرطة تدخل الاستخبارات ضمن شعبة التحقيقات والاستخبارات.

وظائف مجموعة الاستخبارات الإسرائيلية:

يمكن إجمال الوظائف الرئيسية لمجموعة الاستخبارات على النحو التالي:

أ. إمداد قادة الدولة بالمعلومات التى تساعدهم على اتخاذ القرارات فى مجالى الأمن والخارجية. بما فى ذلك الإمداد بمعلومات وتقديرات لمساعدتهم فى تفهم الواقع ووضع السياسة وإدارة الأخطار واستغلال الفرص.

ب. إمداد متخذى القرارات فى القيادتين السياسية والعسكرية بمعلومات إستراتيجية تسمح لهم بتقدير قدرات العدو وفهم دوافعه وتوقع نواياه. يشمل ذلك تقديم إنذار من حرب وأعمال عدائية وتقديم تقدير استخبارات قومى فى المجالين العسكرى والسياسي.

ج. الإمداد بمعلومات تستخدم فى تشغيل الجيش الإسرائيلى وقوات الأمن والدفاع الأخرى – لتحقيق أهداف المعركة ضد مختلف الأعداء.

د. القتال باستخدام قوات الاستخبارات (الاستخبارات كمقاتلة ومشاركة فى القتال). يشمل هذا إجهاض التهديدات العسكرية ومن بينها تهديدات الأسلحة غير التقليدية والإرهاب، وتنفيذ عمليات خاصة، والمشاركة فى معارك عسكرية.

هـ. حماية المجتمع والنظام الديموقراطى ومؤسساته من التآمر والتجسس وكشف أسرار الدولة.
و. الإمداد بمعلومات لإدارة سياسة خارجية وللنضال فى الساحة الدعائية.
ز. تطوير علاقات سرية خاصة (سياسية وغيرها) خارج الدولة وتقويتها.
ح. تحقيق مصالح الدولة ذات الأهمية الحيوية لأمنها القومي، وفقاً لما تحدده الحكومة.
ط. تأمين الشخصيات والمؤسسات وفقاً لما تقرره الحكومة.

أنواع إنتاجيات مجموعة الإستخبارات:

لتطوير النقاش فى سياق هذه المذكرة، نقترح التمييز بين ثلاثة أنواع من إنتاجيات مجموعة الاستخبارات:

أ. إنتاج معلومات تتطلبها عمليات بلورة سياسة واتخاذ قرارات على المستويات العليا: المستوى الإستراتيجي - العسكرى والمستوى الإستراتيجى - السياسي. والمقصود هو الحصول على معلومات عن الأحوال السياسية والتهديدات والفرص والإنذار من عمليات حربية والإشارة إلى التغيرات الإستراتيجية ذات الصلة بقدرات ونوايا الخصوم ونقاط القوة والضعف فى تشكيلاتهم.

ب. توفير المعلومات المطلوبة للاستخدام التكتيكى لقوات الجيش والأمن. على سبيل المثال: معلومات دقيقة عن مواقع القيادة والسيطرة والصواريخ أرض- أرض التى يمتلكها العدو، تتيح إمكانية مهاجمتها بوسائل النيران الموجودة لدى الجيش الإسرائيلى (معلومات عن أهداف)، أو معلومات دقيقة تساعد قوات الجيش والشرطة على إحباط عمليات إرهابية وعلى اعتقال الضالعين فيها.

ج. القيام بعمليات قتالية ووقائية بواسطة قوات الاستخبارات ذاتها، مثل القيام سراً بإحباط جهود الأعداء للتزود بأسلحة غير تقليدية، والعديد من العمليات الاستخباراتية الوقائية: إجهاض النشاط التآمرى وإحباط جهود الأعداء للتجسس، والحماية من هجمات عناصر معادية باستخدام الأساليب والوسائل الحديثة وما شابه ذلك.

يبدو أن هذه الأنواع تشمل مختلف الوظائف كما تعرضها أجهزة الاستخبارات المختلفة (١١). واستمراراً للتمييز بين الأنواع الثلاثة فإننا نقترح استخدام المصطلحات الفنية التالية:

- أداء استخباراتى كلاسيكى (أو الاستخبارات فى صورة ضابط استخبارات) - وهو يشير إلى النوع الأول.
- أداء استخباراتى عملياتى operative (أو الاستخبارات كمقاتلة أو مشاركة فى القتال) - وهو يشير إلى النوعين الآخرين.

على أساس هذه التمييزات والتسميات المقترحة، يمكن صياغة إحدى الأطروحات الرئيسية فى هذه المذكرة على النحو التالي: إن التغيير الرئيسى المطلوب فى مجموعة الاستخبارات من أجل تحقيق الحد الأقصى من إنتاجية الأمن لإسرائيل، يتعلق بزيادة جوهرية فى أدائها العملياتي. وبعبارة أخرى، إذا لم يحدث تغير حاد فيما يتعلق بالأداء الاستخباراتى الكلاسيكى لمجموعة الاستخبارات (جمع المعلومات وإجراء البحوث) بالمقارنة مع الماضي، فإن التغيرات فى شكل التهديدات وفى أنواع الوسائل تتطلب زيادة جوهرية فى أدائها العملياتي. سوف نتناول هذه الأطروحة بالشرح المستفيض فى سياق هذه المذكرة.

جدول وظائف مجموعة الاستخبارات - تعريفات

نوعية الأداء	التسمية الاصطلاحية للأداء
استخبارات لبلورة واتخاذ القرارات على المستوى الإستراتيجى - العسكرى والسياسي	ضابط استخبارات القائد السياسى وقادة الجيش
الاستخبارات كعنصر عملياتى فى التشكيلات العسكرية: الاستخبارات كعنصر يخلق الظروف العملياتية لاستخدام الوسائل والتشكيلات القتالية	- استخبارات مشاركة / مساعدة فى القتال
- حرب سرية وعلمية حديثة على نطاق واسع	- الاستخبارات كعنصر مقاتل

* تقدير الاستخبارات القومي:

تقدير الاستخبارات القومى هو أحد أنشطة الاستخبارات المعروفة جداً للجمهور. والمقصود هنا هو تقدير استخبارات متكامل يتناول المحيط الإستراتيجى لإسرائيل والـ«لاعبين» الرئيسيين فيه. ويقدم هذا التقدير للقيادة السياسية من أجل بلورة السياسة واتخاذ القرارات فى مجالى الأمن والخارجية. يركز هذا التقدير على الإشارة إلى الأخطار التى تحدق بإسرائيل والفرص المتاحة أمامها فيما يتعلق بدول الشرق الأوسط. وهو لا يتناول المحيط الداخلى فى إسرائيل. يُعرض هذا التقدير على الحكومة مرة واحدة على الأقل فى السنة (تقدير الاستخبارات القومى السنوي). أما التحديثات والتوسعات التى يتم إدخالها على هذا التقدير وكذلك

القضايا الجديدة فإنها تُعرض على القيادة السياسية بصفة دورية خلال السنة فى إطار وثائق معلومات فى الجوانب ذات الصلة.

تتولى أمان (بمساعدة استخبارات أفرع الجيش) المسؤولية المطلقة عن إصدار تقدير الاستخبارات نظراً لأنها الجهة الوحيدة التى تبحث وتحقق كل عناصر تقدير الاستخبارات. وهذا الأمر يتيح لها إمكانية تحقيق التكامل بين هذه العناصر وتقديم تقدير استخبارات كامل، ولذلك يطلق على أمان اسم «المقدر القومي». وتقدم هيئات البحوث الأخرى فى مجموعة الاستخبارات إلى القيادة السياسية تقديرات استخبارات وتقديرات موقف فى المجالات التى تدخل فى نطاق مسؤوليتها، دون أى تبعية لأمان. وفى بعض الموضوعات يكون هناك تشابه مقصود بين مجالات البحث الخاصة بالهيئات وذلك بهدف خلق تنوع فى الآراء فى إطار التعددية فى مجموعة الاستخبارات.

* تنظيم وإدارة مجموعة الاستخبارات:

لا توجد لمجموعة الاستخبارات آلية مركزية تخطط وتوجه نشاط المجموعة وتشرف عليه. تجدر الإشارة إلى أن إدارة مجموعة الاستخبارات تتم على المستوى التنظيمى - كل جهاز على حده. ولا توجد للمجموعة خطة عمل مشتركة ولا ميزانية مشتركة أو رقابة وسيطرة مشتركة.

توجد فى كل جهاز من أجهزة الاستخبارات هيئات لجمع المعلومات وإجراء البحوث وتنفيذ العمليات الخاصة. وتتمثل مهمة هيئات البحوث فى معالجة وإعداد المعلومات وتحليلها وتفسيرها وإنشاء قاعدة بيانات ورسم أحدث صورة للموقف تُستخلص منها التقديرات والمدلولات. وتختص الهيئات العملياتية بتنفيذ عمليات سرية ضد الخصوم، بينما تختص هيئات جمع المعلومات بالإمداد بالمعلومات المطلوبة سواء لهيئات البحث أو لهيئات العمليات. كما توجد فى كل الأجهزة هيئات تكنولوجيا وبنى تحتية وقيادة إدارية تسمح لها بالعمل ككيانات مستقلة (١٢).

أمان هى الأكبر بين الأجهزة الرئيسية الثلاثة فى مجموعة الاستخبارات. وهى تبرز فيها بقدرتها الهائلة فى مجالات السيجينت والفيزينت والبحوث والعمليات الخاصة. وتوجد فى أمان أيضا وحدة يومينت لجمع المعلومات. ويبرز الموساد والشاباك فى مجال جمع المعلومات بطريقة اليومينت وفى العمليات الوقائية والعمليات التى ينفردان بتنفيذها. ولهما أيضا وحدات سيجينت. ويختص جهاز الموساد بالعمل السرى خارج البلاد، بينما يختص الشاباك بالعمليات فى المناطق الخاضعة لسيطرة إسرائيل.

الشاباك والموساد هما جهازان مستقلان يتمحور دورهما الرئيسى فى إجهاض التهديدات التى تدخل فى نطاق مجالات تخصصهما، بينما أمان هى - فى المقام الأول - جهاز لجمع المعلومات وإجراء البحوث الاستخباراتية وهى جزء لا يتجزأ من الجيش الإسرائيلي. وتبرز وزارة الخارجية فى مجال جمع المعلومات عن طريق منظومة العلاقات الخارجية للوزارة. أما الشرطة فإنها تعتمد أساسا على قدرات استخباراتية فى مجال اليومينت (عملاء وتحقيقات) وأيضا على قدرات سيجينت (التنصت).

تبعية أجهزة الاستخبارات: تتبع أجهزة مجموعة الاستخبارات أربع جهات حكومية مختلفة: ديوان رئيس الوزراء ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية ووزارة الأمن الداخلي.

يتبع الشاباك والموساد رئيس الوزراء مباشرة (١٣). ومن هذه الناحية يعتبر رئيس الوزراء أيضا بمثابة وزير لشئون الخدمات السرية.

تتبع أمان رئيس هيئة الأركان العامة مباشرة وتتبع من خلاله وزير الدفاع، لكنها أيضا مصدر المعلومات الرئيسى للحكومة ولرئيس الوزراء. وهى من الناحية الوظيفية خادمة لـ«سيدين». ومسألة تبعية الأجهزة لها مدلول كبير بالنسبة لإدارة مجموعة الأجهزة (مثلا - لا يوجد لها مدير واحد يرى الصورة الكاملة بكل ما ينطوى عليه ذلك).

* حجم التعاون فى مجموعة الاستخبارات:

صحيح أنه لا توجد لمجموعة الاستخبارات آلية مركزية، لكنها رغم ذلك تقوم بعدة أنشطة مشتركة على النحو التالي:

ا- تعاون محدود بين رؤساء أجهزة الاستخبارات: يتأثر التعاون إلى حد كبير جداً بالمصالح المشتركة للأطراف. ويجرى هذا التعاون طواعية وليست له آلية ملزمة. وهنا يكمن ضعفه. فعلى سبيل المثال، يستطيع رؤساء الأجهزة أن يقرروا بناء قدرات مماثلة لتلك القائمة بالفعل فى أجهزة أخرى رغم التكاليف الباهظة المترتبة على هذا. وفى بعض الأحيان تؤدى الاحتكاكات بين رؤساء الأجهزة وعدم وجود آلية حسم إلى عرقلة نشاط المجموعة (١٤).

أ- لجنة رؤساء الأجهزة: تضم هذه الهيئة رؤساء الأجهزة الرئيسية فى مجموعة الاستخبارات الإسرائيلية (أمان والشاباك والموساد). يشارك فى هذه الهيئة السكرتير العسكرى لرئيس الوزراء وفى الفترة الأخيرة يشارك فيها أيضا رئيس مجلس الأمن القومي. والهدف منها هو الاجتماع من أجل التعرف على المستجدات والخروج بفكر مشترك والتنسيق فى المسائل والقضايا الملحة على المستوى الإستراتيجى (١٥). والواقع أن هذه الهيئة تطوعية وتقتصر مساهمتها أساسا على تبادل الآراء والاطلاع على آخر

المستجدات. ولا يتضمن جدول أعمالها موضوعات مثل وضع خطة عمل مشتركة لمجموعة الاستخبارات. ولا تشكل هذه الهيئة طواقم مشتركة دائمة، وإسهامها ضئيل فى وضع برنامج لنشاط مشترك فى مجموعة الاستخبارات، وحتى النشاط المشترك الذى صادقت عليه فى الماضى (مثل إنشاء مدرسة للبحوث الاستخباراتية تخدم جميع أجهزة المجموعة) لم يخرج إلى حيز التنفيذ.

ب- أوجه تعاون محدودة بين القيادات التنفيذية: أدى التعاون بين القيادات التنفيذية فى الأجهزة إلى تنفيذ عمليات مشتركة، الأمر الذى أثبت مدى أهميته عندما يتحقق. ورغم ذلك، فإن هذا التعاون محدود ويتم بصورة اختيارية. وهو يتأثر إلى حد كبير جداً بالمصالح المشتركة للأطراف وبفهمهم الشخصى للمصلحة القومية، ولا ينبع من آلية منظمة. بل إن رؤساء الأجهزة أنفسهم أحياناً ما يقيدون هذا التعاون. لمنظومة العلاقات الشخصية بين القيادات التنفيذية تأثير كبير على التعاون وخاصة عندما يجد رؤساء الأجهزة صعوبة فى التوصل إلى تفاهمات.

ج- مشاركة شاملة ومنظمة فى المعلومات التى يتم جمعها لحساب العناصر المعنية (من بينها هيئات البحث فى أجهزة الاستخبارات). ومع هذا لا توجد مشاركة منظمة فى المعلومات العملياتية مثل الدروس المستفادة من العمليات.

د- وثيقة تفاهمات لتوزيع المسؤولية والمهام فى مجموعة الاستخبارات. الوثيقة هى نتاج مشترك لأجهزة الاستخبارات صادقت عليها لجنة رؤساء أجهزة الاستخبارات ووزير الدفاع ورئيس الوزراء شارون فى عام ٢٠٠٥ (انظر الفصل الثاني). وهذه الوثيقة لها أهمية كبيرة لكن فائدتها محدودة بسبب عدم وجود آلية لفرض التطبيق.

هـ- «تحديد الأهداف المهمة» (١٦) - هى وثيقة تحدد الموضوعات الرئيسية التى يجب أن تركز عليها مجموعة الاستخبارات على مدار السنة التالية، وفقاً لترتيب الأولويات. تقدم هذه الوثيقة - التى تتولى أمان مهمة الإشراف على إعدادها - إلى القيادة السياسية للمصادقة عليها ومن المفترض أن تعكس بؤر الاهتمام وتوجيهات القيادة السياسية لمجموعة الاستخبارات. وفائدة هذه الوثيقة هامشية لكونها قابلة لتفسير واسع النطاق وبسبب عدم وجود آليات تطبيق وعدم وجود رقابة وسيطرة.

و- دورة تدريبية مشتركة للقيادات المتوسطة فى مجموعة الاستخبارات.

ى- موقع تخليد ذكرى وإحياء تراث المجموعة (١٧) - هذا المركز يقوم بوظيفته والتعاون فيه وثيق بين العاملين السابقين فى مجموعة الاستخبارات.

* خلاصة:

تعد مجموعة الاستخبارات الإسرائيلية عنصراً مهماً من عناصر منظومتى الأمن والخارجية لدولة إسرائيل. وهى ليست جهة تقدم معلومات ضرورية فحسب، بل هى دعامة عملياتية تعمل سراً وتكمل عمل القوات والعناصر التى تمارس نشاطها علناً (الجيش ووزارة الخارجية والشرطة) من أجل حماية إسرائيل وتحقيق أهدافها القومية.

رغم أهميتها، فإن لمجموعة الاستخبارات هيكلاً تنظيمياً ضعيفاً - فلا توجد لها خطة عمل متكاملة ولا ميزانية عامة ولا آلية رقابة وسيطرة مشتركة. صحيح أن هناك تعاوناً جزئياً بين الأجهزة لكنه غير مقنن وغير دائم. إنه يتغير من فترة لأخرى ويتأثر إلى حد كبير بالعلاقات الشخصية بين رؤساء الأجهزة.

يبدو أنه فى ظل غياب جهة مركزية تتولى مهمة التنظيم (تقرر ترتيب الأولويات وتكون المسؤولية عن العمل المشترك وأوجه التعاون من خلال رؤية شاملة وتشرف على تنفيذ الوظائف والمهام) - تحدث حالات ازدواج وتنطمس الفروق بين أجهزة الاستخبارات وخصوصيتها داخل المجموعة. وكلما كانت أجهزة المجموعة أكثر انشغالاً بشئونها الخاصة وسعياً إلى توسيع نطاق مجالات مسئوليتها، كلما تضاءلت مجالات المرونة وتزايدت الاحتكاكات فى المجموعة.

هناك استنتاج آخر- يخرج عن نطاق اهتمام هذه الدراسة - وهو أن الصعوبة التى تظهر فى التعاون داخل مجموعة الاستخبارات ذات علاقة إلى حد كبير بعدم الوضوح الناجم عن مشكلات أساسية فى منظومة الأمن القومى فى مجملها. ومن بين هذه المشكلات:

١- عدم وجود آلية تترجم نظرية الأمن القومى إلى إستراتيجيات ذات صلة وتسعى إلى أن تطبقها فى آن واحد كل القوى فى منظومة الأمن القومى الإسرائيلية (الجيش الإسرائيلى ووزارة الخارجية والشاباك والموساد والشرطة).

٢- عدم الوضوح فيما يتعلق بصلاحية ومسؤولية الكبار فى القيادة السياسية بشأن الأمن القومي. تتولى الحكومة فى إسرائيل مسؤولية الأمن القومى لكن هناك عدم وضوح فيما يتعلق بتدرج مسئولية وصلاحية كبار المسؤولين التاليين لها فى هذا المجال. على سبيل المثال، ما هى مسؤولية رئيس الوزراء الذى يتولى الإشراف على اثنين من أجهزة الأمن القومى السرية..؟ وكيف تنبثق مسؤولية هذين الجهازين من صلاحيته..؟ وما هى حدود القطاعات الفاصلة بينه وبين وزير الدفاع المسؤول عن الجيش..؟.

نعتقد أن هذه الموضوعات المهمة تستحق دراسة منفصلة.

هوامش:
١- من قاموس المصطلحات على موقع الموساد على الإنترنت.
٢- مصدر تحديد وظائف ومهام أمان - وخاصة طبقا لما ورد على موقع سلاح الاستخبارات على الإنترنت.
٣- جهاز استخبارات قومي: هيئة تعمل فى مجال جمع المعلومات والبحوث والعمليات السرية من أجل حماية مصالح الدولة وتحقيق أهدافها.
٤- مصدر تحديد وظائف ومهام الشاباك: قانون الشاباك لسنة ٢٠٠٢.
٥- جهاز أمن قومي: هيئة ذات وظيفة أمنية قومية رئيسية مستقلة خاصة بها، مثل حماية أراضي الدولة وسلامة مواطنيها وحماية نظام الحكم وما شابه ذلك. ويتولى هذه المهمة فى إسرائيل جيش الدفاع والشاباك والشرطة. وأجهزة الأمن التى تعتبر فى الوقت نفسه أجهزة استخبارات، مثل الشاباك، هى أجهزة يجرى نشاطها الأمنى الرئيس فى إطار من السرية - بواسطة وسائل استخبارات (جمع معلومات وتحقيقات وبحوث وعمليات) - وغالبا يكون عملها ضد أعداء يعملون فى هذا الإطار السري. ويمكن، على سبيل المثال، أن نجد التمييز بين جهاز أمن (الذى هو فى نفس الوقت جهاز استخبارات) وبين جهاز استخبارات (فقط) فى بريطانيا: حيث يُعَرَّف الـ(SIS) Secret Intelligence Service بأنه جهاز الاستخبارات المسؤول عن جمع المعلومات وعن العمليات الاستخباراتية السرية خارج حدود الدولة، فى حين يعرّف الـ (MI) Security Service-٥ بأنه جهاز الأمن المسؤول عن الحماية من تهديدات سرية للأمن القومي.
٦- مصدر تحديد وظائف ومهام الموساد: موقع الموساد على الإنترنت.
٧- كان يقوم بهذه المهمة أيضا تنظيم "نتيف" الذى كان فى الماضى جزء من مجموعة الاستخبارات.
٨- مثال: فى سنة ١٩٨٦ كشف موردخاى فانونو، الفني الذى كان يعمل فى المفاعل النووى فى ديمونا، أسرار إسرائيل النووية لصحفي من الصحيفة البريطانية "صنداى تايمز". صحيح أن المسؤولية القومية عن حماية المعلومات الأمنية تقع على عاتق الشاباك إلا أن الموساد كان هو الجهاز الذى نفذ عملية إحضار فانونو إلى إسرائيل. وهناك مثال أكثر أهمية، وهو المساهمة التى قدمها الموساد لتهيئة الظروف التى أدت إلى اتفاقية السلام بين إسرائيل ومصر. والموساد ليس مسؤولا عن السياسة الخارجية، لكن مساهمته فى ذلك كانت كبيرة بواسطة علاقاته الخارجية السرية.
٩- المصدر: موقع وزارة الخارجية على الإنترنت.
١٠- المصدر: موقع الشرطة على الإنترنت.
١١- بالتطرق إلى البنود السابقة التى لخصنا بواسطتها مهام أجهزة المجموعة (بالصيغة التى عرضتها الأجهزة نفسها)، البند ١. يتعلق بالنوع الأول الذى اقترحناه، والبنود ٣ و ٤ و ٥ تتعلق بالنوع الثالث المقترح، أما البند ٢. فانه يتضمن عناصر من النوعين الأوليين.
١٢- من أجل الحصول على مزيد من المعلومات عن أداء مجموعة أجهزة الاستخبارات - أنظر أيضا تقرير لجنة "التحقيق فى منظومة الاستخبارات بعد الحرب فى العراق" (لجنة شتاينيتس)، لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست ٢٠٠٤.
١٣- ينص قانون الشاباك (لسنة ٢٠٠٢) على أن يخضع جهاز الأمن العام لسلطة الحكومة، وأن الحكومة هى التى تصادق على أهداف الجهاز، وأن رئيس الحكومة هو الذى يتولى الإشراف على الجهاز من قبل الحكومة. وهذه الصيغة مماثلة للصيغة التى وردت فى القانون الأساسي: الجيش - لسنة ١٩٧٦ بشأن تبعية جيش الدفاع الإسرائيلي لوزير الدفاع. وطبقا للقانون: " يخضع الجيش لسلطة الحكومة، والوزير المسؤول من قبل الحكومة عن الجيش هو وزير الدفاع "، ولذلك فإن "رئيس هيئة الأركان العامة يخضع لسلطة الحكومة ويتبع وزير الدفاع".
١٤- ألوف بن، " أساليب دجان "، صحيفة " هاآرتس " ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٨.
١٥- موقع الموساد على الإنترنت.
١٦- القائد المسؤول لا يحدد معلومات بل يحدد أهدافاً.
١٧- موقع تخليد الذكرى وتراث مجموعة الاستخبارات مخصص ليكون بمثابة مركز رسمي لتخليد ذكرى شهداء المجموعة فى إسرائيل الذين ماتوا أثناء خدمتهم فى أمان وفى جهاز الأمن العام وفى جهاز الموساد للاستخبارات والمهام الخاصة وفى "نتيف". وبالإضافة إلى هذا يعمل هذا المركز على العناية بتراث مجموعة الاستخبارات الإسرائيلية بواسطة مركز معلومات وإصدار نشرات مختلفة وعقد اجتماعات موسعة يشارك فيها العاملون السابقون بالمجموعة، وما شابه ذلك.

وثائق

نص خطاب «بنيامين نتنياهو» فى جامعة بار إيلان

يسرائيل هايوم ١٥/٦/٢٠٠٩
بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

"أيها الضيوف الكرام، أيها المواطنون الإسرائيليون، إن السلام كان دوماً محط تطلعات شعبنا. وكان أنبياؤنا هم الذين ورّثوا العالم رؤية السلام. إننا نتبادل التهانى بكلمة شالوم (وتعنى "سلام" بالعبرية)، كما أن صلواتنا تختتم بالسلام.

إننا نحضر هذا المساء فى مقر مركز الدراسات الذى يحمل اسم الشخصيتين اللتين اخترقتا طريق السلام، وهما الراحلان الكبيران مناحم بيجين وأنور السادات، حيث إننا نشاركهما رؤيتهما.

لقد أديت قسم الولاء أمام الكنيست بصفتى رئيساً لحكومة إسرائيل قبل نحو شهرين ونصف الشهر. لقد وعدت بتشكيل حكومة وحدة وطنية - وأوفيت بالوعد. وكنت أعتقد أن الوحدة مطلوبة فى هذه الفترة أكثر من أى وقت مضى كوننا نواجه حالياً ثلاثة تحديات جمة: التهديد الإيرانى، والأزمة الاقتصادية، ودفع عملية السلام قدماً.

إن التهديد الإيرانى مازال يواجهنا بمنتهى القوة، إذ إن أكبر خطر بالنسبة لإسرائيل ومنطقة الشرق الأوسط والعالم أجمع يتمثل فى هذا اللقاء بين الإسلام المتشدد والسلاح النووى. كنت قد تحدثت عن هذا الموضوع مع الرئيس أوباما خلال زيارتى لواشنطن، كما أنه سيكون مدار بحث خلال محادثاتى مع بعض القادة الأوروبيين الأسبوع القادم. يجب التنويه هنا إلى أننى أعمل منذ سنوات دون كلل لتكوين جبهة دولية ضد حصول إيران على السلاح النووى.

أما بالنسبة للأزمة الاقتصادية العالمية، فقد تحركنا سريعاً لجلب الاستقرار للاقتصاد الإسرائيلى من خلال مصادقة مجلس الوزراء على مشروع ميزانية الدولة للعامين الحالى والقادم ليدخل سريعاً إلى مرحلة مصادقة الكنيست عليه أيضاً فى الوقت القريب.



أما التحدى الثالث الذى يواجهنا، وهو غاية فى الأهمية، فيخص المضى فى عملية السلام قدماً. وكنت قد تحدثت عن هذا الموضوع أيضاً مع الرئيس أوباما، حيث أؤيد جداً فكرة السلام الإقليمى التى يقودها. إننى أشارك الرئيس الأمريكى رغبته فى الانتقال إلى عهد جديد من المصالحة فى منطقتنا، ولهذه الغاية التقيت بالرئيس مبارك فى مصر، والملك عبد الله الثانى فى الأردن لأستعين بهذين الزعيمين فى الجهود الرامية لتوسيع دائرة السلام.. وها أنا أتوجه من هنا إلى قادة الدول العربية وأقول لهم: تعالوا لنتقابل لنتحادث عن السلام ونصنع السلام. إننى مستعد للقائكم فى أى وقت. إننى مستعد للحضور إلى دمشق والرياض وبيروت - إلى أى مكان.

إننى أناشد الدول العربية التعاون مع الفلسطينيين ومعنا للمضى قدماً بالسلام الاقتصادى. إن السلام الاقتصادى لا يأتى بديلاً عن السلام السياسى لكنه يشكل مقوماً هاماً فى إنجازه. إننا سنستطيع معاً تطوير مشاريع تتخطى النواقص فى منطقتنا، مثل إزالة ملوحة مياه البحر، ومشاريع نستفيد منها جميعاً، مثل استغلال الطاقة الشمسية أو مد خطوط أنابيب الغاز والنفط وخطوط المواصلات التى تربط بين آسيا وأوروبا وإفريقيا.

إن النجاح الاقتصادى الذى حققته دول الخليج ترك أثره

على العالم بأسره وعليَّ أيضاً. إننى أدعو المبادرين الموهوبين من العالم العربى للوصول والاستثمار هنا لمعاونة الفلسطينيين ومعاونتنا على القفز بالاقتصاد إلى الأمام.

إننا سنستطيع سوياً تطوير مناطق صناعية توفر الآلاف من فرص العمل، بالإضافة إلى المواقع السياحية التى تستقطب الملايين من السياح الراغبين فى السير على دروب التاريخ سواء فى الناصرة أو بيت لحم أو أسوار أريحا وأورشليم القدس وضفاف بحيرة طبريا والمغطس المطل على نهر الأردن. بإمكاننا الاستفادة هنا من طاقات أثرية وسياحية هائلة إذا ما عرفنا كيفية التعاون فيما بيننا من أجل تطويرها.

إننى أتوجه إليكم، جيراننا الفلسطينيون بقيادة السلطة الفلسطينية لأقول لكم: تعالوا لنباشر المفاوضات فوراً دون شروط مسبقة. إن إسرائيل ملتزمة بالاتفاقات الدولية، وهى تنتظر من جميع الأطراف الأخرى التقيد بالتزاماتها. إننا نريد العيش معكم بسلام وحسن جوار. إننا نريد أن لا يشهد أطفالنا وأطفالكم المزيد من الحروب، أن لا يعرف أولياء الأمور والأبناء والأشقاء الثكل والشجون، أن يحلم أطفالنا بمستقبل أفضل يكون حقيقة مجسدة، أن نشحذ نحن وإياكم هممنا ونستثمر جهودنا فى البناء وليس فى الخراب.

إننى عرفت شخصياً ويلات الحرب. لقد شاركت فى معارك وفقدت أصدقاء طيبين، لا بل وفقدت شقيقاً لى. كما أننى شهدت آلام العائلات الثكلى. وبالتالى، فإننى لا أريد الحرب، إن الشعب فى إسرائيل لا يريد الحرب. إذا تشابكت أيدينا وعملنا معاً بسلام، فلن تكون هناك حدود للازدهار والتنمية التى نستطيع جلبها على شعبيْنا - سواء أكان ذلك فى الاقتصاد أو فى الزراعة والتجارة والسياحة والتربية والتعليم، وبالذات فيما يتعلق بقدرتنا على منح الجيل الصاعد لدينا مكاناً يستطيع أن يحيا فيه حياة مطمئنة ومليئة بالاهتمام والإبداع تحمل بين طياتها آفاق الفرص والآمال.

إذا ما كانت حسنات السلام واضحة إلى هذا الحد، فلا بد من طرح السؤال على أنفسنا: لماذا مازال السلام بعيداً عنا رغم أن أيدينا ممدودة إليه..؟ لماذا يتواصل هذا النزاع منذ أكثر من ٦٠ عاماً..؟ يجب علينا من أجل وضع حد لهذا النزاع تقديم الإجابة الحقيقية والصادقة على السؤال الآتي: ما هو أصل النزاع..؟.

لقد تحدث صاحب رؤية الدولة (اليهودية) بنيامين زئيف هرتسل فى خطابه أمام المؤتمر الصهيونى (الأول) فى بازل عن هذه الرؤية العظيمة المتمثلة فى إقامة وطن قومى للشعب اليهودى، حيث قال ما يلي: "إن هذا الأمر عظيم لدرجة تجعلنا مضطرين للحديث عنه بأبسط الكلمات ليس إلا".

إننى أود اليوم الحديث عن هذا التحدى الكبير للسلام بأبسط الكلمات وبما يوافق المستوى الشعبى. يجب أن تكون أقدامنا مثبَّتة على أرض الواقع والحقيقة حتى عندما نلقى نظرتنا إلى الأفق. وهذه الحقيقة البسيطة هى أن أصل النزاع كان ومازال رفض الاعتراف بحق الشعب اليهودى فى أن تكون له دولة خاصة به فى وطنه التاريخى. إذ كان العالم العربى بأكمله قد رفض عام ١٩٤٧ خطة التقسيم التى طرحت على الأمم المتحدة بشأن قيام دولة يهودية ودولة عربية فيما احتفى جموع اليهود بهذه الخطة برقصات البهجة والفرح. وكان الرفض العربى يطال أى دولة يهودية أياً كانت حدودها.. وبالتالى، فإن مَنْ يعتقد بأن العداء المتواصل تجاه إسرائيل ينتج عن وجودنا فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية) وغزة فإنه بذلك يحل السبب محل النتيجة. لقد بدأت الهجمات علينا فى عشرينيات القرن الماضى، وتحولت إلى هجوم شامل عام ١٩٤٨ عند الإعلان عن الدولة، واستمرت فى شكل هجمات الفدائيين فى الخمسينيات، وبلغت ذروتها عام ١٩٦٧ عشية حرب الأيام الستة بمحاولة فرض طوق خانق على رقبة دولة إسرائيل. وقد وقعت جميع هذه الأحداث طيلة ما يقارب ٥٠ عاماً، وقبل أن يوجد جندى إسرائيلى واحد فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية).

إنه لمن دواعى سرورنا أن تكون مصر والأردن قد خرجتا من دائرة العداء هذه، إذ أدى توقيع معاهدتى السلام معهما إلى وضع حد لمطالبهما من إسرائيل، وإلى إنهاء النزاع معهما أو بالأحرى إلى السلام. غير أنه لشدة أسفنا لا يطال هذا الوضع الفلسطينيين؛ إذ كلما اقتربنا من اتفاق السلام معهم فإنهم يبتعدون عنه ويعيدون طرح المطالب التى لا تتوافق مع الرغبة فى إنهاء النزاع.

هناك كثير من الأخيار الذين يقولون لنا إن الانسحاب هو مفتاح السلام مع الفلسطينيين. وبالفعل فقد انسحبنا، إلا أن الحقيقة هى أن أى انسحاب من جانبنا قد جُوبه بموجة عارمة من إرهاب الانتحاريين وآلاف الصواريخ.

لقد حاولنا الانسحاب بناء على اتفاق والانسحاب بدون اتفاق؛ الانسحاب الجزئى والانسحاب الكامل. لقد اقترحت إسرائيل عام ٢٠٠٠ الانسحاب شبه الكامل مقابل إنهاء النزاع، وأعادت طرح هذا الاقتراح العام الماضى، لكن هذا الموقف قوبل بالرفض مرتين.

إننا أخلينا قطاع غزة حتى آخر شبر واقتلعنا عشرات المستعمرات وآلاف الإسرائيليين من ديارهم، لكننا تلقينا فى المقابل وابلا من الصواريخ على مدننا وقرانا وأطفالنا. إن الادعاء بأن الانسحاب سيجلب السلام مع الفلسطينيين - أو يجعله أقرب على الأقل - لم يصمد أمام اختبار الواقع. لا بل إن حماس فى الجبهة الجنوبية شأنها شأن حزب الله فى الجبهة الشمالية تعود وتصرح علناً بأنها تسعى لـ"تحرير" أشكلون

وبئر السبع وعكا وحيفا. إن عمليات الانسحاب لم تغير من هذه العداوة شيئاً.

ومما يدعونا إلى الأسف أيضاً أن المعتدلين الفلسطينيين غير مستعدين للإدلاء بالأقوال البسيطة التالية: إن دولة إسرائيل هي الدولة القومية للشعب اليهودي وستظل هكذا. إن تحقيق السلام يتطلب الشجاعة والإنصاف من كلا الجانبين وليس من الجانب الإسرائيلي وحده. يجب أن تنهض القيادة الفلسطينية وتقول بمنتهى الصراحة والبساطة: "كفانا هذا النزاع. إننا نعترف بحق الشعب اليهودي في أن تكون له دولة خاصة به في هذه البلاد، وإننا سنعيش إلى جانبكم في سلام حقيقي".

إنني أتمنى مجيئ هذه اللحظة لأن الطريق نحو حل سائر المشاكل مهما صعُبت سيُفتح بمجرد توجيه القادة الفلسطينيين هذه الكلمات إلى شعبنا وإلى شعبهم. لذا، يكون اعتراف فلسطيني علني وملزم وصادق بإسرائيل بصفتها الدولة القومية للشعب اليهودي شرطاً أساسياً لإنهاء النزاع.

ومن أجل اكتساب إعلان كهذا مغزى عملياً هناك حاجة لاتفاق واضح على أن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ستجد حلها خارج حدود دولة إسرائيل. إذ من الواضح بمكان بالنسبة للجميع أن المطالبة بإسكان اللاجئين الفلسطينيين داخل إسرائيل تتناقض مع استمرار قيام إسرائيل بصفتها دولة الشعب اليهودي. يجب حل قضية اللاجئين الفلسطينيين - ويمكن حلها مثلما أثبتنا نحن ذلك في حالة مشابهة: إن دولة إسرائيل الصغيرة قد استوعبت بنجاح مئات الألوف من اللاجئين اليهود من الدول العربية الذين غادروا منازلهم معدمين تماماً.. وبالتالي، فإن العدالة والمنطق يقتضيان حل قضية اللاجئين الفلسطينيين خارج حدود إسرائيل علماً بأن هذا الموقف محل توافق وطني عريض جداً في إسرائيل.

لقد تحدثت حتى الآن عما يدعو الفلسطينيين إلى الاعتراف بحقوقنا، وها أنا مقبل على حاجتنا للاعتراف بحقوقهم. غير أنه ينبغي لي أن أستبق ذلك بقول الآتي: إن الرابط التاريخي بين الشعب اليهودي وأرض إسرائيل يستمر منذ أكثر من ٣٥٠٠ سنة. إن مناطق يهودا والسامرة، حيث سار كل من أبراهام ويتسحاق ويعقوب ودافيد وشلومو وإشعياء وآرميا - ليست بالغريبة علينا، بل هي أرض الآباء والأجداد.

إن حق الشعب اليهودي في أن تكون له دولة في أرض إسرائيل لا ينبع من سلسلة الويلات التي ابتُلي بها. صحيح أن اليهود تعرضوا خلال ٢٠٠٠ عام لمعاناة فظيعة تتمثل في عمليات الترحيل والمذابح والافتراءات والقتل مما بلغ ذروته في المحرقة النازية (الهولوكوست) التي لم يكن لها مثيل أو نظير في تاريخ الأمم والشعوب.. هنالك من يقول إنه لولا وقوع المحرقة لما كانت دولة إسرائيل ستقوم، لكنني أقول إنه لو قامت دولة إسرائيل في موعدها لما كانت المحرقة ستقع أصلاً.

إن المآسي الناتجة عن عجز الشعب اليهودي توضح سبب احتياج شعبنا لقوة حامية سيادية. غير أن حقنا في إقامة دولتنا هنا في أرض إسرائيل مردّه حقيقة واحدة بسيطة: إن هذه الأرض لهي وطن الشعب اليهودي وهنا نشأت هويتنا، كما قال ذلك رئيس الوزراء الأول دافيد بن جوريون لدى إعلانه عن إقامة الدولة: "نشأ الشعب اليهودي في أرض إسرائيل، وفيها تمت صياغة شخصيته الروحانية والدينية والسياسية، وفيها عاش حياة مستقلة في دولة ذات سيادة، وفيها أنتج ثرواته الثقافية الوطنية والإنسانية العامة، وأورث العالم أجمع سفر الأسفار الخالد" (اقتباس من الفقرة الاستهلالية لوثيقة استقلال دولة إسرائيل).

لكن يجب هنا أيضاً قول الحقيقة كاملة غير منقوصة: يعيش في قلب مناطق الوطن اليهودي اليوم جمهور غفير من الفلسطينيين. إننا لا نريد حكمهم أو إدارة حياتهم أو فرض رايتنا أو ثقافتنا عليهم.. إن رؤيتي السلمية تقضي بأن هناك في بلادنا الصغيرة شعبين يجب أن يتمتعا بحرية ويعيشا جنباً إلى جنب بالجيرة الحسنة والاحترام المتبادل، ولدى كل منهما رايته ونشيده الوطني والحكومة الخاصة به ولا يهدد أي منهما أمن جاره أو كيانه. وقد أدت هاتان الحقيقتان - أي ارتباطنا بأرض إسرائيل ووجود سكان فلسطينيين يعيشون هنا - إلى نشوء خلافات عميقة داخل المجتمع الإسرائيلي. بيد أن الحقيقة هي أن عوامل الوحدة القائمة بيننا أكبر بكثير من عوامل الفرقة. لقد حضرت هذا المساء لأعبر عن هذه الوحدة، عن مبادئ السلام والأمن التي باتت موضع التوافق العريض في المجتمع الإسرائيلي، وهي المبادئ ذاتها التي توجّه سياستنا.

يجب أن تأخذ هذه السياسة بعين الاعتبار الأوضاع الدولية الناشئة مؤخراً. علينا أن نُقر بهذه الأوضاع إلى جانب الإصرار على المبادئ الهامة لدولة إسرائيل. سبق وأشرت إلى المبدأ الأول - الاعتراف، بمعنى أنه يتحتم على الفلسطينيين الاعتراف بإسرائيل اعترافاً حقيقياً بصفتها دولة الشعب اليهودي؛ أما المبدأ الثاني فهو - نزع السلاح، إذ يجب أن تكون الأرض التابعة للفلسطينيين تحت طائلة أي تسوية سلمية منزوعة السلاح وخاضعة لتدابير أمنية راسخة بنظر إسرائيل.

إن غياب هذين الشرطين يولد الخوف الحقيقي من قيام دولة فلسطينية مسلحة إلى جانبنا تتحول إلى قاعدة إرهابية أخرى ضد إسرائيل مثلما حدث في قطاع غزة. إننا لا نريد سقوط قذائف القسام الصاروخية على بتاح تكفاه أو سقوط صواريخ الجراد على تل أبيب والصواريخ الأخرى على مطار بن جوريون، بل إننا نريد السلام. وبالتالي، ومن أجل تحقيق السلام، يجب أيضاً ضمان أن يكون من المحال على الفلسطينيين إدخال القذائف والصواريخ إلى أراضيهم وتكوين جيش وإغلاق مجالهم الجوي بوجهنا أو عقد التحالفات مع جهات

مثل إيران وحزب الله.

إن هذا الأمر هو أيضاً محل توافق عريض بين الجمهور الإسرائيلي. لا يمكن لأحد أن يتوقع منا الموافقة سلفاً على مبدأ قيام دولة فلسطينية دون ضمان تجريد هذه الدولة من السلاح. يجب أن يتم أولاً التجاوب مع احتياجاتنا الأمنية فى قضية مصيرية كهذه تخص صميم وجود إسرائيل.

لذلك، نطلب الآن من أصدقائنا فى المجتمع الدولى وفى طليعتهم الولايات المتحدة الأمريكية ما هو ضرورى لضمان أمن دولة إسرائيل: التعهد الصريح بأن الأراضى التى يحتفظ بها الفلسطينيون ضمن اتفاق الوضع الدائم ستكون منزوعة السلاح؛ أى خالية من الجيش وبدون سيطرة على المجال الجوى، مع مراقبة فعالة لمنع إدخال الأسلحة إلى أراضيهم، أقصد مراقبة حقيقية تختلف عما يجرى حالياً فى قطاع غزة. كما يستحيل على الفلسطينيين بالطبع عقد التحالفات العسكرية، لأننا إذا فرَّطنا فى هذا الأمر، فإننا سنواجه إن آجلاً أم عاجلاً دولة حماستان أخرى، وهو ما لن نسمح به.

لقد قلت فى واشنطن للرئيس أوباما إن المصطلحات لن تشكل أى مشكلة إذا ما اتفقنا على الجوهر. وهاهو الجوهر الذى أشير إليه هنا بصوت صريح وواضح: إذا ما مُنحنا هذه الضمانة الخاصة بنزع السلاح والتدابير الأمنية اللازمة لإسرائيل، وإذا ما اعترف الفلسطينيون بإسرائيل كدولة الشعب اليهودى، فإننا سنكون مستعدين ضمن تسوية سلمية مستقبلية للتوصل إلى حل يقوم على وجود دولة فلسطينية منزوعة السلاح إلى جانب الدولة اليهودية.

أما باقى المسائل المحورية مدار البحث ضمن التسوية الدائمة، فإن مواقفى منها معروفة: أن إسرائيل تحتاج إلى حدود قابلة للحماية، وأن أورشليم القدس عاصمة إسرائيل ستبقى موحدة مع استمرار صيانة حرية العبادة لجميع الأديان، وأن قضية الأراضى ستكون مدار بحث فى اتفاق الوضع الدائم. وحتى ذلك الحين لا ننوى إنشاء مستعمرات جديدة أو مصادرة أراض لتوسيع المستعمرات القائمة. غير أن الحاجة تقتضى السماحَ للسكان بممارسة حياة طبيعية، وتمكين الآباء والأمهات من تربية أولادهم مثلهم مثل أى عائلة فى العالم. إن المستعمرين ليسوا أعداء الشعب أو أعداء السلام، بل إنهم أشقاؤنا وشقيقاتنا وهم جمهور طليعى يحمل معتقدات صهيونية ويتميز بقيمه الرفيعة.

إن الوحدة الداخلية حيوية كما أنها ستدعم جهود تحقيق المصالحة مع جيراننا. ويجب أن تنطلق هذه المصالحة الآن من خلال إحداث تغيير فى الواقع الميدانى. لذا، أعتقد أن وجود اقتصاد فلسطينى متين سيعزز فرص السلام.

إذا ما كان الفلسطينيون يتجهون نحو السلام ومكافحة الإرهاب وتعزيز سلطة وسيادة القانون وتربية أطفالهم على السلام ووقف التحريض ضد إسرائيل - فإننا من جانبنا سنبذل كل جهد مستطاع لمنحهم حرية الحركة والتنقل للتسهيل على حياتهم وزيادة رفاهيتهم. وستساعد كل هذه الأمور مجتمعة على المضى قدماً نحو اتفاق السلام بيننا. غير أنه يتحتم على الفلسطينيين أولاً وأخيراً حسم أمرهم بين طريق السلام والطريق الذى تسلكه حماس. يجب على السلطة الفلسطينية أن تفرض القانون والنظام فى قطاع غزة وتتغلب على حماس. إن إسرائيل لن تجلس إلى طاولة المفاوضات مع إرهابيين يسعون للقضاء عليها.

يشار إلى أن حماس غير مستعدة حتى للسماح للصليب الأحمر الدولى بزيارة الجندى المخطوف جلعاد شاليط الموجود قيد الأسر منذ ٣ سنوات بمعزل عن والديْه وعائلته وشعبه، علماً بأننا ملتزمون بالسعى لاستعادته إلى داره سالماً معافى.

إذا ما وُجدت قيادة فلسطينية تناشد السلام، وإذا ما شارك العالم العربى فى السلام، وإذا ما دعمته الولايات المتحدة والمجتمع الدولى - فما من سبب يحول دون تحقيق الانطلاقة نحو السلام.

لقد أثبت شعبنا أنه قادر على صنع المستحيل، إذ إننا صنعنا المعجزات خلال ٦١ عاماً وبالتزامن مع الدفاع المستديم عن وجودنا. ثمة شرائح تُنتج فى إسرائيل لتشغيل الحواسب الآلية فى العالم، وثمة أدوية إسرائيلية تعالج الأمراض العضال، وثمة أجهزة للرى بالتنقيط تجعل مناطق قاحلة فى ربوع العالم تزدهر، فيما يوجد باحثون إسرائيليون يخترقون حدود المعرفة البشرية.

إذا ما رغب جيراننا فى تلبية ندائنا سيصبح السلام فى متناول اليد أيضاً.. إننى أناشد قادة الدول العربية والفلسطينيين: لنواصل معاً السير على درب الراحلين الكبار مناحيم بيجين وأنور السادات ويتسحاق رابين والملك حسين.. دعونا نحقق رؤية النبى إشعياء الذى كان قد أطلق نداءه فى أورشليم القدس قبل ٢٧٠٠ سنة: "فلا ترفعُ أمّةٌ على أمّة سيفاً ولا يتعلّمونَ الحربَ مِنْ بَعدُ" (إشعياء الإصحاح الثانى: ٤).

شهادات

"الأنا" لدى منفذى عملية قصف المفاعل العراقى لا يزال فى الأعالي

بقلم: أنشيل بيبر
هاآرتس ١٢/٦/٢٠٠٩

يوجه العقيد متقاعد، زئيف راز، قائد سرب الـ(أف-١٦) الذى قاد عملية «أوفيرا» لقصف المفاعل النووى العراقى فى السابع من يونيو ١٩٨١ - أى فى مثل هذا الأسبوع قبل ٢٨ عاما - يوجه اتهاما علنيا لأول مرة إلى من كان «رقم ٢» بعده فى العملية - رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية «أمان» اللواء عاموس يادلين، ويقول إنه خلافا للخطة، تعمد يادلين أن يتجاوزه ويقطع عليه بطائرته أثناء قصف المفاعل، وذلك لكى يحظى بالمجد الذى سيناله «أول من قصف المفاعل».

وعلى حد قوله، يعرض يادلين منذ ذلك الحين رواية مشوهة بشأن هذه العملية التاريخية. يختلف بعض الطيارين الذين شاركوا فى العملية مع راز، ويقولون إن المناورة التى قام بها يادلين كانت مبررة من الناحية العملياتية.

هذا الأسبوع، وعقب ما نُشر فى زاوية «حدث فى مثل هذا اليوم» فى صحيفة هاآرتس، عادت الخلافات لتطفو على السطح مجددا بين كبار قادة سلاح الجو، وهى الخلافات المثارة منذ العملية حول مسألة: مَنْ الذى قصف أولا المفاعل العراقى..؟.

كان زئيف راز يتولى إبان العملية قيادة السرب ١١٧، وهو أول سرب يستخدم المقاتلة (أف-١٦)، وقد رأس أول بعثة لسلاح الجو إلى الولايات المتحدة للتدرب على الطائرة الجديدة قبل وصولها إلى إسرائيل. وعندما بدأوا فى سلاح الجو التخطيط لعملية قصف المفاعل، كان راز من أوائل الطيارين الذين عرفوا بهذا السر، بل كان له دور حيوى فى تخطيط العملية. نُفذ الهجوم بواسطة ثمانى مقاتلات، ووقع الاختيار على عاموس يادلين ليكون "الرجل الثاني" الذى يفترض به التحليق إلى جوار راز. كان يادلين حينها برتبة نقيب وأحد نواب راز.

يتحدث ضباط كبار سابقون فى سلاح الجو عن تاريخ طويل من الخلافات والخصومة بين راز ويادلين، ولكن الخلاف حول مسألة قصف المفاعل تمحور فى الأساس حول دقيقة ونصف الدقيقة تقريبا منذ لحظة مرور المقاتلات الثمانى فوق حوض البحر الميت، نحو تسعين كيلومترا غربى الهدف، وحتى عملية القصف نفسها. فى الصور الجوية التى التُقطت لمنطقة الهجوم، والتى تمت الاستعانة بها فى التخطيط للعملية، تُظهر بوضوح بحيرة كبيرة فى قلب البحر، وقد اُختيرت هذه البحيرة لتكون آخر علامة مميزة للطيارين فى طريقهم إلى الهدف، وكان يُفترض براز، باعتباره قائد العملية، أن يوجه أجهزة الملاحة الجوية بحيث يصلوا إلى النقطة الدقيقة.

ولكن عندما اقتربوا من البحر، لم يجدوا الجزيرة، وذلك نتيجة الأمطار الغزيرة التى جعلت مياه البحر تغطى الجزيرة. واجه راز صعوبة فى توجيه الملاح الجوى، وقبل تأهبه للقصف، وجّه الطائرة بزاوية أكثر اتساعا مما خُطط له. يقول راز لصحيفة هاآرتس: "كانت النتيجة هى أننا انحرفنا إلى اليسار

أكثر مما يجب، وحينها اتضح أن عاموس يادلين تجاوزنى وقطع عليّ". وبحسب راز، كان يتعين على يادلين فى هذه الحالة أن يواصل الطيران خلفه فى نفس الاتجاه، وأن يلقى قنابله بعده، وأن يحمى ظهره من الطائرات المعادية أو الصواريخ الأرض جو. من الناحية الفعلية، كان يادلين هو أول من ألقى القنبلتين - التى تزن كل منهما طنا - على المفاعل، وكان راز هو الثانى. يقول راز: "ما الذى دفعه إلى فعل ذلك..؟ كان يفترض به أن يحمى رقم ١".

بعد القصف، حلق المقاتلون بطائراتهم على ارتفاع كبير، وقسّموا أنفسهم ثانية إلى أربع مجموعات، وبـدأوا رحلة العودة. يقول راز: "أول شئ سمعته عبر جهاز اللاسلكى بعد القصف هو قول يادلين بأنه لا يرانى. لم أفهم كيف أن طيارا ذو خبرة وكفاءه مثله لا يرانى. وحينها، رأيته إلى الغرب منى. لم أكن لأنشغل بهذه التفاهات، ونحن فوق بغداد وقد تكون حولنا طائرات ميج أو صواريخ معادية".

قد يحدث فى المناورات والطلعات التدريبية أن يتخذ رقم ٢ قرارا بأن يقطع على القائد ويقصف قبله، وذلك فى حالة ما إذا بدت أمامه فرصة أفضل لإصابة الهدف. أحد الطيارين الذين شاركوا فى العملية، قال لنا هذا الأسبوع إنه بسبب الضغط الفظيع الذى كان واقعا على الطيارين فى هذه العملية، يمكن أن نتفهم قرارا كالذى اتخذه يادلين.

غير أن راز مقتنع بأنهم عندما كانوا فوق بغداد، لم يكن هناك أى مبرر لما قام به يادلين، والأهم من ذلك أنه مقتنع بأن يادلين خطط لهذا سلفا، بل وجربه أثناء إحدى الطلعات التى نفذها الطيارون للتدرب على العملية. يتذكر راز قائلا: «لقد فعل ذلك فى إحدى التدريبات. قطع عليّ وفجأت رأيت بطن طائرته. اندهشت ولكنى لم أكتب هذا فى تقريرى، فهو رغم ذلك نائبى. سألته على انفراد عما فعله، فاكتفى بمجرد الابتسام».

يقول راز إنه بعد بضعة أيام من العملية، ترك له يادلين خطابا فى مكتبه، وأن هذا الخطاب زاد من قناعته بأن نائبه فعل ما فعل لكى يحظى بالمجد: «وجدت على مكتبى بطاقة من يادلين يمتدحنى فيها على تخطيطى وقيادتى للعملية. ثم كتب قائلا: هل دققت فى الشرائط..؟ (التى صورتها الكاميرات المثبتة فى مقدمة الطائرات). أنا أول من ألقى القنابل على الهدف. ليس هذا بالأمر الفظيع، فأنا أيضا أستحق شيئا ما. أدركت حينها لماذا قطع عليّ ولماذا لم أره بعد ذلك. أنا مقتنع بأنه كان يقصد الدخول إلى التاريخ كأول من قصف المفاعل».

فى العقدين الأولين اللذين أعقبا قصف المفاعل العراقى، فُرض حظر للنشر على تفاصيل كثيرة تتعلق بالعملية وبهوية الطيارين المشاركين فيها، وذلك لاعتبارات أمنية، ولكن فى السنوات الأخيرة، رأت النور مجموعة من الكتب والتقارير التى تناولت تفاصيل العملية، وكانت الصورة التى عُرض بها يادلين أكثر إيجابية من صورة راز.

راز، الذى حصل على وسام تقدير من رئيس الأركان رافائيل إيتان (رافول) عن دوره فى قيادة العملية، مقتنع بأن ليادلين دور فى الشائعات التى تحاول تصويره بأنه تردد فى القصف، وبأن يادلين كان له دور رئيسى فى العملية باعتباره أول من قصف.

يعد كتاب «تموز فى اللهب» للصحفى شلومو نكديمون - الذى كان المستشار الإعلامى لرئيس الوزراء مناحم بيجين، الذى أمر بالعملية - يعد هو الصيغة «الرسمية»، حيث تدخل جهاز الأمن وسلاح الجو بشكل كامل فى تأليفه. وقد جاء فى الكتاب أن يادلين «سبق راز وسطر اسمه فى تاريخ سلاح الجو بوصفه أول من قصف المفاعل». ولم يشر الكتاب إلى أن راز تعطل بسبب مشكلة ملاحة.

الصحفى الأمريكى روجر كلاير، الذى التقى ببعض الطيارين الذين شاركوا فى العملية، قال فى كتابه «الإغارة على المفاعل»، إن «عدم التعرف على الجزيرة فى البحر الميت شوش راز، وأن يادلين كان قلقا، حيث لاحظ أن راز ضيّع النقطة وأصبح متشككا فى نفسه. فى الواقع، اعتقد يادلين أن راز لم يكن فى أفضل حالاته فى هذه المهمة. راز كان مذعورا. رأى يادلين أنه ليس أمامه إلا بضع ثوانى، فقرر أن يقطع من تحت طائرة راز وانخفض بشكل أسرع نحو المفاعل»، ولكن راز ينفى هذه الرواية ويقول إنها تعتمد فى الأساس على أقوال يادلين.

شارك ثمانية طيارين فى هذه العملية، كان أصغرهم إيلان رامون - رائد الفضاء الذى لقى حتفه فى تحطم مركبة الفضاء كولومبيا عام ٢٠٠٣. بعض الطيارين الذين شاركوا فى العملية يردّون بغضب على أقوال قائد العملية راز ويقولون إن ادعاءاته لا أساس لها، وأن القرار الذى اتخذه «رقم ٢» بأن يقطع على قائد العملية ويحرر قنابله أولا يعد قرارا عاديا ومألوفا، بل وكثيرا ما يكون ضروريا، مشيرين إلى أن ادعاءات راز تنبع من شعوره بالغضب والمرارة بحكم الخلافات الشخصية بينه وبين يادلين.

يقول العميد احتياط يسرائيل شابير إن «هذا التقرير يظلم يادلين، ويصور الأمور بشكل خاطئ وغير لائق، وأشعر بالأسف على نشر هذه الأمور». ويقول العقيد احتياط حجاى كاتس: «ليس المهم من قصف أولا. المهم هو من قاد العملية ومن نفذ مهمته على أكمل وجه».

العميد احتياط يفتاح سبكتور، القائد السابق لقاعدة رامات جَن، وقائد المجموعة التى نفذت العملية رغم أنه لم يشارك فيها، قال أمس: «لم أنشغل أبدا بالنقاشات حول من أطلق القنابل أولا، ومن أطلق بشكل أفضل. الصراعات بين الجنرالات لا

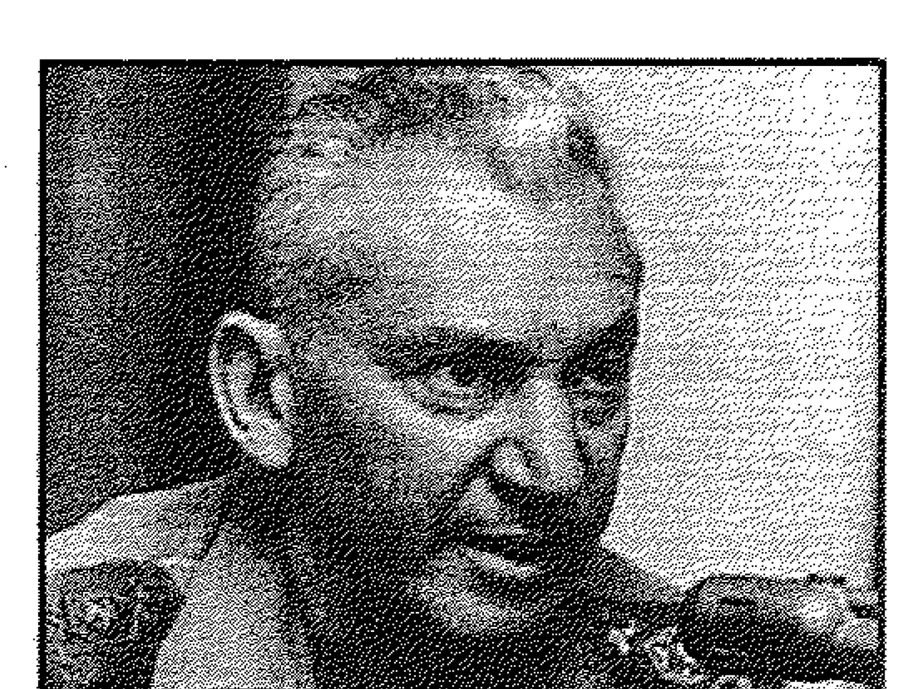
تشغل بالى. التشكيل أصاب الهدف كما ينبغى، أما مسألة من أطلق القنابل أولا، فلا تعنينى فى شئ». العقيد احتياط دوبى يافيه والعميد احتياط أمير نحومى، قائدا المجموعة الثانية فى التشكيل الذى أغار على المفاعل، رفضا التعليق على هذه الادعاءات، فيما قال اللواء احتياط دافيد عفرى، قائد سلاح الجو حينها، إنه لا يعرف بهذه الادعاءات.

أما اللواء يادلين، فقد رفض التعليق بنفسه. وقد جاء فى بيان رسمى أصدره الناطق بلسان الجيش الإسرائيلى أن «الغارة التى نفذتها طائرات سلاح الجو فى عملية تموز وتدمير المفاعل النووى العراقى كانت إنجازا استراتيجيا منقطع النظير، وساهمت فى تشكيل وجه الشرق الأوسط لجيل كامل. العقيد احتياط زئيف راز كان له دور رئيسى فى هذا الإنجاز، وقيادته للعملية محل تقدير واحترام من الجميع. لذا، لا نجد مبرراً للإشتراك فى الجدل الإعلامى الدائر حول مسألة الدور الذى قام به كل واحد من المشاركين فى هذه العملية المعقدة التى تمت فى منطقة محمية بالصواريخ. نأمل من رفاق اللواء يادلين فى السلاح أن يتركوه للتركيز على المهام الثقيلة والمعقدة المنوط بها فى الوقت الحالى».

معركة بارليف

بقلم: موردخاى حاييموفيتش
معاريف ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٩

تفاصيل جديدة عن ملابسات وفاة رئيس الأركان الإسرائيلى الأسبق "حاييم بارليف"



بعد بضعة أشهر من وفاة حاييم بارليف، دعا صديقه المقرب يوسكا ياريف، مساعده الشخصى السابق، بوعز أفلباوم، إلى المطعم الرومانى «حاييم» فى شارع ديزنجوف.. ياريف، من قادة شعبة الاستخبارات العسكرية «أمان» والموساد، والذى كان مسئولا عن تشغيل الجاسوس الإسرائيلى ولفجانج لوتس فى مصر، كشف لضيفه عن اتفاق سرى كان بينه وبين بارليف. وبحسب الاتفاق، إذا مرض أحدهما مرضا عضالا وعانى آلاما لا تطاق، يضع الآخر حد لحياة صديقه.

فى غرفته بمركز شيبا الطبى، رأى ياريف صديق حياته حاييم بارليف يعيش الجحيم. صحيح أن ذهنه كان صافيا، وأنه تحدث بطلاقة، ولكنه كان نحيفا كالهيكل العظمى، حيث تحجر جسده بسبب مرض ضمور العظام.

طلب بارليف من صديقه المفضل أن ينفذ الاتفاق، ولكن ياريف لم يستطع، حيث تجمد الدم فى عروقه، ولم تواته القوة لفعل ذلك. قال ياريف لأفلباوم وهما جالسان فى المطعم: «قلت له: 'حاييم، دعنا نلغى هذا الاتفاق'». ولكن بارليف المعاند والشجاع كالعادة، صمت للحظة وقال: «اذهب يا يوسكا». قبّله ياريف على رأسه. وبينما هو فى طريقه إلى الخارج، رآه يقف بصعوبة ويضع حدا لحياته بنفسه – فصل نفسه عن أنبوب الحياة.

يقول لى الابن عومير بارليف: «هذه قصة جيدة، ولكنها ليست صحيحة. كان بجوار أبى جهاز تنفس، ولكنه لم يكن متصلا به». وتقول أرملته، تامار بارليف: «لم يكن متصلا إلا بأنبوب لنقل الدم والسوائل فى يده».

* إذن، فقد مات من المرض..؟

– عومير: «أبى لم يمت بسبب ضمور العظام».

* فمن ماذا إذاً مات..؟

– «لا أعرف. سألونا إن كنا نريد تشريح الجثة، فقلنا لا. يبدو أنها أزمة قلبية أو ما شابه. لم تكن هناك مشكلة طبية معينة تطورت. قبل يوم من ذلك، قالوا لنا فى المستشفى إنه سيعود إلى البيت. وكأنهم يقولون له: 'لا نستطيع أن نفعل لك شيئا، عد إلى البيت واحتضر'».

* وحينها قرر أن يضع حدا لذلك..؟

– «لا تضع كلاما على لسانى...».

* أنا أسأل فقط.

– «لنفترض أننى سأجيبك، فهل هذا يعنى أنى أعرف..؟ كل هذه مجرد تكهنات. أعتقد أنه قرر أن ليس لديه أى دافع للاستمرار. هذا واضح جدا لى. لقد كان إنسانا قويا، قرر أنه يكفى إلى هذا الحد».

– تامار: «فى اليوم الأخير، قال طبيب الأعصاب إن هناك دواءً جديدا يجب تجريبه، ولكن حاييم كان يائسا ورفض. ولكننى قلت: نعم. نعم، لنجرب ذلك».

– عومير: «كلمة يائس ليست صحيحة. لقد اتخذ قرارا عقلانيا بالانسحاب. إذن، ليكن هناك علاج، ولكن الإرادة التى كانت أساس حياته لم تعد موجودة».

* هل كان معتادا على تقرير مصيره..؟

– «نعم. لقد فهم أن القصة انتهت. من الواضح لى أنه اتخذ

قرارا».

* قرارا لا تعرف كيف نفذه.

- «نعم، وما عدا ذلك غير ذى صلة. ما تهمنا هى الاستراتيجية وليس التكتيك».

قبل ١٥ عاما، وبينما كان فى السبعين من عمره، أدرك بارليف أنه حان الوقت للانسحاب. يقول عنه المؤرخ ميئير باعيل: «كان أفضل القادة الميدانيين فى تاريخ الجيش الإسرائيلي». ويقول وزير الدفاع، إيهود باراك: «كان فى نفس كوكبة القيادة مع يجآل آلون وآريك شارون». ومن مقولاته الشهيرة فى حرب الأيام الست (١٩٦٧): «سنضربهم بقوة، وبسرعة وبشكل لطيف»، كما شارك فى احتلال البلدة القديمة فى القدس، ودخل مع دافيد إليعيزر (دادو) إلى القنيطرة.

تولى حاييم بارليف رئاسة أركان الجيش الإسرائيلى فى فترة حرب الاستنزاف الطاحنة، وأنهى خدمته فى الجيش فى أوائل عام ١٩٧٢. ومع اندلاع حرب عيد الغفران (أكتوبر ١٩٧٣)، تم استدعاؤه للجيش وكان له دور كبير فى إعادة الاستقرار إلى الجبهة الجنوبية المشتعلة. غير أن وصمة انهيار «خط بارليف» - الذى سُمى باسمه، وكان الهدف منه هو التحذير وليس وقف المصريين - صاحبته طيلة حياته.

فهل كان لهذا دور فى إحباط فرصة بارليف فى تولى رئاسة الحكومة فى إسرائيل..؟ يُحتمل أن بارليف لم يرغب فى أن يكون رئيس حكومة، ولكنه كان يرغب جدا فى تولى وزارة الدفاع. ولكن حتى هذا الحلم ضاع منه. ففى انتخابات ١٩٨١، أشار استطلاع لمعهد مينا تسيمح إلى أن: «تنازله لصالح رابين عن الترشح لوزارة الدفاع سيجلب لحزب المعراخ بين أربعة أو خمسة مقاعد فى الكنيست». يقول إيهود باراك: «دائما ما كان يُغلّب المصلحة العامة. وبالطبع، فعل ذلك فى هذه المرة، حيث قال: 'إذا كنتم مقتنعين بأن هذا هو الصواب، فلن أكون عائقا'».

** تكلم ببطء وفكر سريعا:

كان بارليف من نوعية الرجال الذى يتكلمون ببطء ويفكرون سريعا، ودائما ما كان يقول: «من يتحدث سريعا، يكون لديه أشياء يريد إخفاءها». كانت شخصيته هادئة ومنضبطة، وكان يميل للانطواء، وهو ما كان يتيح له الانعزال عن محيطه الصاخب لكى يعود إليه بالأدوات الفكرية اللازمة للتعاطى معه. وعندما وصل إلى الجبهة الجنوبية، ذهب للنوم بضعة ساعات «لأن الجنرال المتعب هو جنرال أحمق».

وعندما استيقظ، لم ينسَ أن يمشط شعره، ثم انكب على الخرائط. كان حازما مثل كوتوزوف (بطل معركة بوردينو التى انتصر فيها الجيش الروسى بقيادته على نابليون)، وحاد الملاحظة كالمحقق فيليب مارلو. يقول أفلباوم، مستشاره الاقتصادى السابق والمقرب منه: «كانت هناك أشياء عديدة مشتركة بينه وبين مارلو: بطولته الفائقة، ورباطة الجأش، والقدرة على التشخيص بدقة، ورؤية الصورة الشاملة».

كان بارليف إنسانا متزنا بشكل لا يمكن تصوره، وكان يتمتع برباطة جأش لا مثيل لها، وهكذا، على سبيل المثال، عندما وقع من على حصانه واصطدم رأسه بالحائط، اشتم كلبه الدنماركى العملاق «جودو» رائحة الدماء وكان على وشك افتراسه، فما كان من بارليف إلا أن أشهر مسدسه وقتل كلبه المدلل. وربما توضح لنا هذه القصة النظام العقلانى الذى كان يسير عليه بارليف فى كل حياته، منحيا العواطف جانبا.. فكان العقل هو السيد وصاحب القرار الأخير.

وُلد حاييم بروتسلفسكى فى فيينا وعاش طفولته المبكرة فى زغرب، ويذكره أصدقاؤه بأنه كان «قائدا» مند طفولته. وبعد هجرته إلى إسرائيل بيومين، التحق بمدرسة «مكفيه يسرائيل» الزراعية. انخرط حاييم فى الدراسة هناك، وكان يتسلل كلما سنحت الفرصة إلى إسطبل يتسحاق تنناوم الذى تولاه بالرعاية.

اشتهر بارليف فى البالماح بلقب «رجل السونكي»، وذلك لأنه خلال أحد التدريبات أُصيب فى رجله من سونكى أحد المتدربين. وفى إحدى الدورات العسكرية فى قاعدة «جعورة»، تعرف بارليف على الأصدقاء الذين رافقوه طيلة حياته: تسفى زامير، وعوزى نركيس، وميئير عاميت، وحاييم جورى، وكذلك أيضا يوسكا ياريف، الذى تقول عنه أرملة بارليف، تامار: «دائما ما رأى فى يوسكا أفضل أصدقائه».

تبلغ تامار بارليف من العمر ٨٣ عاما، وهى امرأة لطيفة ولا تنقصها الصراحة. عندما توجهت إليها فى منزلها، أعدت لى قدحا من القهوة. على الحائط أمامنا صورة لبارليف مع ناحوم ساريج، القائد الأسطورى للواء النقب. فى حافظة بلاستيكية داكنة اللون، تحتفظ تامار بوثيقة جوازها، وشهادة وفاة زوجها وقائمة بكل أعمال حاييم فى البالماح».

* لقد وجدت لك شابا جميلا.

- «جميلا..؟ لَا أعَرف».

* ألا ترين أنه كان جميلا..؟

- «كان على ما يرام. ليس جميلا على نحو خاص. أصبح جميلا مع السنين».

* هل كانت حياتك جيدة معه..؟

- «كانت حياة متقلّبة، شأننا شأن الجميع».

تعرَّف حاييم على تامار فى البالماح، وكانت حينها شابة فاتنة فى الثامنة عشرة من عمرها، وتزوجا فى تل أبيب فى عريشة أحد الحاخامات هناك. كانت حرب التحرير (١٩٤٨) تلفظ أنفاسها الأخيرة، وخشى العريس من ألا يحضر العدد الكافى لإتمام مراسم الزواج.

* هل حياته العسكرية فرضت عليكِ العيش فى عزلة..؟

- «لقد كانت كل صديقاتى فى نفس وضعى. رينا زوجة زامير (تسفى زامير، قائد الجبهة الجنوبية ورئيس الموساد)، وراحيل زوجة تسور (تسفى تسور، رئيس الأركان السادس)، ونحاما زوجة أهرالا (أهارون ياريف، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية «أمان» فى حرب الأيام الستة، ومساعد رئيس الأركان فى حرب عيد الغفران). لقد أنجبنا أطفالا، وكان علينا تربيتهم. فقمنا بذلك».

* هل كان حاييم أبا حنونا..؟

- «انظر، نحن ننتمى إلى جيل مختلف تماما. ابنتى، زوهر، اشتكت لكارميت جيا، التى ألفت كتاب سيرة ذاتية عن حاييم، من أننا لا نقّبل بعضنا. ولكن هذا لم يكن مألوفا فى تلك الأيام. عندما ذهبنا إلى الولايات المتحدة وقبّلنى ميئير عاميت، كدت أن أفقد الوعي».

لدى عودته من الدراسة فى جامعة كولومبيا الأمريكية، كان إسحاق رابين رئيسا للأركان. وقد نشأت منافسة بينه وبين صديقه، عيزرا فايتسمان، على رئاسة شعبة العمليات، ولكن بارليف حسم المنافسة لصالحه. وعندما رافق رئيس الوزراء ورئيس الأركان فى زيارتها لوحدة العمليات الخاصة برئاسة الأركان «سايرت متكال»، لاحظ ضابط شاب - هو إيهود باراك - أن «رابين يوقره تماما. كان أبرز ما يميزه هو الهدوء الداخلي».

غير أن «الأنا» لدى بارليف أحيانا ما حطم طوق الهدوء الذى أحاط به نفسه، وهكذا عندما قرر رئيس الوزراء حينها، ليفى أشكول، تنحيته عن شعبة العمليات وتعيين فايتسمان بدلا منه، لإعطائه فرصة متساوية فى المنافسة على رئاسة الأركان، قرر بارليف ترك الجيش. وقد حاول رفاقه القدامى فى البالماح إقناعه بالعدول عن هذا القرار. يقول يوسكا ياريف: «قلنا له: 'انسى هذا الأمر...' استدعينا يجآل آلون فقال له: 'أنت لن تترك الجيش وإنما ستأخذ إجازة تفرغ للدراسة فى الخارج'». وهكذا، وبعد عام ونصف العام من عودته من نيويورك، سافر بارليف إلى المنفى الأكاديمى فى جامعة السوروبون.

تقول تامار: «طوال رحلتنا إلى باريس، على متن الباخرة «رينسانس»، كنا فى كآبة عميقة. شعرنا أنه تم نفينا إلى باريس. كانت فترة صعبة جدا، ولكننا تحملنا».

غير أن المنفى الفاخر فى باريس أتاح لبارليف اكتشاف الحضارة العظيمة لفرنسا. وبعد عودته من باريس، حرص حتى وفاته تقريبا على الذهاب إلى السينما فى مساء كل سبت، لمشاهدة فيلم أجنبى، وحبذا لو كان فرنسيا (يبدو أنه تأثر أيضاً بالفرنسيين، وهو يبنى خط بارليف الذى كان شبيها بخط ماجينو الذى بناه الفرنسيون على الحدود الفرنسية الألمانية فى الحرب العالمية الثانية).

فى ربيع ١٩٦٧، وبينما كان بارليف يتابع دراسته فى فرنسا، أعلن جمال عبد الناصر إغلاق مضيق تيران، وحشد قواته على طول الحدود، وطرد قوات الأمم المتحدة من سيناء. يقول يسرائيل طل: «نحن اللواءات، طلبنا من رابين إعادته إلى إسرائيل».

فى ٢٣ مايو ١٩٦٧، وبينما كان مسترخيا على شاطئ البحر فى قاعدة عسكرية بجنوب فرنسا، جاءه اتصال. يقول بارليف فى مذكراته: «قطع هدوئى نداء ضابط فرنسي: 'جنرال بارليف، لديك اتصال'... كان هذا يوسكا جولان (الملحق العسكرى فى فرنسا)، الذى قال لي: 'حاييم، وصلتنا برقية. يجب أن تعود إلى البلاد فورا'. وفى المطار، كان فى انتظارى مدير مكتب رئيس الأركان، المقدم رافى إفرات، الذى أبلغنى أن رئيس الأركان مريض فى البيت، وأنه يطلب منى التوجه إلى مقر رئاسة الأركان لكى أرى عن قرب صورة الوضع العسكري».

بعد شفاء رابين من الوعكة التى ألمت به، أصدر قرارا بتعيين بارليف نائبا لرئيس الأركان، وهو المنصب الذى فُصّل خصيصا له. اندلعت الحرب فى الساعة الثامنة والربع من صباح الخامس من يونيو. وعندما حانت ساعة القدس، اتصل بارليف بقائد المنطقة الوسطى، عوزى نركيس، وقال له: «هناك تصريح بدخول البلدة القديمة. أنا فى الطريق إليك». أبعد بارليف نفسه بنفسه عن دخول التاريخ، وذلك عندما رفض الانضمام إلى الصورة التى التُقطت لرابين وديان ونركيس وهم يدخلون البلدة القديمة. ولكن ذلك لا ينفى أن دوره فى إدارة الحرب كان مصيريا. وقد قال أشكول فيما بعد: «لو أن بارليف كان إلى جانبه فى الصورة، ما كنت لأمنح ديان حقيبة الدفاع». احتفل بارليف بالنصر بشرب زجاجة ويسكى فى منزل يوسكا ياريف.

بعد ذلك بفترة وجيزة، اجتمع رفاق بارليف فى البالماح فى منزل يوسكا ياريف، ولكن هذه المرة لمناقشة موضوع ترشيح بارليف لرئاسة الأركان. وكانت نوعا أشكول، ابنة رئيس الوزراء ليفى أشكول، حاضرة هذا الاجتماع، فطلب منها الحاضرون أن تتصل بأبيها، فاتصلت به وسألته عن هذا الموضوع، فرد عليها بأنه لا يستطيع تعيين بارليف دون توصية من وزير الدفاع، إسحاق رابين.

وبعد مماطلات، أعلن رابين أنه يدعم بارليف، فسارع أشكول بإبلاغه بأنه أصبح رئيس الأركان الثامن للجيش الإسرائيلى. بعد حرب الأيام الست، أعلن الرئيس المصرى جمال عبد الناصر: «لا أستطيع أن أحتل سيناء، ولكنى قادر على استنزاف إسرائيل وكسر روحها». ومنذ بداية سبتمبر ١٩٦٨، بدأ المصريون فى تنفيذ عمليات قصف مريعة ضد قوات الجيش الإسرائيلى فى منطقة القناة. فى كل يوم، كانت

الصفحات الأولى للجرائد تتصدرها صور الجنود الجرحى. حاول بارليف التظاهر بالثبات ورباطة الجأش، ولكن عندما كانت تصله التقارير المريرة من القناة، كان وجهه يشحب.

رد الجيش الإسرائيلى بقيادة بارليف على الهجمات المصرية بعمليات قصف جوى فى العمق المصرى، وبيناء خط النقاط الحصينة الذى يتكون من ٣٠ نقطة حصينة، المسافة بين كل منها والأخرى نحو ١٠ كيلومترات. وفى كل نقطة، يتمركز ٣٠ مقاتلا مجهزين بمدافع هاون وأجهزة رصد، ووراؤها خط كثيف من المدرعات والمدفعية.

يؤكد اللواء أفراهام أدان (بيرن) الذى رأس فريق الإنشاء: «لم يكن هذا خط بارليف أو خط ماجينو، وإنما سلسلة متوالية من نقاط الإنـذار». وقد عارض اللواءان آريئيل شارون ويسرائيل طل إقامة هذا الخط، واقترحا اللجوء إلى أسلوب التحصينات المتحركة والأكثر قتالية، كنقاط المراقبة والدوريات فى أماكن غير محددة. ولكن الحكومة قررت البدء فى بنائه. انتهت حرب الاستنزاف باتفاق لوقف إطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠، بعد أن أودت بحياة ٣٦٧ إسرائيليا. وفى أوائل عام ١٩٧٢، وبعد ٢٩ سنة من الحياة العسكرية، أنهى بارليف خدمته فى الجيش الإسرائيلى، بينما كان فى الثامنة والأربعين من العمر.

**** الأمل المنشود للمعراخ:**

كان الكثيرون يعولون على بارليف ويرون فيه الأمل المنشود لحزب المعراخ وقائده المنتظر، وقد قال عنه يوئيل ماركوس فى صحيفة «هاآرتس» بأنه سيكون خليفة جولدا. فى ٨ مارس ١٩٧٢، عُين حاييم بارليف وزيرا للصناعة والتجارة، ولكن فى الأيام الأولى من حياته السياسية الجديدة، بدا أنه «غير انقلابى». وبدلا من الثورات، تحدث عن ضرورة التحاور بين الأجيال.

أتذكر شخصيا أننى أُصبت بخيبة أمل عندما وجدت هذا القائد العسكرى المبجل يُبتلع بهذه السرعة داخل الهرم الحزبى.

- عومير بارليف: «لقد كان شديد الإخلاص للمنظومة. هكذا تربى، وهكذا تعامل طيلة حياته».

فى الساعة ١٤:٠٥، اندلعت حرب عيد الغفران (١٩٧٣). لم يعرف حاييم بارليف أن آريك شارون، قائد الجبهة الجنوبية حتى ثلاثة أشهر قبل الحرب، قد أغلق عددا كبيرا من النقاط الحصينة فى خط بارليف، بحيث لم تتبقَ سوى ١٦ نقطة فقط من النقاط الثلاثين. كما لم يعلم بارليف بلقاء الملك حسين مع جولدا مائير وتحذيره لها من أن الحرب باتت وشيكة. وقد قال بعد الحرب: «لو كنت عضوا فى المطبخ السياسى وعرفت بهذا اللقاء، لزودتها بالأسئلة الصحيحة. إنها ببساطة لم تعرف كيف تسأل».

فى السابع من أكتوبر، طُلب من بارليف التوجه إلى الجولان. وصل بارليف إلى مقر القيادة فى جبل كنعان بعد السادسة مساء بقليل. وبعد وصوله بأربع ساعات، عرض على وزير الدفاع خطط الهجوم المركز.

* هل حضور بارليف الباعث على الهدوء كان له دور بالنسبة لك فى حرب عيد الغفران..؟

- اللواء يتسحاق حوفى، قائد الجبهة الشمالية حينها: «لا أستطيع الإشارة إلى شئ محدد. أتذكر فقط أنه ذهب إلى شاطئ طبرية، باتجاه منطقة عين جَف، للإطلاع على صورة الوضع».

لم يسقط أى موقع فى الجولان فى أيدى السوريين، وكان قد تم إخلاء السكان قبل اندلاع الحرب. وبعد ٤٨ ساعة، شرع الجيش الإسرائيلى فى شن هجوم مضاد. كان من الواضح لحوفى أن جبهته متماسكة، وأن بارليف لم يأتِ لإنقاذه. وبعد فترة وجيزة، توجه بارليف إلى الجبهة الجنوبية.

**** الإخفاق سُجل على اسمه:**

جن جنون شموئيل جونين (جوروديش)، قائد الجبهة الجنوبية، من إرسال بارليف إليه. ولكن لم يكن أمامه خيار آخر. مع اندلاع الحرب، كان عدد الجنود المنتشرين فى النقاط الحصينة المتبقية لا يزيد على ٤٥٠، ولم يكن معظمهم يتمتع بكفاءات قتالية عالية، كما كانت تفترض الخطة الأصلية. سقطت النقاط الحصينة فى أيدى المصريين، وأقاموا رؤوس جسور ودمروا نصف قوة الدبابات تقريبا.

فى الليلة ما بين الثامن والتاسع من أكتوبر، فشل الهجوم المضاد، ووجد جوروديش صعوبة فى فرض إمرته على شارون - القائد السابق للجبهة. يرى رئيس الأركان دافيد إليعيزر الجبهة تنهار، فيفرض بارليف على جوروديش. وسريعا جدا، يخطط بارليف للثغرة ويستدعى قادة الفرق لمناقشة الخطة. يقول إيهود باراك، قائد إحدى كتائب الدبابات حينها: «منذ وصول حاييم إلى هناك، حل على الجميع نوع من الهدوء الداخلى».

* ماذا كان إسهامه العملياتى..؟

- «بث الاستقرار فى الجبهة وفى منظومة القيادة، وفرض النظام بسرعة وشجاعة. بارليف هو الوحيد الذى كان بمقدوره توجيه جبل بركانى كآريك شارون».

**** الثغرة أيضا:**

«لقد أدرك أنه يجب تنفيذ عملية الثغرة، ولكن من المهم التجهيز لها جيدا. بدون توصيته، ما كان المستوى السياسى أو رئيس الأركان ليقرروا فعل ذلك».

* بسبب «خط بارليف»، نُظر إليه كشريك فى الإخفاق، فهل تعرض للظلم فى ذلك..؟

- «هو وبيرن اعتقدا أنه من الضرورى إقامة الخط، فيما

عارضه شارون وطل - وثبت صحة وجهة نظرهما فى النهاية. ولكن بارليف لم يخدع نفسه بأن الخط سيمنع الحرب، فقد كان الهدف منه مجرد الإنذار».

واجـه بارليف واقعا مريرا بعد الحـرب، فالحركات الاحتجاجية والاتهامات كانت تلاحقه فى كل مكان، وقد حاول أن يبرئ نفسه من أى مسئولية عن هذا الإخفاق، وأن يمحو عن جبينه «وصمة عار خط بارليف»، وهكذا كان يوافق بحماسة على الظهور فى وسائل الإعلام. وقد قال فى مقابلة مع جدعون ليفى من صحيفة «هاآرتس»: «لو أن آريك شارون كان يعارض فعلا وجهة نظرى ويعتبرها كارثية، كما قال بعد الحرب، لما وافق على تولى قيادة الجبهة الجنوبية... لقد نشأ هذا الاعتراض بعد الحرب، عندما وقف شعب إسرائيل مذهولا وسأل: ما الذى حدث..؟».

** جعلوه شريكا فى الفشل:

عومير: «نعم، هذا واضح. ولكن الغريب أنهم صوروا شارون على أنه منقذ إسرائيل، فيما أن الحقيقة عكس ذلك تماما. فى السنوات التى سبقت الحرب، غيّر شارون نظرية الدفاع مما أتاح للمصريين تحقيق النصر. الهدف من النقاط الحصينة كان الإنذار، فيما اعتقد الجمهور أنها مخصصة لوقف المصريين، وهذا ما آلم أبى بشكل كبير».

* ماذا كنت تريده أن يفعل..؟

- «أن يؤلف كتابا، أن يرد، أن يدلى بمقابلات لوسائل الإعلام».

* ربما أن خط بارليف لم يعترض طريق المصريين، وإنما اعترض طريق والدك لكرسى رئيس الحكومة.

- «لا يهم. كثيرا ما كان يقول لى: 'كى تكون رئيس حكومة فى إسرائيل، يجب أن تكون إنسانا غير طبيعى بالمرة'».

كان رفاق بارليف يعتقدون أنه يستحق منصبا أكبر من وزير الصناعة والتجارة. أحدهم كان بوعز أفلباوم، الذى سرّب لوسائل الإعلام خبرا بأن رابين يعتزم منح بارليف حقيبة المالية فى وزارته الأولى، بدلا من يهوشع رابينوفيتش. غضب رابين بشدة وكلّف مساعديه بمعرفة مصدر هذا التسريب. غير أن بارليف لم يكن يريد وزارة المالية، وإنما كان حلمه أن يتولى وزارة الدفاع. وفى صيف ١٩٨١، شعر أنه على وشك تولى هذا المنصب، حيث ظهرت لافتات الانتخابات بشعارات مثل «الفريق بارليف وزير الدفاع فى حكومة المعراخ... يمكنك الاعتماد عليه بثقة». غير أن حزب المعراخ نفسه لم يصدق هذا الشعار، خاصة بعد استطلاع معهد «مينا تسيمح» الذى أشار إلى أن استبدال بيريس برابين على رأس قائمة الحزب للانتخابات سيؤثر على النتائج، وكذلك أيضا استبدال بارليف برابين لمنصب وزير الدفاع. يقول عومير: «بيريس بالطبع لم يفكر فى استبدال نفسه، وألمح إلى تسيمح بمحاولة إقناع بارليف، وأنا أتذكر هذا اللقاء». ورغم أن بارليف تنازل بالفعل لصالح رابين، إلا أن المعراخ خسر الانتخابات. وما كان من بارليف إلا أن قال: «من حسن حظى أننى انسحبت، وإلا لألقوا باللائمة عليّ».

** الروس وجنرال حرب الاستنزاف:

نجح انقلاب ١٩٩٢ فى تبديد خيبة الأمل من عام ١٩٨١. فاز رابين، وعرض وزير خارجيته، شمعون بيريس على بارليف تولى منصب سفير إسرائيل فى موسكو. كان بارليف أول سفير لدى روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى. وقد نشأت صداقة قوية بينه وبين ألكسندر يعقوفلوف، مساعد جورباتشوف. كانت السفير يتحدث اللغة الروسية بشكل جيد إلى حد كبير، واصطحبه يعقوفلوف إلى ندوات فى كل أنحاء روسيا. كان الجميع يريدون سماع جنرال حرب الاستنزاف، الرجل الذى واجه طياروه نظراءهم السوفييت فى سماء مصر. كان بارليف يكثر من زيارة المؤسسات اليهودية فى روسيا ويدعو مستمعيه إلى الهجرة لإسرائيل.

تقول تامار: «شعر ذات مرة أن يده اليسرى ليست على ما يرام، فاعتقدت أن هذا من أثر السقوط من فوق الحصان». وبعد بضعة أشهر، وصل الزوجان إلى إسرائيل فى إجازة. عند فحصه فى مستشفى شيبا، حدد الأطباء أنه مصاب بمرض التصلب العصبى العضلى (ALS)، المعروف باسم ضمور العظام. وهو مرض مميت لا دواء له.

* كيف تعاملتم مع هذا الخبر..؟

- تقول تامار: "من الواضح أن الأمر كان صعبا. عملت من قبل مع المعاقين، وكانت هناك حالة كهذه. وقد كنت أعرف أن نهاية هذا المرض هى الموت».

طلب عومير التحدث مع البروفيسور هوروشوفسكى، الذى قال له إن المرض يجعل الجسم يضمر رويدا رويدا حتى الموت، وأنه لا يمكن التنبؤ بالفترة الزمنية، فقد تكون أشهر أو سنوات.. «ولكن بالنسبة لأبى، كان واضحا أن المسألة لن تزيد على أشهر».

عاد بارليف إلى موسكو. وبدون أن يطلب، أحاط طاقم السفارة مسألة مرض السفير بهالة من الصمت. لا تقرير أو اتصال هاتفى بإسرائيل عن مرض السفير. يقول عومير: «رأوه يذبل أمام أعينهم ولم يفعلوا شيئا، وكأن سحرا قد مسهم».

تقول سكرتيرته، عنات كاجين: «حرصنا على عدم جرح كرامته. لم نشأ أن نكشف النقاب عن مرضه لنزيد من آلامه». امتنع بارليف عن الأكل أمام الناس، حيث كان يجد صعوبة فى التحكم بيده، وكانت تامار تساعده فى ارتداء ملابسه. تقول تامار: «كنت أساعده أيضا فى ربط رابطة العنق. أصبح جسده نحيفا جدا بحيث اضطررت إلى تضييق سراويله». وتصف

كاجين تامار بأنها كانت «زوجة بطلة، حيث اهتمت بإعطائه الاحترام اللازم لكي يبدو إنسانا متكاملا».

فى يناير ١٩٩٤، جاء ابنه عومير فى زيارة، وقد أعد له الوالدان برنامجاً ترفيهياً مرهقاً، حيث كانوا يخرجون كل يوم لحضور عرض أو حفل موسيقى أو للتنزه، حتى إن عومير قال لهما ذات مرة: «هل من الممكن أن نبقى لليلة واحدة فى البيت..؟».

خلال مرضه، عمل السفير بارليف على بناء اتفاق اقتصادى مع روسيا، وأصَّر على أن يحضر رئيس الوزراء رابين إلى موسكو للمشاركة فى مراسم التوقيع على الاتفاق. وصل رابين إلى موسكو فى يوم روسى مطير. كان الحب إلى جانب المنافسة يجمعان دائما بين رابين وبارليف. احتضن رابين بارليف حضنا دافئا طويلا. من الصور التى نقلها التليفزيون، اتضح للمسئولين فى إسرائيل للمرة الأولى أن أمرا ما ألم برجلهم فى موسكو، حيث كان يجد صعوبة فى المشى والكلام، وكان جسده هزيلا جدا.

* كيف نجح فى الصمود طيلة هذا اليوم..؟

- تامار: «انظر، أنا لا أريد الحديث عن ذلك، ولكن رابين لم يكن مائة بالمائة».

* ماذا يعنى ذلك..؟

- «رابين هو رابين، ولكننى لا أريد الخوض فى ذلك».

ورغم ذلك، رافق السفير رئيس الوزراء فى كل مقابلاته. وحسبما تقول ميخا جولدمان، نائبة وزير التعليم حينها، والتى كانت فى الوفد المرافق لرئيس الوزراء، عرض رابين على بارليف أن يعود معه على متن طائرته إلى إسرائيل لإجراء فحوصات، ولكن بارليف رفض. وبعد بضعة أيام، فحصه طبيب من وزارة الخارجية، وأوصى بعودته فورا إلى إسرائيل. ودّع السفير موظفيه ووعدهم قائلا: «أنا عائد إليكم».

لدى هبوطه فى مطار بن جوريون، نُقل إلى مستشفى شيبا على كرسى متحرك. وعندما زارته ابنته، زوهر، قال لها: «أكنتِ تتخيلين أن أبيك سيجلس على كرسى متحرك..؟». ولكنَ بارليف كان يتوقع زيارة يوسكا ياريف تحديدا، وذلك لتنفيذ الاتفاق بينهما. وكان ياريف قد زار بارليف فى موسكو قبل بضعة أشهر، فقال له بارليف: «يوسكا، هل تذكر ما اتفقنا عليه..؟». ولكن الآن، عندما طلب منه التنفيذ، تجمد الدم فى عروقه.

تُوفى يوسكا بعد بارليف بأربع سنوات. وكما قلنا سلفا، فقد ودعه فى المستشفى بقبلة على رأسه، ورآه وهو فى طريقه إلى الخارج ينزع الأجهزة من على جسده - وهو ما ينفيه عومير وتامار تماما. تامار تتذكر فقط أن الأطباء قالوا لزوجها إنه فى الغرفة المجاورة ترقد امرأة فى نفس حالته.. «مشلولة، ومتصلة بجهاز تنفس. الرأس فقط هى التى تعمل». ذهب بارليف لرؤيتها وهاله منظرها، فقرر أنه لن يصل أبدا إلى هذا الوضع.

** السبت الأخير:

فى مساء يوم الجمعة، كانت تامار معه فى المستشفى. وكانت تخطط أن تسافر مع ابنها عومير يوم الأحد إلى موسكو لجمع أغراضهم وإغلاق المنزل. قال الأطباء إنهم يريدون تجريب دواء جديد، ولكنه رفض. قالوا له إنه سيعود إلى البيت، ففسر ذلك على أنه اعتراف بأنهم فقدوا الأمل. حاولت تامار الشد من أزره قائلة: «نذهب إلى البيت، ونكتب الكتاب عن سيرة حياتك. زوهر بدأت بالفعل فى كتابته». فى الحادية عشرة مساء، استعدت تامار للعودة إلى المنزل».

* هل ودعته..؟

- «لم نقل أىَ كلمة وداع، وإنما فقط قبّلنى وقبّلته».

فى صباح يوم السبت، يدق الهاتف فى منزلها، ويطلبوا منها أن تأتى بسرعة لأن حالة زوجها قد تدهورت. اتصلت بابنيها عومير وزوهر. ولكنه كان قد فارق الحياة عندما وصلوا إلى المستشفى. قالت لهم الطبيبة النوبتجية: «عند مرورى عليه فى الساعة الواحدة ليلا وجدته نائما. وفى المرور التالى، فى الخامسة صباحا، كان يرقد على سريره ميتا. حتى جرس الاستدعاء لم يضغط عليه». وأصدرت المستشفى بيانا قالت فيه إنه تُوفى جراء أزمة قلبية، دون الإشارة إلى أن حاييم بارليف كان ببساطة يريد الموت.

حكايات عملاء وحدة الاستخبارات ٥٠٤ فى لبنان

بقلم: يوسى ميلمان
هاآرتس ٢٢/٥/٢٠٠٩



إحدى المهام التى كُلِّف بها أحد أعضاء شبكة التجسس التى تم اعتقال أفرادها فى لبنان فى الأسابيع الأخيرة، كانت -وفقا لما نشر فى لبنان- التقرب من قائد حزب الله، حسن نصر الله، من أجل معرفة المكان الذى يختبئ فيه. وكانت صحيفة «السفير» اللبنانية، المقربة من حزب الله، قد نشرت فى عددها الصادر أمس الأول أن المشتبه فيه، زياد الحمصى، الذى اعتُقل فى لبنان، اعترف بأن إسرائيل طلبت منه محاولة الالتقاء بنصر الله «بحيث تتمكن إسرائيل من تعقب الطريق الذى سيسلكه الحمصى من بلدته وحتى المكان الذى سيتم فيه اللقاء مع نصر الله»، ولكن الحمصى فشل فى تنفيذ هذه المهمة.

قائد أجهزة الأمن الداخلية فى لبنان، الجنرال أشرف ريفى، وصف الحمصى بأنه «العميل الأكثر أهمية» فى شبكة التجسس الإسرائيلية. والحمصى هو ناشر مجلة دورية باسم «الإرادة»، وناشط فى صفوف تيار «المستقبل» المناهض لحزب الله، والذى يتزعمه سعد الحريرى. ووفقا لوسائل الإعلام فى لبنان، فقد روى الحمصى للمحققين أن تجنيده للعمل لحساب الاستخبارات الإسرائيلية تم قبل نحو أربع سنوات، وأنه لجأ إلى ذلك بسبب «أزمة مالية» ألمت به، وكان بحاجة ماسة إلى مصدر تمويل لتغطية ديونه. وحصل الحمصى مقابل الخدمات التى قام بها على ١٠٠ ألف دولار، وعلى حد قوله، لا يزال من يعمل لحسابهم مدينين له بـ١٠٠ ألف دولار أخرى.

وفقا لتوزيع العمل المعمول به فى أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، يُفعِّل جهاز الموساد - بواسطة وحدتى «تسوميت» (شعبة تفعيل العملاء) وقيساريا» (الوحدة العملياتية) - عملاءً يتم تجنيدهم فى «بلدان إقامتهم»، ومن هناك يُرسلون للقيام بمهام فى «بلد المقصد»، سواء دول معادية أو منظمات إرهابية.

كما أن هناك وحدة تابعة لشعبة الاستخبارات العسكرية (أمان) مسئولة عن تفعيل العملاء وتعرف بالاسم الرمزى «الوحدة ٥٠٤». ووفقا لتوزيع العمل بينها وبين الموساد، فإن تلك الوحدة مسئولة عن تفعيل عملاء فى مناطق الحدود بين إسرائيل وكل من سوريا، ولبنان، ومصر، وأيضا مناطق السلطة الفلسطينية. ظاهريا، يجب أن يكون توزيع العمل بين الموساد والوحدة ٥٠٤ واضحا، ولكن تبين أنه على الرغم من التنسيق بين الجهازين، إلا أن نشاطات كل منهما ألحقت الضرر فى بعض الأحيان بنشاطات الجهاز الآخر. وفى لبنان أصبحت ظاهرة التداخل فى المهام أكثر حدة، حيث دخل إلى المعادلة فى سنوات معينة جهاز ثالث هو الشاباك (جهاز الأمن العام). ولم تفلح المحاولات المتعددة التى قامت بها الأجهزة الثلاثة لعقد ميثاق يتم بموجبه توزيع المهام بين الأجهزة المختلفة، وإيجاد حلول للاحتكاكات فيما بينها.

بالأمس، أفادت شبكة «المنار» التليفزيونية التابعة لحزب الله أنه تم اعتقال ١٨ لبنانيا منذ يناير الماضى كمشتبه فى انتمائهم إلى شبكة التجسس الإسرائيلية. اعترافات بعض المعتقلين - والتى تُنشر فى وسائل الإعلام اللبنانية - تعد مثيرة جدا وتتيح فرصة نادرة جدا لإلقاء نظرة متفحصة على أساليب العمل والأهداف والعتاد الذى تستخدمه أجهزة المخابرات الإسرائيلية. فى الماضى، كان الاتصال المُشفر مع عميل يعد عملية معقدة تستوجب عتادا خاصا وكتب توجيه مشفرة. أما اليوم، فمن الممكن خلق الاتصال بواسطة البريد الإلكترونى.

وبين العتاد الذى عُثر عليه مع المشبوهين، هناك تقنيات للتستر كانت بمثابة دليل على حدوث تطوير وإبداع فى أساليب عمل الوحدة التكنولوجية ذات الصلة بعمليات التفعيل. على سبيل المثال، أجهزة اتصال تم إخفاؤها فى ثلاجات الطعام الصغيرة أو فى أقدام تعويضية.

وكما يبدو، فالقدم التعويضية كانت تعود لأحد العملاء المعوقين، على الحايك، وهو مدرس رياضيات من قرية القليعة المحاذية لبلدة المطلة الإسرائيلية. وتمكن الحايك، وفقا للتقارير الصحفية فى لبنان، من الهرب إلى داخل إسرائيل قبل اعتقاله.

ولولا أقوال الجنرال ريفى الذى وصف فيها الحمصى بأنه أبرز وأكبر العملاء فى شبكة التجسس الإسرائيلية، لكان من الممكن الاعتقاد بأن تلك الصفة تصلح لرجل آخر بالذات:

العميد متقاعد أديب العلم، الذى تم اعتقاله قبل الحمصى بأكثر من شهر. فقد أسس العلم، وفقا للتقارير الصحفية، وكالة لاستقدام العمال الأجانب تم تمويلها جزئيا من جانب الموساد. وتحت هذا الغطاء، كان بإمكان العلم مغادرة لبنان إلى الخارج لمقابلة مشغليه فى الموساد ومساعدتهم فى تجنيد عملاء.

* خطأ فى الحفاظ على السرية:

طرح بعض المعلقين الأمنيين فى إسرائيل احتمال أن يكون أحد أسباب افتضاح أمر الشبكة هو خلل فى الحفاظ على السرية، أى أن خللا فى العلاقة بين العملاء هو الذى أوقع الشبكة. فى الماضى، كانت هناك حالات تم فيها تجنيد العميل بأسلوب «الشبكة» (أى أن أحد أقارب العائلة أو صديق يقود المشغّلين إلى الهدف المنتقى للتجنيد)، ومثل هذا الأسلوب يكون أقل فاعلية فى الحفاظ على السرية من التجنيد المباشر لعميل منفرد.

لكن الجنرال ريفى تحديدا نفى هذه الاحتمالية، إذ قال فى حديث مع صحيفة «السفير» إن الشبكة لم تقع بسبب الاعترافات التى أدلى بها المشتبه فيهم، بل بالذات بسبب «سر تقني» - على حد تعبيره - سيتم الكشف عنه عندما يحين الوقت. ويبدو أنه قصد بذلك تفعيل منظومات التنصت التى كانت تتصيد الاتصالات بين أعضاء الشبكة.

المسئولية عن إحباط نشاطات التجسس فى لبنان ملقاة على عاتق جهاز الأمن الداخلى والمخابرات العسكرية فى لبنان. وهذان الجهازان لم يشتهرا بأساليب عملهما المحكمة وبقدراتهما التكنولوجية المتطورة، ولكن فى السنتين الأخيرتين بدأت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) فى تقديم المساعدات لأجهزة الأمن اللبنانية عن طريق التدريب والتأهيل، وأيضا تزويدها بأجهزة اتصال متطورة.

من المحتمل أن ثمة قدرا من المبالغة فى وصف نطاق النشاط التجسسى الإسرائيلى فى لبنان، ولكن ثمة مصلحة سياسية صرف لكل من حزب الله وزعيمه، حسن نصر الله، فى المبالغة فى خطورة هذا النشاط على خلفية الانتخابات العامة فى لبنان المقرر لها الشهر المقبل، كى يصوروا أنفسهم كمن يتصدى للنشاط الإسرائيلى، ويديرون المقاومة ضد إسرائيل.

ألعاب نارية وأصوات مدوية فى الجبهة الداخلية للعدو ■

بقلم: نير مان
هاآرتس ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٩

فى عام ١٩٦٨، انضمت إلى قيادة المنطقة الجنوبية وحدة صغيرة من سلاح المهندسين، عملت على تطوير أسلحة مثل سروج مبطنة للجمال كى يستخدمها جنود الاستطلاع اليهود الحساسين، وحوامات للمستنقعات فى شمال سيناء، وتجهيز رشاشات تعمل بأشعة الليزر. والآن، بعد عشرين عاما من تفكيك الوحدة، فإن جنودها على استعداد لكشف كل كبيرة وصغيرة من أسرارهم.

منذ بضع سنوات، قرر شخص ما فى قيادة المنطقة الجنوبية إعادة إحلال النظام وإزالة قائمة مشروعات وحدة الأسلحة بالجنوب، والتى تم تفكيكها بعد ٢٠ عاما من العمل. وعندما أبلغ بذلك البروفيسور كنت (كاني) بريس، قام بحشد أصدقائه المهندسين، مؤسسى الوحدة، لتخليد أعمالهم. يوئيل أمير، وعامير تلمون، والعقيد احتياط يجآل ميلو، وألون تسفرير، تم إشراكهم بالمهمة لحصر الهدف الذى أقيمت الوحدة من أجله. ومن بين أكثر من ٢٥٠ مشروعا نفذتهم الوحدة، نجحوا بمنهجية دقيقة فى استعادة وتوثيق ٧١ مشروعاً، بما فى ذلك المشروعات الفاشلة، كل واحد فى المذكرة الخاصة به.

عمل أفراد الوحدة على تطوير وسائل قتالية بحسب متطلبات الوحدات المختلفة فى المنطقة الجنوبية، بدءاً من سروج مبطنة لامتطاء الجمال ومروراً بجهاز توجيه ليلى للدبابات، ووصولاً إلى رشاش يعمل بأشعة الليزر. وفى حرب يوم الغفران (أكتوبر ١٩٧٣)، ورغم أنهم لم يكن لديهم خبرة فى الأعمال الميدانية، تم تكليف أفراد الوحدة بتقويم العمل الميدانى للقيادة، كما أنهم أشاروا إلى الخرائط التى توضح انتشار القوات والتغييرات فى وضع الجبهة، وكذلك سجلوا يوميات المعركة. قائد المنطقة، شموئيل جونين (جوروديش) كان من جلب مسجل صوت كبيراً، ووضعه على المنصدة الرئيسية، وعمل على تسجيل الجلسات. لكن بعد الحرب، بسبب معرفتهم القريبة بالمادة ومهاراتهم التقنية، حصل اثنان من أفراد الوحدة، تلمون وبريس، على التسجيلات لفك شفراتها وتفريغ محتوياتها، ثم طلب منهما مساعدة جوروديش فى الاستعداد للإدلاء بشهادته أمام لجنة أجرانات.

يقول تلمون: «لم يخطر ببالنا قط أن أمرنا سيكشف، والآن أيضاً لا نريد الكشف عنا للجمهور. مشروع التوثيق الحالى جاء بمبادرة من بريس حتى نترك شيئاً ما لأبنائنا وأحفادنا، وليس للجمهور العريض". ويؤكد ميلو قائلاً: "الكشف عنا لم يكن مطروحا على الساحة، بمنتهى البساطة لأن هذا لم يكن

يعنيهم. أعلم أن هذا يبدو الآن وكأنه من عالم آخر، لكن كم غريب أن ذلك حدث - لقد حدث ذلك فعلاً».

* خدمة احتياط في ديمونة:

كان العريف يوئيل أمير والعريف عومري تلمون يؤديان خدمة الاحتياط خلال حرب الأيام الستة في قرية الأبحاث الذرية بديمونة. وقد استقال المهندسان اللذان كان من مؤسسي المفاعل النووي، من عملهما فيه وأقاما في عام ١٩٦٦ شركة صناعات تكنولوجيا متطورة خاصة في بئر السبع اسمها «بيتا للهندسة والتطوير». ومرت الحرب عليهما بشكل سلبي، وسيطر عليهما الشعور بالإحباط لأن قدراتهما التكنولوجية غير مستغلة، ولم تتراجع رغبتهما في المساهمة بعد الحرب. يقول تلمون: «كانت شركتنا من أوائل شركات التكنولوجيا المتطورة في إسرائيل. مكتبنا كان في البلدة القديمة ببئر السبع، وعملنا هناك على مدار ٢٤ ساعة يومياً. تحدثنا عن أن الجيش الإسرائيلي لم يستغل قدراتنا. وفي بئر السبع في حينه كان الجميع يعرف بعضهم بعضاً. ضباط القيادة كانوا يقطنون في المدينة، وفي أيام الجمعة بعد الظهيرة كانوا يلعبون كرة القدم مع رجال أعمال ومحاضرين من الجامعة. في مطلع عام ١٩٦٨ التقى تلمون وقائد المنطقة الجنوبية، يشعياهو (شيكا) جفيش، في إحدى الحفلات، وعرض عليه أن يشكل في القيادة وحدة مستقلة ذات خبرات فنية وسرعة في العمل. جفيش طرح عدة أسئلة، ودعا تلمون لطرح الفكرة خلال جلسة ضباط مقر القيادة. وقد تلقى الحاضرون تعليمات للاستعانة بالوحدة الجديدة، التي حصلت على اسم «وحدة الوسائل القتالية الجنوبية».

وُضعت «الوحدة» بعد انضمام جنديي الاحتياط، أمير وتلمون، تحت قيادة ضابط التسليح القيادي. وبدأت أصغر وحدة بالجيش الإسرائيلي عملها ببلورة أوراق موقف مهنية في مجالات الإلكترونيات والميكانيكا والكيمياء. وقد كان الرأي الفني للاثنين هو رفض استخدام الرشاش الذي تم تطويره في القيادة الشمالية، والذي كان يتم وضعه في مسارات اختراق المخربين، فقد اكتشفا أنه أخطر على قواتنا من المتسللين.

تمثل الإسهام التاريخي للوحدة من خلال الرائد ماكس كوفيل هآجدي. ربما كانت تلك هي الطريقة اللائقة لتحريك الرائد المشاغب، الذي اصطدم أكثر من مرة مع قوانين الانضباط العسكرية، وربما كان هو أفضل تجسيد لمثال الرجل المناسب في المكان المناسب. لقد تمتع الرائد كوفيل (الذي غيَّر بعد ذلك اسمه إلى مائور هار دوف وتوفي منذ عام) بأيدي ماهرة بشكل نادر وخبرة كبيرة في الأسلحة، ومنذ ظهوره في الوحدة قام بمعجزات.

تلمون: «كانت ساحة إطلاق النار ليلاً إحدى أولى المشروعات التي كُلف بها كوفيل، وكانت الفكرة هي تسليط شعاع ضوء ضيق على فوهة الرشاش، بحيث لا يبقى سوى الضغط على الزناد منذ لحظة تسليط الضوء على الهدف بدون توجيه الرشاش. وقد اعتبر التوجيه عن طريق شعاع الليزر، وهو اليوم أحد المواصفات المعيارية للسلاح الخفيف الذي يحمله جنود سلاح المشاه ومدافع الفولكان، واعتبر في حينه تطوراً حديثاً فائقاً. ولا أبالغ إن قلت إن العالم نقل تلك التقنية عنا، ولكن يمكن القول بأننا تفوقنا على الكبار، بل وسبقناهم أيضاً.

** عضو يأتي بآخر:

بفضل العلاقات مع البروفيسور يوآش فعديا، مدير مركز أبحاث النقب، تكونت علاقة مع البروفيسور بريس، أحد مؤسسي جامعة بن جوريون، الذي طرح فكرة لاكتشاف الألغام البلاستيكية. بريس كان رابع أفراد الوحدة، التي تكونت بطريقة عضو يأتي بآخر. ومع تعيين آريئيل شارون عام ١٩٧٠ قائداً للقيادة الجنوبية، تحسن وضع الوحدة. فقد انتبه شارون ورئيس القيادة مناحم (مندي) ميرون للطاقة الكامنة في أفراد الوحدة الأربعة.

يقول الآن اللواء احتياط ميرون: «لقد لبت الوحدة ضرورة عملياتية بحتة في القيادة الجنوبية، نظراً لأن إجراءات تطوير الأسلحة بالجيش الإسرائيلي كانت طويلة في حينه بسبب العوائق البيروقراطية. على سبيل المثال، عندما بدأنا القتال ضد المخربين في قطاع غزة، نزل المطلوبون للمخابئ، وقد كنا في حاجة لوسائل فنية لرصد المخابئ الموجودة تحت الأرض والحوائط التي تستروا بها. وقد طور أفراد الوحدة في زمن قياسي مسدساً مخصصاً للضرب تحت الأرض والحوائط تم توزيعه على الوحدات القتالية. في عملية التطوير العادية كان المسدس سيصل بعد جيل كامل، ولكن أفراد الوحدة حلوا بذكائهم وإبداعهم الكثير من المشاكل التي ظهرت في الميدان».

الخطوة الأولى والمطلوبة التي قام بها شارون هي تعيين قائد للوحدة، التي عملت حتى ذلك الحين كفريق عمل بدون تحديدات رسمية للأدوار. وقد اختار لهذا المنصب الرائد يجآل ميلو، الذي تعرف عليه خلال زيارته لوحدة التطوير في سلاح المهندسين برئاسة دافيد لاسكوف. في البداية عارض كبير ضباط سلاح المهندسين تعيينه، لكنه رضخ للضغط في أغسطس ١٩٧٠، وقد منح شارون ميلو رتبة مقدم، ووضع قواعد الوحدة وحدد صلاحياتها. صحيح أن الوحدة وضعت تحت قيادة ضابط شعبة العمليات بالقيادة الجنوبية، لكن شارون كعهدنا به كان يديرها من مكتبه.

يقول ميلو: "قبل يومي الأول في القيادة، اتصل بي أمير دروري، رئيس شعبة العمليات في القيادة، في الثانية فجراً، وطلب مني الانضمام إلى عملية طارئة مع قائد قطاع عرابة.

كانت العملية تهدف إلى وضع ألغام فى أماكن دخول المخربين على الجانب الأردنى من الحدود، لإغوائهم بأخذها قبيل تسللهم لتنفيذ هجمات. لم أستطع النوم بعدها. توجهت إلى الوحدة وجهزت عدداً من الألغام والصناديق المفخخة. وفى الفجر، ألقينا العبوات الناسفة فى برك المياه التى تم تحديدها سلفاً. وبعد بضعة أيام، وصلتنا تقارير استخبارية أن كل العبوات قد انفجرت فى وجه المخربين الذين حاولوا الحصول عليها. لم أحكِ لأى أحد عن هذا الموقف، باستثناء زوجتي».

* ما هى مجالات التطوير التى كنتم تنشطون فيها..؟

- «تعلمت من دافيد لاسكوف، معلمى الروحى، أن أبدأ عملى بدراسة احتياجات القادة فى الميدان. كان من أول المشاريع هو 'سرج يهودى للجمل'. فى أحد جولاتى التفقدية لوحدة الاستطلاع البدوية، اشتكى المستطلعون اليهود من أنهم يجدون صعوبة فى استخدام السروج التى يستخدمها البدو، فقمنا بعدها بتطوير سرج يهودى للجمل، شمل مساند للظهر وتنجيد للأماكن التى تتصل بالأعضاء الحساسة فى الجسم. لم يتأقلم البدو مع هذا السرج، لكنه كان مريحاً جداً لليهود».

تلقى ميلو تعليمات من رئيس شعبة التوجيه فى الجيش الإسرائيلى بأن يتفقد الوحدات المنتشرة فى قناة السويس وقطاع غزة والحدود الأردنية من أجل الوقوف على المشكلات التى تواجهها الوحدات فى الميدان. وقد جنّد لوحدته نحو ٢٥ ألف من قوات الاحتياط».

** مشكلة فنية صغيرة:

يقول ميلو: «بعد أن توليت المنصب بأسبوعين، قُتل ثمانية جنود فى كمين مصرى بمنطقة القناة. توصلت لاستنتاج بأنه ينبغى حماية ناقلات الجنود وتزويدها بأسلحة تتيح لها الرد بقوة نيرانية كبيرة. وقد عكفنا على هذا المشروع لأيام طويلة».

بعد ثلاثة أشهر من توليه المنصب، طلب ميلو من قائد المنطقة أن يجرى استعراضاً ميدانياً للوسائل الجديدة التى تم تطويرها - ناقلات جنود، ونقاط مراقبة مزودة بالتليسكوب وما إلى ذلك. يقول: «حدد شارون موعداً للعرض فى الثانية عشرة ظهراً، قبل بدء عيد الغفران، ولم يجرؤ أحد على أن يفتح فمه أو يعارضه. بعد انتهاء العرض، أخبرنى شارون أنه يريد هذه الوسائل فوراً، وسألنى متى يستطيع رؤيتها فى الميدان. فقلت له: أسرع مما تتوقع. فهمت أن طلب شارون يمثل شيكاً مفتوحاً من حيث الميزانيات والإمكانيات والمساعدة. أثّر شارون فينا بشكل سحرى. عملنا من منطلق الإدراك لحيوية المهمة وبروح القائد، لكن يجب أن نقول الحقيقة، وهى أننا كنا نخافه أيضاً».

فى أحد الأيام، وصلت أنباء عن زيارة رئيس الأركان دافيد إليعيزر (دادو) ونائبه يسرائيل طل، لتفقد المنطقة الجنوبية، فأعلن شارون حالة طوارئ استعداداً للزيارة. كان من الواضح أن «المحطة» التابعة لوحدة تطوير الوسائل القتالية فى الجنوب ستنال اهتمام القائدين المعروف عنهما حساسيتهما للابتكارات فى الوسائل القتالية.

يقول ميلو: "كان آريك يرمق بعينه طوال الوقت ردود فعل دادو وطل، كالأب الذى يفتخر بانجازات ابنه. فى أعقاب عملية تلغيم الحقول الخاصة بالمستعمرات الزراعية على حدود قطاع غزة، طورنا جراراً محمياً بواسطة لوحين من الفولاذ بينهما طبقة من الرمل. عندما عرضت الجرار، سألنى طل عن فكرة هذه الوسيلة. شعرا آريك ببعض الارتباك من هذا السؤال، لكنه بالنسبة لى كان سؤالاً طبيعياً. أوضحت له أن الهدف هو الحد من الرجة التى يحدثها اللغم وامتصاص الشظايا من خلال الرمل الموجود بين طبقتى الفولاذ. ظهرت علامات الرضا والارتياح على وجه طل، وشعر آريك وكأنه نجح فى اختبار نهاية العام».

ثمة مشكلة أخرى واجهت الوحدة صعوبات فى حلها، وهى صعوبة التحرك فى منطقة المستنقعات الواقعة جهة الشمال من القنيطرة فى سيناء. طرح المهندس المعمارى ناتان كريفنتشكوف تطوير مركبة برمائية لحل مشكلة التنقل فى المستنقعات، وتمكن من إقناع الجهات المسئولة بجدوى فكرته، وتم توفير كل الإمكانيات له لبناء نموذج أولى لمركبته فى إحدى ورش السفن بميناء تل أبيب. يقول ميلو: «قمنا بتجربة المركبة فى مستنقع بلوظة شمالى سيناء، وتكللت التجربة بالنجاح. فى نهاية المطاف، تقرر حفظ الخطة فى الأدراج، لكن بعد التجربة أصبحت الوحدة تحظى بتقدير قيادة الأركان، وخصصت لها الأموال اللازمة».

بعدما أنهى ميلو مهام منصبه، أدار تلمون وبريس الوحدة إلى أن تم تعيين قائد جديد، هو المقدم يشاى يزهار، مهندس من كيبوتس تل يوسف. وفى تلك الفترة الانتقالية، ظهرت «مشكلة فنية صغيرة» فى أعقاب اختطاف طائرة «سابينا»(*). عارض تلمون وبريس خطة «كلب البحر» (الاستيلاء على طائرة أجنبية)، وبتأييد من قائد المنطقة شارون، وإيهود باراك، قائد وحدة العمليات الخاصة التابعة لرئاسة الأركان «ساييرت متكال»، نجح تلمون وبريس فى إقناع هيئة الأركان بالعدول عن الخطة.

تركز نشاط الوحدة فى فترة يزهار على تحصين نقاط خط بارليف على طول القناة، وكذلك إيجاد حلول ميدانية للمشكلات التى ظهرت خلال القتال مع الفلسطينيين فى قطاع غزة. يقول تلمون: «عند تعيين جوروديش فى صيف ١٩٧٣ قائداً للمنطقة، استدعانى قائد سلاح المهندسين فى

أحد أيام الجمعة لمقابلته. كان جوروديش قلقاً للغاية من احتمالات شن المصريين هجوماً، وطلب تقريراً عن الوسائل الهندسية الكفيلة بإعاقة العبور المصرى لقناة السويس. أصدر تعليمات بالبدء فى تشغيل منظومة التحذير «أوريكاروت» التى كان الهدف منها خلق ستار من النيران على سطح الماء بواسطة ضخ الوقود إلى القناة وإشعال النار فيه. وحينها طرحت فكرة استخدام قنابل الأعماق، مثلما فى حرب الغواصات.. أوكل هذا المشروع إلى أنا ويوئيل، لأننا كنا خبيرين فى الحروب المائية تحت الأعماق. كانت الخطة هى زرع قنابل للأعماق بصمامات على مسافات متقاربة بطول الساتر الترابى على شاطئ القناة. ومن خلال أجهزة تحكم إلكترونى من مواقع المراقبة، تتحرك البراميل الناسفة مع حركة الجاذبية باتجاه القناة وتؤدى إلى انقلاب القوارب المطاطية. كان من المخطط تنفيذ التجربة فى الأسبوع الذى اندلعت فيه حرب عيد الغفران (١٩٧٣).

** اضطرابات فى غرفة القيادة:

فى صباح يوم الغفران ١٩٧٣، كان تلمون يخطط للخروج فى نزهة مع ابنته، وبينما هو فى بيته، تلقى اتصالاً يطلب منه التوجه فوراً إلى مقر القيادة فى بئر السبع. وهذه المرة أيضاً كانت الوحدة بدون قائد، حيث كان يشاى يزهار قد أنهى منصبه قبل ذلك بشهرين. وهذه المرة أيضاً، تولى تلمون قيادة الوحدة.

بعد وقف إطلاق النار فى الرابع والعشرين من أكتوبر، كان تلمون وبريس فى موقع بلوظة شمال سيناء، وقد تم استدعاؤهما إلى مقر القيادة فى رافيديم. طلب منهما يشاى تمرى، قائد شعبة العمليات فى القيادة، أن يكتبا يوميات الحرب بشكل دقيق من واقع يوميات القيادة وتسجيلات المكالمات والصور الجوية. كانت مهمتهما الأولى أن يفحصا ما إن كان قد صدر بالفعل أمر بنشر قوات الجيش الإسرائيلى استعداداً لهجوم مصرى أم لا. وقد وجدا بوضوح أن القيادة أصدرت أمراً بالانتشار فى الساعة ١٠:٢٠ من صباح يوم السبت. وقد استعان جوروديش بذلك فى تفنيد الادعاءات الموجهة ضده. وسرعان ما انتشرت الشائعات عن العمل الذى يقومان به، ومثُل المقاتلون والقادة بين يديهما للإدلاء بشهاداتهم. يقول تلمون: «مع انتهاء عملنا، سلمنا المادة إلى وحدة التوثيق فى هيئة الأركان، وعدنا إلى مقر القيادة فى رافيديم».

** الاستعانة بكلاب من إنجلترا:

يقول بريس: «بعد الحرب، تجندنا لمهام جديدة ظهرت على أرض الواقع، مثل حماية الجسور على قناة السويس، وتركيب شحنات ناسفة ضخمة لضرب القوات المصرية التى كانت تختبئ فى مبنى المستشفى العام فى الإسماعيلية، وعزل الجيش الثالث المصرى عند شاطئ البحيرات المرة. فى أحد أيام شهر ديسمبر ١٩٧٣، ذهبتُ إلى غرفة الطعام فى قاعدة رافيديم لتناول الطعام مع العقيد شموئيل ألفيك، من طاقم قيادة الأركان. كان هذا قبل الانسحاب الثانى من سيناء. قال لى ألفيك إنه كُلف بالبحث عن أكثر من ٤٠٠ جندى من مفقودى الجيش الإسرائيلى، وإن معظمهم قتل فى المنطقة التى يُفترض تسليمها للمصريين.. قمت بجمع كل أعضاء الوحدة وبدأنا نتبادل الأفكار المجنونة عن كيفية تحديد جثث المفقودين بواسطة النباتات، والحشرات الصحراوية، وقياس درجة حرارة الأرض بالأشعة فوق الحمراء، والعثور على جثة مغطاة بالرمل من خلال أجهزة الرؤية الحرارية. طلب ألفيك الاستعانة بالشرطة لإعداد ملف شخصى عن كل فرد من المفقودين، والتقيتُ أنا مع اللواء شرطة ميثير كابلان، رئيس مصلحة الأحوال الجنائية فى الشرطة. وبناء على طلب منى، سافر كابلان إلى إنجلترا وحصل على موافقة من السلطات البريطانية لاستخدام الكلاب البوليسية فى البحث عن الجثث. وبعد التنسيق مع وزارة الخارجية فى لندن، وصلت الكلاب البريطانية من خلال الأمم المتحدة. طلب القائد البريطانى أطعمة خاصة للكلاب وقد فوجئ عندما حصل على كميات كبيرة من البسكويت والسردين، وقال مندهشا: «أى جيش هذا. طلبت طعاماً فى وسط الصحراء وخلال عشر دقائق حصلت عليه». وقد استمرت عمليات البحث قرابة شهرين، ولم يتبق بعدها إلا ٢٥ شخصاً فى عداد المفقودين.

بعد نهاية الحرب، لاحظنا لدى قادة المدرعات مشكلات فى توجيه مركباتهم فى دروب الصحراء. قبل نظام الـ"جى. بى. إس" (نظام تحديد المواقع العالمى)، عكف يوئيل أمير على تطوير نظام ملاحة يعتمد على بوصلة الجيروسكوب التى كانت تُزود بها الدبابات السوفيتية، وعلى العداد الإلكتروميكانيكى فى الدبابة. وقد رُكبت المنظومة التى طورها طواعية فى دبابة تجريبية وأطلق عليها «الملاح الأعمى».

يقول أمير: «كان لدينا مبدأ راسخ بعدم الحكم على شيء إلا بعد التجربة. شرحت للفريق المهمة، وخرجنا إلى الميدان. وعند نقطة بداية معروفة على الخريطة، وجهنا بوصلة الجيروسكوب إلى الشمال، وبعد ذلك كان السائق يحصل على تعليمات من القائد بالتقدم حسب زاوية الأفق والمسافة. وجدت أن الفريق ينفذ المهمة كما ينبغى. وفى نهاية الطريق، حصلنا على نتيجة مبهرة بنسبة خطأ لا تزيد على ١٠٠ متر».

بنظرة تاريخية، ربما يكون الإنجاز الأكبر والأهم لوحدة تطوير الوسائل القتالية فى الجنوب هو دفع فكرة نظام الحوسبة فى أجهزة القيادة والرقابة. وُلد هذا المشروع فى الأيام الأولى من حرب يوم الغفران، عندما اندهش مهندسو البرمجيات التابعين للوحدة لرؤية أنهم يعرضون البيانات العملياتية واللوجستية على قائد المنطقة بواسطة قصاصات ورق وبطاقات مكتوبة بخط اليد. الفجوات فى التقارير كانت لا

تطاق. الفيزيائى جوزيف ج، والمهندس دافيد زامير من قرية الأبحاث النووية، بادرا بمعالجة يومية لبيانات القيادة على أساس الحاسوب الموجود فى ديمونة.

يقول زامير: «بعد الحصول على الموافقات بشكل سريع، بدأت فى وضع خطة. وبعد عمل دؤوب لبضعة أيام، أصبحت قاعدة البيانات جاهزة للعمل. نقلت البيانات المشفرة إلى عبر الهاتف من غرفة الحرب، فقمت بتغذية الحاسب بالبطاقات. كان التقرير المحدث يُنقل بسيارة عسكرية إلى قاعدة «ساديه تيمان»، ومن هناك بطائرة خفيفة إلى غرفة الحرب فى أم خشيبة».

كانت مبادرة زامير فاتحة الطريق لمسيرة طويلة على المستويات الأعلى فى الجيش الإسرائيلى. يقول بريس: «كان كوتى آدم من أوائل قادة الجبهات الذين أدركوا الأهمية الاستراتيجية لاعتماد نظام الحوسبة والميكنة. وعندما عُين نائباً لرئيس الأركان، سمع العديد من الادعاءات ضدنا. ذات مرة استدعانى وقال: "الناس يشتكون من أنكم تطورون برامج حاسوب خلافاً للقواعد، لكن لا عليكم.. استمروا فى عملكم". وقد احتلت مسألة الحواسيب أهمية خاصة لدى هرتسيل شابير ودان شومرون. ففى زيارة رئيس الأركان رافائيل (رافول) إيتان لوحدة تطوير الوسائل القتالية فى الجنوب، قال له قائد المنطقة، دان شومرون، إنه مستعد للتخلى عن كتيبة ميدانية مقابل تطوير المنظومة المحوسبة».

اتفاق السلام مع مصر؛ وخروج القيادة الجنوبية من مسرح القتال؛ وحقيقة أن جيل المؤسسين وصل إلى سن متأخرة، كل ذلك أدى إلى تلاشى الوحدة تدريجياً. وفى عام ١٩٨٨، تقرر حل الوحدة. يقول هرتسيل شابير، الذى كان قائد القيادة الجنوبية فى السنوات ما بين ١٩٧٦-١٩٧٨: «عرف رجال الوحدة كيف ينظرون جيداً إلى المستقبل، وآمنوا دائماً بقدرتهم على تنفيذ الأفكار التى تبدو كالحلم. هذا أفضل دليل على أنه بفضل كفاءة الفرد ومثابرته وإخلاصه، يمكن التغلب على نقص الوسائل والبيروقراطية».

يحاول ميلو توضيح سر القوة التى كانت عليها الوحدة ويقول: «الزمن كان غير الزمن والأجواء غير الأجواء. كان أفراد الوحدة مستعدين للتضحية بوقتهم وجهدهم دون أى حسابات.. حصلنا على دعم ومساندة من قائد الجبهة، وكنا عند حسن الظن».. ويضيف البروفيسور بريس: «استخدمنا أجهزة ومعدات من الجامعة، وقرية الأبحاث النووية، ومصانع الصناعات الجوية والبحر الميت. ولو أن هذا يحدث اليوم، لكان مراقب الدولة ليجلدنا بسبب الانتهاك الصارخ للإجراءات والاستخدام غير المسموح به لممتلكات عامة ومؤسسات حكومية».

(*): سابينا: طائرة بلجيكية من طراز بوينج ٧٠٧ قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باختطافها فى ٢ مايو ١٩٧٢ فى مطار بروكسيل وأجبرتهم للسفر إلى مطار اللد لمبادلتهم بأسرى فلسطينيين.

أى أغنية تمثل ذكرى

بقلم: برميت سابير- فيتس
معاريف ٤/ ٦/ ٢٠٠٩

حلمى يضئ لى الطريق
يمنحنى الأمل والقوة للاستمرار
وهو ما يذكرنى بالحب، وكذلك بالحنين
يارب نكون سعداء
(كلمات: فرقة عمخا، ألحان: رينا شتدلر)

صدر هذا الأسبوع ألبوم جديد بعنوان "أشواق وألحان"، وكان من المحتمل أن يختفى بين صفوف الألبومات على الأرفف لولا أنه فريد من نوعه. ومن أجل انتاجه، اجتمع فى قاعة التسجيلات ٣٠ فرداً من الناجين من أحداث النازية الذين يتلقون الرعاية فى مركز الدعم النفسى والثقافى الإسرائيلى وأعضاء فرقة "عمخا شاريم" (معك نغني). كان أمامهم جميعاً مهمة مشتركة: تخليد أغانى الطفولة التى توارت فى مكان ما داخل الذاكرة. ويضم الألبوم أغانى الطفولة من دول أوروبا الشرقية، وأغنيتين جديدتين للفرقة، وأغنية شوق وحنين كُتبت كلماتها فى معسكر انتقالى فى قبرص.

بدأت هذه القصة منذ عام ونصف العام عندما لاحظت مقدمة المجموعة رينا شتدلر أن المشاركين يتفرقون بصعوبة فى نهاية كل لقاء، ويواصلون الغناء باللغة البولندية. وهى تقول: "قلت يا رفاقى لدينا عمل هنا.. وبدأنا فى إخراج الأغانى من مرقدها.. وبدأنا نشاطاً مثيراً ورائعاً للغاية".

قررت شتدلر تأسيس مجموعة غنائية صغيرة، ومن ثم وجد الأعضاء أنفسهم مقسمون حسب أوطانهم الأصلية، والقاسم المشترك بينهم هو اللغة اليديشية. وتقول شتدلر: "بدأنا فى جمع أغانى بلغات مختلفة. ورويداً رويداً بدأت تختمر فى عقلى فكرة تحويل هذه العملية لمشروع أكبر، وحينها خطرت فى بالى فكرة إنتاج ألبوم غنائى. وقد أثار صوت الحنين فضول شتدلر مما دفعها لتخصيص مساحة كبيرة له، وأدركت أن هذا هو السبيل للاقتراب من الماضى السحيق

الذى كان مفعماً بالسعادة والغناء والأمل.

وهى توضح قائلة: "الفكرة كانت تقوم على الحفاظ على الأغانى التى أنشدوها قبل أحداث النازية. وأثبتت الحماسة من العمل فى هذا المشروع أن الموسيقى قادرة على بناء جسور فوق المياه العاصفة، وفوق الظلام السحيق، وفوق أحداث النازية".

شاهدت رفكا بوكسباوم، من مجموعة متحدثى اللغة البولندية، أعاجيب هذا المشروع.. وتصف بوكسباوم، التى هاجرت لإسرائيل عام ١٩٤٧ بعدما نجت من أهوال أحداث النازية، الغناء بأنه "استعادة للراحة والسعادة والفخر"، وهى تبدى سعادة كبيرة بالألبوم الجديد. وتقول: "هذا يبعث على الفخر..! ماذا تعتقدين..؟ أننى مغنية تصدر ألبوماً جديداً كل يوم..؟ فى مكان ما فى ذاكرتنا رسخت الألحان والأغانى التى كنا ننشدها فى الصبا. على سبيل المثال، فإننى أتذكر أن الأغانى البولندية كنا ننشدها منذ ستين سنة. من اللافت للنظر أن الأشياء المهمة التى كنت أرغب فى ذكرها، اختفت تماماً، فهذه سمة بشرية. ربما تكون الأغانى الطيبة لازالت باقية فى الذاكرة".

هذا لم يكن أمراً سهلاً، ولكن لم يكن هناك ما يعرقل هذه المجموعة التى تتراوح أعمارها بين ٧٨-٩٥ سنة. ومن أجل تحقيق هذه الفكرة توجهت شتدلر للموسيقى يوسى كيرش، الذى تبرع باستوديو التسجيل الخاص به.. وهى تقول: "أوضحت مدى أهمية أن يبدو العمل أصيلاً بلا تجميل. وإذا اختفوا غداً، ستختفى أيضاً هذه الأغانى".

منذ ثلاث سنوات توجد المجموعة الغنائية فى نادى "عمخا" فى نتانيا، هناك أيضاً يمكن شراء الألبوم، لكن الفرقة الغنائية لم تجتمع إلا بعد النجاح الذى حققته فى عرضها فى النادى. وتقول شتدلر: "النجاح لدى الناجين من أحداث النازية له أهمية كبيرة فى العلاج. فالعمل الجماعى ينمى الإحساس بالمسئولية الشخصية والجماعية، وبالانتماء ويبعث على الراحة. يجب ألا ننسى أن أعضاء المجموعة ليسوا شباباً، ومع ذلك يتكبدون عناء اللقاء، ويفرحون لبذل الجهد المطلوب. إننى أرى سعادة المشاركين فى "عمخا شاريم"، وتعاونهم واستعدادهم وحماستهم".

* مَنْ الجمهور الذى يستهدفه الألبوم..؟

"العائلات بوجه خاص. هكذا بدأ الأمر، لكننى أعتقد أن كل من له صلة بالناجين من أحداث النازية يمكنه الاستمتاع به. فلديهم نفس الماضى، والرغبة والحافز. هناك ما يمكننا تعلمه منهم. لم نسمع منهم شكوى على غرار: إننى منهك، أو لست قادراً".

ترى عضوة أخرى بالفرقة، تدعى ميريام بيئير، أن الألبوم جزء من مشروع تخليد كامل. تجدر الإشارة إلى أن كتابها "شتيتسموت"، الذى صدر عن دار نشر محاربو الجيتوات ويصف سيرتها الذاتية، يتم تدريسه فى الجامعات فى الولايات المتحدة. هاجرت ميريام إلى إسرائيل عام ١٩٤٦ عندما تم فتح أبواب قبرص للهجرة غير المشروعة لإسرائيل. وهى تقول: "ظللت كاليتيمة فى الشارع. لم يكن ذلك أمراً سهلاً، ولكننى تغلبت عليه. وها أنا هنا، والحمد للرب، متزوجة ولدى ابنتين، وثمانية أحفاد وأربعة أبناء أحفاد. أعتقد أن هذا الألبوم ليس ترياقاً وإنما بمثابة حبل الإنقاذ".

هناك أغنية واحدة بالرومانية، بعنوان أغنية "اليتم"، تمس قلبها بصورة خاصة. وهى تقول: "قمت بغنائها خلال عرض فى المدرسة عندما كنت فى الصف الثالث أو الرابع. ولكننا لم نتحدث الرومانية بعد الاحتلال". تحكى الأغنية عن طفلة خرج والدها للحرب ولم يعد: "توجه والدى للجبهة، هناك حارب مع العظماء ولم يعد. ووالدتى التى كانت أحب الناس إلى، توفيت أيضاً، وظللت يتيمة. يتيمة تطلب من الرب أن يرسل لها ملائكة ترشدها فى خطواتها الأولى".

وتبكى بيئير قائلة: "كل شيء عاد إلى عندما حضرت لإسرائيل، حيث شعرت باليتم كما فى هذه الأغنية. وطلبت من الرب أن يرسل لى من يرشدنى. لم أكن أعرف اللغة العبرية، ولم يكن لدى أى معارف، وفى نهاية المطاف أرسل لى الرب الملاك الذى أنقذنى. أرسل لى الدكتور فاينشتاين، كبير الأطباء فى البلدية فى راحوفوت. كنت أعتبره جنرالاً ثرياً. وجدنى على الرصيف فى راحوفوت بالقرب من مكتب البريد، جلس بجوارى وسألنى: أيتها الطفلة الصغيرة، لماذا تبكين..؟ ثم أخذنى إلى منزله، ومكثت هناك لمدة ستة أشهر".

تعتبر مرجليت جرينبرج إحدى عضوات المجموعة المجرية، جدة ولديها أربعة أحفاد وستة أبناء أحفاد. كانت جرينبرج، وهى ناجية من معسكر أوشفيتس النازى، قد تحررت من المعسكر فى سن الخامسة عشرة، وعندما هاجرت إلى إسرائيل ضاعت ذكريات طفولتها. وعن استماعها مجدداً لهذه الأغانى تقول: "عندما هاجرت لإسرائيل، بدأت فى دراسة اللغة العبرية. كنا منشغلين طيلة الوقت بدراسة العبرية فقط، ولم أكن أفكر فى الأغانى المجرية أو اليديشية. والآن، فى هذا النادى، استرجعت ذكريات الماضى، التى تحتوى على أشياء جميلة وأخرى سيئة للغاية، ولكن فى سنى هذه أدرك أن الأمور ليست كلها سيئة".

* ما مدى أهمية مثل هذا الألبوم..؟

"رغم أننى أعشق الأغانى العبرية، إلا أننى أعتقد أنه من المهم أن يستمع الأطفال للماضى، وللظلال التى رافقتنا فى طفولتنا. والأغانى دائما ما تكون شيئاً جيداً".

* هل هناك أغنية عبرية معينة تحبينها..؟

- "نعم أغنية رجاء بقوة".

ترجمات عبرية

١

حل الدولتين فى ظل حكومة نتنياهو

نتنياهو: "جبل الهيكل سيظل فى أيدينا إلى الأبد"

بقلم: بنحاس وولف
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٩/٥/٢٢

صرح رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، أمس أثناء الاحتفال بيوم القدس فى معهد مركاز هاراف الدينى فى المدينة، بأن العَلَم الذى يلوح فوق الجدار والأماكن المقدسة لدينا وجبل الهيكل سيظلوا إلى الأبد فى أيدى دولة إسرائيل وشعب إسرائيل.

وذكر نتنياهو مجددا أن القدس هى العاصمة الأبدية للشعب اليهودى، وهى المدينة الموحدة التى لن تُقسم: "إن علاقة شعبنا بصهيون علاقة خاصة وهى الأساس لإحياء شعبنا، فهى التى وحّدت كافة أطياف الشعب، الدينيين والعلمانيين. من لا يعرف تاريخ الصهيونية لا يعرف هذه العلاقة. لقد أطلق هرتسل على حركتنا القومية اسم الصهيونية على اسم صهيون، لأن حاضرنا يبدأ بما حدث هنا فى صهيون فى القدس، منذ القدم وحتى اليوم".

كما أشاد نتنياهو بدور أبناء الصهيونية الدينية فى الدفاع عن الدولة، حيث قال: "كل من ينظر اليوم إلى قيادات الجيش الإسرائيلى سيرى امتلاءها بالكثيرين والأخيار من أبناء الصهيونية الدينية، وأنا أوجه لهم التحية".

جدير بالذكر أنه فى السنوات الأخيرة منذ إخلاء مستعمرات قطاع غزة وشمال الضفة (خطة فك الارتباط عام ٢٠٠٥) توقف معهد مركاز هاراف عن توجيه دعوة لرئيس الوزراء للمشاركة فى الاحتفال السنوى بيوم القدس.. ومع وصول نتنياهو هذا المساء للمشاركة فى الاحتفال يكون المعهد قد جدد العهد واستأنف تلك العادة السنوية.. وقد شارك فى الاحتفال رئيس الكنيست راؤوفين ريفلين، ونائب رئيس الوزراء موشيه بوجى يعلون، ووزير التعليم جدعون ساعر، ووزير العلوم دانييل هرشوكوفيتش، وكبار حاخامات إسرائيل وزعماء الصهيونية الدينية.

وزير الإعلام: "وزير الدفاع يتصرف بشكل متحزب"

المصدر: www.nrg.co.il
٢٠٠٩/٥/٢٤
بقلم: روعى شارون

يسيطر الغضب على الأحزاب اليمينية بسبب تصريحات وزير الدفاع إيهود باراك، التى قال فيها: «إن إخلاء البؤر الاستيطانية غير القانونية واجب على المجتمع الإسرائيلى نفسه». ورداً على هذه التصريحات، أعلن صباح (الأحد) وزير الخارجية أفيجدور ليبرمان أنه «لا ينبغى مواصلة إخلاء البؤر الاستيطانية غير القانونية إلا فى إطار مبادرة شاملة وخطة منظمة».

كما هاجم باراك أيضاً وزير الإعلام والشتات يولى أدلشتاين، الذى صرح قبل بدء جلسة الحكومة بأن «باراك يعمل بشكل تحزبى وبدون موافقة الحكومة ومجلس الوزراء المصغر للشئون الأمنية والسياسية».. وأضاف أدلشتاين: «ليس مسموحاً لأى وزير بما فيهم وزير الدفاع أن يتصرف وفقاً لأهوائه الشخصية فيما يتعلق بإخلاء البؤر الاستيطانية. إذا كان أحد يرغب فى إخلاء البؤر غير القانونية، ففى المقابل يجب أن يسمح بتوسيع البؤر القانونية».

وقد صرح دانى ديان، رئيس مجلس مستعمرات الضفة الغربية وقطاع غزة، قائلاً: «إنه أمر خطير ألا تقوم الحكومة الحالية ببناء أى منزل أو تقوم بتمهيد طريق، وعلاوة على ذلك، تتحدث عن إخلاء المستعمرات، ويجب أن نشير إلى أن اليسار الذى يسعى إلى السلام لم يحصل فى الانتخابات الأخيرة إلا على ١٣ مقعداً فقط، وأن الأحزاب التى تعهدت باستئناف توسيع المستعمرات حصلت على أغلبية المقاعد».

* «العودة إلى حدود ٦٧ لن تحقق السلام أو الأمن»:

وعلى حد قول ديان: «ينبغى على نتنياهو وأعضاء حكومته التصدى للحملة الدعائية التى يقوم بها اليسار الإسرائيلى، وعناصر أجنبية ضد الاستيطان، والبدء فى تنفيذ أوامر الناخب الإسرائيلى». وذكر مسئولون فى حزب البيت اليهودى أن «رياء نتنياهو أصبح جلياً للعيان. فقد حصل على أصوات اليمين، إلا أنه يطبق سياسة اليسار». كما أعلن هؤلاء المسئولون أنهم سيشنون حملة ضد نتنياهو تحت عنوان «ليس من حقك أن تقتلع اليهود من أرض إسرائيل».

وقد تطرق صباح اليوم وزير الخارجية ليبرمان إلى إمكانية حدوث عمليات إخلاء أخرى فى أعقاب إخلاء بؤرة «معوز استر»، والتى قامت بها قوات الأمن يوم الخميس الماضى. وقال رئيس حزب يسرائيل بيتينو أمام جلسة الحكومة: «إذا كان يجب إخلاء بؤر استيطانية فينبغى القيام بذلك كجزء من مبادرة عامة ووفقاً لخطة منظمة».

وأضاف وزير الخارجية قائلاً: «إن العودة الآن إلى حدود ٦٧ لن تحقق السلام أو الأمن، وإنما ستنقل النزاع إلى داخل حدود الخط الأخضر». وقد أدلى ليبرمان بهذه التصريحات فى أعقاب التصريحات التى سبق أن أدلى بها الخميس الماضى وقال فيها «إن المستعمرات لا تشكل عائقاً أمام السلام»، وأردف قائلاً: «إنهم يحاولون إظهار المستعمرات كعائق للسلام، لكنى أقول ينبغى أن نتمسك بآرائنا السابقة. لماذا فجأة قرروا أن الاستيطان اليهودى وبالتحديد فى الضفة الغربية هو الذى يشكل عائقاً أمام تحقيق السلام..؟! كيف كان الوضع قبل عام ١٩٦٧..؟! لم يكن هناك استيطان، ولم يكن هناك سلام أيضاً. كان الوضع كما هو عليه الآن يسوده التوتر والإرهاب».

الحل يجب أن يكون على الأرض الفلسطينية

المصدر: www.news.co.il
بقلم: هيئة تحرير الموقع
٢٠٠٩/٥/٢٧

شن رئيس الدولة شمعون بيريس نقدا عنيفا ضد اقتراح عضو الكنيست آرييه إلداد من الاتحاد القومى باعتبار الأردن هى الدولة الفلسطينية، واصفاً تصريحاته بأنها «هذيان ليس له أى أساس».

ففى حديث للإذاعة الإسرائيلية اليوم، قال رئيس الدولة أن تدخل إلداد فى الشؤون الداخلية للأردن ينم عن عدم مسؤولية بدرجة كبيرة. فليس من حقه أن يلقى بالحجارة لتحطيم النوافذ لمجرد إثارة ضجة. وعلى حد قول بيريس، فإنه من الممكن حل القضية الفلسطينية مع الفلسطينيين على الأرض الفلسطينية وليس على حساب طرف آخر.

وقال بيريس: «هناك علاقات سلام بين الأردن وإسرائيل، وهناك تفاهم وصداقة ممتدة منذ سنوات، ولا يتصور أحد

أن يحاول شخص ما التدخل فى الشؤون الداخلية للأردن، حيث إن الأردن دولة مستقلة ويجب أن نحترم استقلالها، وهى دولة جادة يسود فيها التراث الهاشمي، ولذلك يجب حل المشكلة الفلسطينية على أرض فلسطين وليس على حساب أى طرف آخر».

وأضاف بيريس أنه يشعر بالدهشة لتقديم مثل هذا الاقتراح ووصفه بأنه عديم القيمة وغير مستساغ ويدل على نوايا غير جادة، وقال إن تحويل هذا الاقتراح إلى لجنة الخارجية والأمن بالكنيست أمر غير مقبول.

هذا وقد وبخ وزير الخارجية الأردنى ناصر جودة أمس السفير الإسرائيلى فى عمان بسبب قرار الكنيست بأن تناقش لجنة الخارجية والأمن فيها اقتراح إقامة الدولة الفلسطينية فى الأردن. وقد طلبت الأردن من إسرائيل إيضاحات رسمية فى هذا الشأن.

وقال عضو الكنيست عَمير بيرتس (العمل) إن اقتراع وزراء حزبه - إيهود باراك، وبنيامين بن اليعيزر، ويتسحاق هرتسوج - على اقتراح المسألة الأردنية يعد فضيحة من الدرجة الأولى. وحذر بيرتس من أن الاقتراع يمس المصالح القومية لإسرائيل. وكان من بين الثلاثة وخمسين عضوا المؤيدين لقرار تحويل المناقشات إلى لجنة الخارجية والأمن ستة من أعضاء حزب العمل وخمسة أعضاء كنيست من كاديما.

استراتيجية أوباما فى مواجهة نتنياهو: الضغط بكل قوة ■

بقلم: ألوف بن
هاآرتس ٣١/ ٥/ ٢٠٠٩

اعتاد الرئيس الأمريكى باراك أوباما أن يضع لنفسه أهداف مبالغ فيها، مثل السلام الإقليمى الشامل فى الشرق الأوسط، ولكن فى أدائه العملى نجده يفكر ويعمل كسياسي، وهكذا فيما يتصل بالسياسة الداخلية، وكذلك الاقتصاد - وأيضاً فيما يتصل بعلاقاته المعقدة مع إسرائيل، وهو يحرص على أن تكون تصريحاته مناسبة بالنسبة للدعم الذى تحظى به إسرائيل فى الكونجرس الأمريكي.. ولكن إذا كان أعضاء الكونجرس ملتزمين بالحفاظ على أمن إسرائيل ومواجهة إيران، إلا أنهم لا يؤيدون توسيع المستعمرات، وهذا بالطبع يجعل أوباما أكثر استعداداً للدخول فى مواجهة مع رئيس الوزراء نتنياهو حول مسألة المستعمرات دون أن يخشى الثمن السياسي، فهو يعرف أن نتنياهو لا يستطيع أن يجند الكونجرس ضده أو يجند الجالية اليهودية.

إن هذه الاستراتيجية التى يمكن أن نطلق عليها «الضغط إلى أقصى درجة» قام ببلورتها على ما يبدو رئيس طاقم البيت الأبيض رام إيمانويل، وهى تتضح فى أى تصريح للمسؤولين الأمريكيين حول الشرق الأوسط، وقد عرضها أوباما مرة أخرى خلال لقائه مع رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس يوم الخميس الماضى، وأيضاً مع نتنياهو.

لقد تحدث عن مصلحة الفلسطينيين وإسرائيل والولايات المتحدة فى حل الدولتين، ولكنه لم يذكر بعض المصطلحات مثل الاحتلال وحقوق الفلسطينيين.

وكرر أوباما فى لقائه مع عباس ضرورة الحفاظ على أمن إسرائيل وطالب الفلسطينيين بوقف التحريض، وأوضح معارضته للحوار مع حماس قبل أن تعترف المنظمة بإسرائيل..

وتحظى هذه المواقف بتأييد قوى فى الكونجرس ولكن لها ثمنها، فعشية خطاب المصالحة الذى سيلقيه أوباما للعالم الإسلامى فى القاهرة يوم الخميس القادم نجده قد قدم طلبا أساسيا لإسرائيل بوقف بناء المستعمرات.. ويبدو أن هذا هو مضمون رسالته التى حملها للعالم الإسلامى والعربي.

وترى الإدارة الأمريكية أن هذا الطلب يجب أن يترجم إلى تجميد تام للبناء فى المستعمرات وإخلاء البؤر الاستيطانية غير الشرعية، ورغم أن نتنياهو على استعداد لإخلاء البؤر الاستيطانية إلا أنه يصر على الاستمرار فى بناء المستعمرات التى تقع وراء الجدار العازل، وتوسيع الكتل الاستيطانية والبناء بحرية فى الأحياء اليهودية فى القدس الشرقية.

ويرفض أوباما، بواسطة مبعوثه جورج ميتشيل، أى تنازل فى مسألة المستعمرات ويصر على التجميد التام لجميع المستعمرات - دون أى تساهل. وهو يرى أن التفاهمات التى تم التوصل إليها فى عهد بوش لا تلزمه. وقد ألمح المتحدث باسم الخارجية الأمريكية إلى أن أوباما غير ملتزم بخطاب بوش لآرئيل شارون فى أبريل ٢٠٠٤ والذى مُنح مقابل تنفيذ خطة فك الارتباط عن غزة وشمال الضفة الغربية.

من جانبه، أرسل نتنياهو اثنين من الحمائم فى حكومته لمواجهة الأمريكيين، وهما دان مريدور، وإيهود باراك، المؤيدان لفكرة «الدولتين»، ومن خريجى مؤتمر كامب ديفيد ٢٠٠٠. وبينما قاد مريدور الطاقم الذى اجتمع مع ميتشيل فى لندن الأسبوع الماضي، من المقرر أن يتوجه باراك مساء اليوم إلى واشنطن لإجراء محادثات مع المسؤولين الأمريكيين، والرسالة التى سوف يحملها إلى هناك هى أن التجميد

المطلق للبناء في المستعمرات غير عملي وغير أخلاقي، أو بعبارة أخرى يجب على العالم أن يقبل المستعمرات وتوسيعها كحقيقة واقعة، وحتى لو قال مريدور وباراك ذلك فمن الواضح أنه من المستحيل تمرير موضوع التجميد في الجهاز السياسي الإسرائيلي.. ويرد الأمريكيون، على الأقل حتى الآن، بأن هذا لا يعنيهم، فقد التزمت إسرائيل بخريطة الطريق، ومن ثم يجب التجميد المطلق للمستعمرات حتى لو كانت هناك زيادة طبيعية في عدد السكان، ويجب على إسرائيل أن توقف بذلك الآن.

إن المناقشات مازالت في بدايتها، ولكنها تضع نتنياهو أمام ورطة شديدة يمكن أن تؤثر على مصير ائتلافه، خاصة أنه لا يملك الكثير من الأوراق في اللعبة السياسية أمام أوباما، كما يعرف أنه سيضطر في النهاية إلى منح أي شيء للأمريكيين.. ولذا، سيحاول رئيس الوزراء في الأسابيع القادمة إعداد صياغة تُبقي على شركائه في الائتلاف، وعلى حزبه، وفي نفس الوقت ترضي أوباما وميتشيل.

اقتصاد مقابل سلام

بقلم: ميتاف سيلفر (*)
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٩/٦/١

حدد الرئيس الأمريكي، باراك أوباما، عامين لمسعاه التوصل إلى حل للنزاع الإسرائيلي - الفلسطيني يقوم على مبدأ "دولتان لشعبين"، ولكن ثمة شك أن تتاح له هذه الفترة الطويلة، لأن حبال الصبر للأمريكيين تقصُر من يوم لآخر. وطالما تزايدت أعداد المواطنين الأمريكيين غير القادرين على تحمل أعباء القروض العقارية، وكلما تزايدت شركات السيارات الكبرى، رمز القوة الاقتصادية الأمريكية، التي تعلن إفلاسها، كلما تزايدت في واشنطن الدعوات لإعادة النظر في المبالغ غير المتناسبة التي تحصل عليها دولة إسرائيل كمساعدات خارجية.



لقد تبلورت بنية هذا الاقتطاع الباعث على القلق من المساعدات في السنوات الأخيرة، وهي مؤسسة على الدينامية الثقافية لمبادئ الصواب السياسي، التي يحافظ الإعلام وأطراف الجدل العام فيها على "توازن" في عرض المطالب المختلفة للشعوب المتنازعة بشكل متساو، وعلى نفور متزايد من ميراث الرئيس بوش الذي رأى في الدول العربية كيانا آثما وشريرا، كما أن انتشار الرواية الفلسطينية في المؤسسة الأكاديمية وغيرها من المؤسسات أسهمت في تغذية هذه الأجواء، ولكن هذه السيرورات الروحانية والتعليمية تتقزم في أهميتها أمام التهديد الذي تمثله الأزمة الاقتصادية للمجتمع الأمريكي.

يوجد في إسرائيل الآن رئيس حكومة يؤمن أكثر من كل سابقيه بنوع من الجبرية الاقتصادية. نتنياهو يدرك التبعات الخطيرة التي قد تشهدها السياسة العالمية كنتيجة لاستمرار التباطؤ الاقتصادي. وكسابقيه في الليكود، لا توجد لدى نتنياهو توقعات كبيرة بشأن نظرة العالم للمشروع الصهيوني، ولكنه يستعين بالأدوات اللازمة لتبديد كل المقولات المتباكية التي يرددها أنصار اليمين عن الميول المنحازة للفلسطينيين، ظاهريا، في رؤية الرئيس أوباما. ورغم أن أوباما يعد شخصية متفردة وكاريزماتية في الساحة السياسية، إلا أن المشكلة الحقيقية من ناحيتنا ليست في آراء هذا الشخص أو ذاك، وإنما في فتيل المودة الأمريكي الذي قد يقصر بسبب السيرورات العالمية التي تتبلور الآن.

يمكن الاعتماد على رجال اليمين في ائتلافنا الحكومي، فهم سيواصلون سوق المزاعم ضد الرئيس الأمريكي الأكثر شعبية خلال العقود الخمسة الأخيرة، وذلك لتحقيق المصالح الإسرائيلية الحيوية، غير أن نتنياهو نفسه لا يمتلك الوقت الكافي للانشغال بحماقات دبلوماسية من هذا النوع. وهذا الأسبوع، عندما يقف أوباما في جامعة القاهرة ويلقي خطابا تصالحيا مع العالم العربي، سيقصر جدا فتيل الفرص المتاحة لنتنياهو. إن كلمات أوباما سوف تحفز الدعوات لحل الدولتين كركيزة لأي تسوية ديموقراطية جديدة في المنطقة من الخليج العربي وحتى بيروت.

في ساعة الاختبار هذه، يوجد لنتنياهو فرصة لعرض

بضاعة سيقبلها فى النهاية نفس الجمهور الذى أوصله - بشق الأنفس - إلى كرسى رئاسة الحكومة. يتعين على نتنياهو السعى إلى بلورة اتفاق يضع إطارا لحل الدولتين دون الالتزام بتقديم تنازلات عن أحياء فى القدس أو مستعمرات فى الضفة الغربية. فعلى حكومة نتنياهو أن تقترح التنازل عن مبدأ الزيادة الطبيعية فى المستعمرات مقابل تجديد الالتزام الأمريكى بخطاب الرئيس بوش منذ أبريل ٢٠٠٤، الذى اعترف بحقائق ديموجرافية إسرائيلية معينة فى المناطق (الفلسطينية).

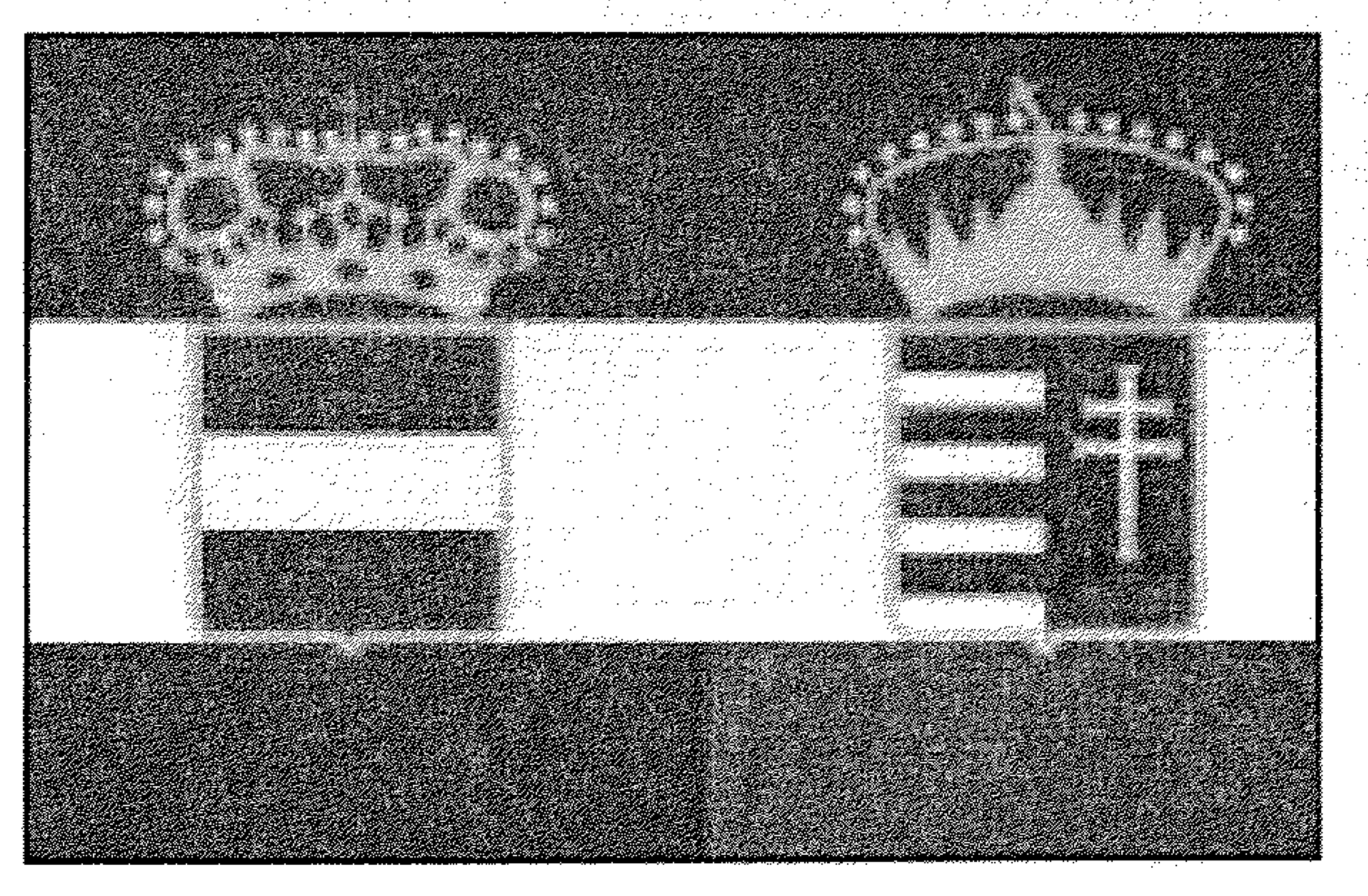
لقد بدت إسرائيل بعد الانتخابات الأخيرة كتائه فى الفضاء بلا أى مبدأ للعمل، فى الوقت الذى انتخب فيه الأمريكيون زعيما عرف هذا الأسبوع كيف يستعرض أهداف إدارته فى المنطقة مستخدما مصطلحات واضحة لن تفلت دلالتها من السُنة فى القاهرة أو الشيعة فى طهران أو العاطلين فى ديترويت.

يتعين على نتنياهو أن يعمل بفطنة، وأن ينحى جانبا انتقادات رجال اليمين لأوباما، وسيكون من الأجدر برئيس الوزراء أن يضع نصب عينيه هدف التوصل لتسوية سلمية مع الفلسطينيين، ولكن دون انسحاب كامل إلى الخط الأخضر.

(*) كاتب المقال رئيس قسم الدراسات متعددة المجالات فى كلية عيمق يزرعيل الأكاديمية.

النموذج النمساوى المجرى للفلسطينيين

بقلم: جرشون أكشتاين
المصدر: www.omedia.co.il
٢٠٠٩/٦/١



فى الوقت الذى تحاول فيه الولايات المتحدة الأمريكية المضى قدماً فيما يتعلق بوجود دولة فلسطينية، يقترح نتنياهو منح حكم ذاتى للفلسطينيين. فهل هذا هو وقت العودة إلى نقطة البداية..؟.

يعج المطبخ السياسى فى إسرائيل بكثير من الحركة فى هذه الآونة: فرئيس الوزراء نتنياهو مدعوماً بنتائج الانتخابات الأخيرة التى منحت كتلة اليمين الأغلبية، يعمل على بلورة تسوية سياسية ينوى عرضها على الرئيس الأمريكى باراك أوباما، تتمحور بنودها، حسب ما نشرته مؤخراً وسائل الإعلام، حول منح الفلسطينيين حكماً ذاتياً.

* بنود التسوية المقترحة:

منح الفلسطينيين الحكم الذاتى فى يهودا والسامرة، حيث إن فكرة إقامة دولتين لشعبين لا يمكن تطبيقها فى المستقبل القريب، ولكن إسرائيل على استعداد لاستئناف المفاوضات مع السلطة الفلسطينية فوراً وبدون تأجيل.

لا يوجد خلاف على أن التسوية السياسية التى يقترحها نتنياهو ستكون مقبولة من الجميع لو أنها تحمل أية فرصة بأن يقبل بها الفلسطينيون ودول عربية والمجتمع الدولى، ولكن مجرد طرح هذه التسوية الجديدة يُوجد ما يكفى من الصعاب والعراقيل والخطورة أمام دولة إسرائيل بما فى ذلك إمكانية خلق رأى عام دولى معاد لدولة إسرائيل، وحدوث تصادم مع الولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك يتم الإضرار والمساس بأمن إسرائيل على المدى القريب.

هناك عدد من الأسئلة الصعبة التى لم تُطرح بعد، منها على سبيل المثال: كيف سيقبل المجتمع الدولى بذلك..؟ وماذا سيكون مصير قطاع غزة فى إطار تلك التسوية..؟ ألا يمكن أن يكون ذلك السبب فى اندلاع انتفاضة ثالثة..؟ ثم ماذا عن الترتيبات الأمنية فى غور الأردن..؟ ما هى التفاصيل الخاصة بمنطقة جبل الهيكل (الحرم القدسى) وأى عَلَم سيتم رفعه هناك..؟ وأى نوع من الحكم سيكون فى مناطق السلطة، وماذا سيكون الهدف منه..؟ هذا فقط جزء من الأسئلة.

إن التسوية المقترحة فيما يتعلق بمنح الحكم الذاتى للفلسطينيين، والتى يعمل نتنياهو ورجاله على بلورتها ستؤدى إلى حالة من عدم الهدوء والارتباك لكثيرين، وربما كانت هذه التسوية مناسبة وقت إبرام اتفاقية السلام مع

مصر، حيث كان بمقدورنا أن نقترح آنذاك تصوراً مختلفاً تماماً لحل المسألة الفلسطينية بعيداً عن ذلك البند القائل بضرورة إيجاد "حل مناسب لحقوقهم الشرعية"، بل وأن نقترح حتى قبل التوقيع على اتفاقية السلام مع مصر وجود حكم فيدرالى فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية) على غرار نموذج الاتفاق الفيدرالى بين النمسا والمجر الذى يعود لعام ١٨٦٧.. ربما آنذاك كانت هناك فرصة فى أن يتقبل الجميع مثل هذا الأمر.

* كلمات عن مملكة النمسا والمجر:

فى عام ١٨٦٧ بعد مئات السنين من الصراع والنزاع على مناطق فى أنحاء وسط وشرق أوروبا تم التوصل بين الأسرتين الحاكمتين فى النمسا والمجر إلى اتفاق يقضى بما يلي:

١- يطلق على المملكة الجديدة اسم مملكة النمسا والمجر.

٢- يكون للمملكة حاكم واحد يكون قيصراً للنمسا وملكاً للمجر، ويكون سليل الأسرة الحاكمة فى النمسا.

٣- يكون هناك برلمانان: واحد مجرى وآخر نمساوى، ويكون للمجر رئيس وزراء منتخب.

٤- تطبق أنظمة التجارة والاقتصاد أيضاً على المجر، ولكن تستطيع المجر أن تدير منظومة بنكية خاصة بها، وكذلك الأمر فيما يتعلق بمجالات التعليم والصحة والنقل والاتصالات.

٥- يسرى القانون النمساوى أيضاً على المجريين، ولكن يسمح للمجريين أن يسنوا التشريعات الخاصة بهم على أن تسرى فقط على المواطنين المجريين.

٦- ليس من حق المجر وضع سياسة خارجية وأمنية مستقلة، بل تقوم النمسا برسم السياسة الخارجية والأمنية للمجر.

٧- تكون الشرطة المجرية تابعة للشرطة النمساوية. ولا يكون للمجريين جيش خاص بهم، بل يكونون جزءا من الجيش النمساوي.

لقد تعلم النمساويون الاعتراف بأن قوة الإمبراطورية النمساوية مرتبط بعلاقتها بالأقليات التى تعيش بينها وعلى رأسها المجريون، وبالتالى إذا استمر وضع عدم الهدوء الداخلى ستنهار الامبراطورية تحت الضغوط الداخلية والخارجية. وبعد مفاوضات طويلة توصل الشعب المجرى والنمساويون إلى حل وسط رسخ لوجود مملكة ثنائية يُمنح فيها المجريون حكماً ذاتياً شبه كامل فى إدارة شؤونهم مع الإبقاء على الشؤون الخارجية والجيش والاقتصاد فى أيدى النمساويين. وبالفعل كانت الفترة التى تلت ذلك فترة ازدهار ونمو سياسى واقتصادى فى جميع أنحاء المجر التى كان لها شأن حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى مع مقتل ولى العهد النمساوى عام ١٩١٤.

* الأمر ذاته يسرى على عصرنا ومنطقتنا:

ليس من الصعب أن نخمن أوجه التشابه بين الحالتين، فإذا ما أغمضنا أعيننا ونشبه الإسرائيليين بالنمساويين والفلسطينيين بالمجريين ربما كان من الممكن أن نتوصل إلى تسوية على أساس الفكرة التى تتبلور فى الوقت الحالى على مرحلتين:

فى المرحلة الأولى نقوم بتشكيل إدارة مماثلة لمملكة النمسا والمجر، ولكن مع وجود الاختلافات التى تتناسب معنا ومع عصرنا.. ثم بعد ذلك نرسخ لتسوية دائمة، مع منح دولة مستقلة بشكل كامل للفلسطينيين، بل ومنحهم صلاحيات أمنية بما فى ذلك بناء جيش خاص بهم.

ربما عند ذلك يكون من الممكن أن نبنى نموذجاً مماثلاً من التسوية الفيدرالية. إن ميزات ذلك قبل أى شيء تتمثل فى أن فارق الزمن سيدلو بدلوه طالما ستعود نحن والأجيال القادمة على وجود دولتين بهذه الوضعية. وفى ذلك الوقت ستُزال حواجز الكراهية المستمرة منذ نحو مائة عام.

قطار المساء القادم من القاهرة

بقلم: يوسى فيرتر

هاآرتس ٥/ ٦/ ٢٠٠٩

فى الحديث الذى أجراه نتنياهو مع نفسه الأسبوع الماضى واتسم بالقلق، اعترف بأنه ليست لديه أية توقعات حول ما سيقوله أوباما فى القاهرة. وكرر قوله "ليس لدى معلومات". أما الآن فقد صارت لديه معلومات.

إن نتنياهو يدرك اليوم ما أدركه من تلقاء ذاته، فقبل الخطاب أدرك أن لحظة الحسم السياسى التى كان يخشاها كثيراً صارت تقترب منه بسرعة مخيفة. والضوضاء التى يسمعها، هى ضوضاء كتائب المتمردين فى الليكود وقطعان المستعمرين التى تهبط من الجبل. كما أن الضوء الذى يراه فى آخر النفق ليس ضوء النهار، بل هو الضوء الباهر لفوانيس القطار الهادر فى اتجاهه.

إن نتنياهو سيضطر الأسابيع القادمة إلى حسم ما يفضل الاصطدام به، هل هى الحكومة الأمريكية ذات التأثير القوى ورئيسها الذى يعتبر نفسه شبه مسيح مخلص أم بعض

الأطراف فى ائتلافه، وفى الليكود. إن الخيار الأول سيجعله يظل فى منصبه، ولكنه قد يجعل إسرائيل تتعرض لعزلة مريرة. أما الخيار الثانى فسيجعله زعيما قوميا يفضل المصلحة القومية على المصلحة السياسية الشخصية، لكنه قد يقوّض ائتلافه اليمينى، رغم أن شريكيه - شاس ويسرائيل بيتينو - كانا عضوين فى الحكومة التى حرصت على الدولة الفلسطينية، حكومة أولمرت.

وحتى الآن لم يُبد نتنياهو إشارة حول ما إذا كان اختياره سيكون "بيجيني" أم "شاروني"، فهو لم ينجح فى اتباع ذلك الشعار المعروف الذى حفظه العالم بأكمله "دولتين لشعبين"، فهو يخشى للغاية من بنى بيجين، وبوجى يعلون، وتسيبى حوتوفلى، وسائر المفكرين فى كتلته البرلمانية. ربما فعلاً يجعلونه يشعر بالقلق، لهذا هو مذعور وربما فقط يتظاهر بالخوف.

إن نتنياهو اليوم أمام ثلاثة خيارات سياسية جميعها ليس سهلاً: الأول هو الإعلان عن موافقته على حل الدولتين مع وضع الكثير من الشروط وإصدار التوجيهات بإخلاء ٢٦ بؤرة استيطانية غير قانونية ووقف البناء فى المستعمرات المنعزلة، والتفاوض مع الأمريكيين حول بناء محدود فى الكتل الاستيطانية. وهذا قد يخلق له أزمة متمردين فى الليكود، ولكنه يمكن أن يتجاوزها، لأن ليبرمان ويشاى لا يملكان بديلاً أفضل منه.

والخيار الثانى هو العودة إلى نقطة البداية الائتلافية مع تسيبى ليفنى وكاديما، ولكن الثمن السياسى الذى سيضطر لدفعه سيكون غير ممكن من جانبه، وهو تبادل تولى المنصب بشكل عادل، ومنح عشر وزارات بما فى ذلك وزارة الخارجية والدفاع لكاديما.

أما الخيار الثالث فهو التمسك بمقولاته القديمة، وأن يقول لا لأوباما، والبقاء مع الائتلاف الحالى، ومشاهدة إلى أى مدى سيصل الأمريكيون. هذه هى طبيعة المقامرة وقوتها وثمنها، جميعنا سندفع الثمن.

غضب فى اليمين: خطاب رئيس الوزراء خيانة لناخبيه

معاريف ١٤/ ٦/ ٢٠٠٩
بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

غضب فى أوساط اليمين فى أعقاب موافقة بنيامين نتنياهو على إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح. بعد فترة وجيزة من انتهاء نتنياهو من خطابه الذى ألقاه أمس (الأحد) بجامعة بار إيلان، قال المستعمرون إن رئيس الوزراء قد تخلى عنهم. فيما أعلنت لجنة مستعمرى بنيامين: «إن خطاب نتنياهو يعد بمثابة خيانة لناخبيه، فبدلاً من أن يجاهر نتنياهو بتصريحاته ويتحلى بالشجاعة، يفضل استخدام عبارات مبهمة، تتشابك مع البرنامج السياسى لحزب ميريتس. والأمر المؤسف هو أن نرى ممثل العائلة المحاربة يتبنى نفس المصطلحات التى يستخدمها كل من يوسى بيلين وشمعون بيريس».

عقّب المسئولون فى لجنة مستعمرى السامرة بغضب على أقوال نتنياهو، وجاء فى بيان أصدرته اللجنة: «إن أرض إسرائيل ليست عملة نقدية تنتقل من تاجر لآخر، كما أنها ليست ساحة ألعاب تلهو فيها حكومات زائلة».

كما جاء فى بيان لجنة مستعمرى السامرة: «لقد عاد شعب إسرائيل إلى وطنه لكى يكون صاحب البيت فى أرضه وليس ضيفاً عابرا».

أعرب أعضاء حركة «أمناء أرض إسرائيل» عن غضبهم إزاء خطاب نتنياهو. وأعلنوا أن «تصريحات نتنياهو التى توحى باتجاه النية إلى عدم إقامة مستعمرات جديدة وعدم توسيع مستعمرات قائمة، لا تمت للواقع بصلة وأنها تصريحات وقتية، وأنه من المقرر أن يشن مستعمرو يهودا والسامرة - تدعمهم حركات اليمين البرلمانية والمستقلة - حملة استيطان واسعة النطاق خلال الأسابيع القادمة سيتم فى إطارها إقامة مستعمرات جديدة وتوسيع مستعمرات قائمة».

قال عضو الكنيست آرييه إلداد (الاتحاد القومي): «لقد خسر نتنياهو قيادة المعسكر القومى، ليس عندما تجاوز الخطوط الحمراء فى وعوده لناخبيه فحسب، وإنما عندما تحول عن دينه أيضاً. فنتنياهو بعبارة 'دولة فلسطينية منزوعة السلاح' يريد أن يأكل لحم خنزير ذبح حسب الشريعة اليهودية، ولكن لا يوجد شيء من هذا النوع. ونتنياهو يعلم أن أية قوة سياسية لن تستطيع أن تمنع هذه الدولة من التسلح».

قال عضو الكنيست ميخائيل بن آرى (الاتحاد القومي): «لقد خان نتنياهو إرادة الناخب الإسرائيلى، وأثبت من خلال خطاب الانصياع الذى ألقاه أن القرارات الحقيقية تتخذ فى واشنطن وليس فى القدس».

* عضو الكنيست دانى دانون: "سأناضل ضد الخطاب لدى مؤسسات الليكود"

أعرب أعضاء حزب البيت اليهودى عن خيبة أملهم إزاء خطاب نتنياهو، وقالوا إنهم يعتزمون الدعوة إلى عقد جلسة للائتلاف الحكومى لمناقشة فحوى الخطاب. وقال رئيس الكتلة البرلمانية للحزب، عضو الكنيست زفولون أورليف:

"للأسف لقد دفع نتنياهو ضريبة كلام بموافقته على إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح، وبذلك خيب آمال غالبية أحزاب الائتلاف بوجه عام، وحزب البيت اليهودى بوجه خاص. فخطاب نتنياهو يستوجب عقد جلسة للائتلاف لمناقشة فحوى الخطاب بشكل جاد من أجل ضمان أن يتجلى الحسم الديموقراطى فى الانتخابات فى السياسة القومية".

على صعيد آخر، دعا عضو الكنيست أورى أورباخ (البيت اليهودي)، حزبه إلى دراسة خطواته، فى ضوء ما وصفه بالتداعيات الخطيرة لخطاب نتنياهو وموافقته على إقامة دولة فلسطينية».

كما تباينت ردود أفعال الأعضاء فى حزب رئيس الوزراء على الخطاب، وانقسموا ما بين مؤيد ومعارض وراض وغير راض. قال عضو الكنيست دانى دانون (الليكود) إنه سيعمل لدى مؤسسات حزب الليكود ضد إعلان نتنياهو عن موافقته على إقامة دولة فلسطينية. وأضاف عضو الكنيست دانون: «إن العبارة التى وردت فى الخطاب بشأن إقامة دولة فلسطينية هى عبارة بائسة. إن هذا يعد انصياعاً للضغط الأمريكى، وهذا أمر غير مقبول. وأنا اقترح قراءة اتفاقيات أوسلو، وما ورد فيها بشأن نزع السلاح، وأن نرى الوضع على أرض الواقع الآن. واليوم خلال جلسة الكتلة البرلمانية للحزب، وبعد ذلك فى مؤسسات الحزب سندرس ما إذا كان فى نية رئيس الوزراء محو العبارة من الخطاب أو إذا كانت نيته تتجه إلى إلغاء قرار مؤسسات الليكود ضد إقامة دولة فلسطينية، تلك القرارات التى عمل هو نفسه من أجل إقرارها، وسنعمل على حسم هذه المسألة أمام مؤسسات الحزب».

*** طالما أنها مجرد مصطلحات، من غير المتوقع أن تندلع أزمة فى الليكود:**

أعرب عضو الكنيست أيوب قرا، أحد متمردى الليكود السابقين ضد آريئيل شارون، عن خيبة أمله إزاء خطاب نتنياهو، قائلاً: «لن تكون هناك أى استجابة من الجانب الفلسطينى. نظراً لأنه لا توجد أية زعامة، ولا توجد أى حكومة ولا يوجد أى شريك، ولذلك، فإن الطريق إلى جنة عدن لا يزال طويلاً. وطالما الأمر لم يتعد طور المصطلحات، فمن غير المتوقع أن تندلع أزمة فى الليكود».

قال عضو الكنيست ياريف لفين (الليكود): «إن دولة فلسطينية وسلام يتناقضان مع بعضهما بعضاً، ولذا فأنا أعارض إقامة دولة فلسطينية، وأتوقع استئناف فورى للبناء فى المستعمرات فى يهودا والسامرة، وفقاً للمبادئ التى حددها رئيس الوزراء فى خطابه. وحيث إنه لا يوجد احتمال لأن يقبل العرب الشروط التى وضعها رئيس الوزراء، فإن استمرار البناء فى المستعمرات هو الذى سيحدد مستقبل المنطقة».

قال عضو الكنيست كرميل شاما (الليكود): «إن أقوال رئيس الوزراء، بنيامين نتنياهو، تثبت أنه ليس رئيس وزراء فحسب، وإنما زعيم شجاع مستعد لأن يعرض نفسه لمخاطر سياسية وائتلافية وشخصية أيضاً، لكى يعيش شعب إسرائيل فى أمان وسلام فى دولة يهودية وديموقراطية إلى أبد الآبدين».

كما قالت عضوة الكنيست ميرى رجيف (الليكود): «إن أى تقدم فى المفاوضات مع الفلسطينيين يجب أن يمر عبر مؤسسات الليكود، وأن يحصل على موافقتها. لقد أثبت رئيس الوزراء أن دولة إسرائيل تتطلع إلى السلام، شريطة التزام فلسطينى بالاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية. وعلى ذلك يجب مواصلة البناء فى يهودا والسامرة ودعم التكتلات الاستيطانية. ومن ثم يظل إقامة دولة فلسطينية بمثابة حلم بعيد المنال».

*** شخص مثل نتنياهو يعرف أن دولة فلسطينية تهدد إسرائيل:**

أعرب مدير عام مجلس يشع (مجلس المستعمرات اليهودية فى الضفة الغربية وقطاع غزة) بنحاس ولرشتاين، عن ارتياحه من خطاب نتنياهو. وقال: «إننى فخور بمستوى الصهيونية العالى الذى أبداه رئيس الوزراء، الذى لم يلمح إلى أى إخلاء لمستعمرات أو تجميد لمستعمرات. وأنا أبارك رئيس الوزراء على ذلك».

وبالرغم من تأييد ولرشتاين، فقد أصدر مجلس يشع بياناً رسمياً أعرب فيه عن احتجاجه على موافقة نتنياهو على إقامة دولة فلسطينية. جاء فى البيان: «إن مجلس يشع يحتج على موافقة رئيس الوزراء على إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح. إن شخص مثل نتنياهو، يشرح ذلك منذ سنوات طويلة، يعرف أن دولة فلسطينية، حتى وإن كانت منزوعة السلاح، ستتحول بالضرورة إلى دولة مسلحة تهدد وجود دولة إسرائيل. إن أقوال نتنياهو تتناقض وتصريحاته التى أدلى بها بشأن حقنا فى هذه الأرض عموماً وحقنا فى يهودا والسامرة على وجه الخصوص، ونحن نؤكد على إصرار رئيس الوزراء على أن الاستيطان فى يهودا والسامرة هو حق لنا، وعلى ذلك يكون من الطبيعى أن تتواصل أعمال البناء فى المستعمرات فى جميع أنحاء يهودا والسامرة».

رغم خطاب نتنياهو تحسين العلاقات الإسرائيلية الأوروبية منوط بالتقدم فى مسيرة السلام

بقلم آساف أوني
هاآرتس ١٥/٦/٢٠٠٩

وصف الاتحاد الأوروبى خطاب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بأنه خطوة نحو الطريق الصحيح، ولكنه رفض اليوم المضى نحو تحسين العلاقات السياسية والاقتصادية مع إسرائيل حتى تشهد مسيرة السلام تقدما. وقد أعلن وزراء خارجية الاتحاد الأوروبى، الذين يجتمعون فى لوكسمبورج فى قمة شهرية، عن هذه الخطوة فى نهاية لقائهم ظهر اليوم. وقد تم اتخاذ قرار تحسين العلاقات مع إسرائيل فى ديسمبر الماضى، ولكن تم اشتراطه بتقدم المحادثات مع الفلسطينيين، إلا أنه تجمد فى الواقع منذ عملية "الرصاص المنصهر" واعتلاء حكومة نتنياهو سُدة الحكم.

وقال وزير خارجية لوكسمبورج جان أسيلبورن فى نهاية اللقاء: "علينا أن نعلن هنا اليوم بشكل واضح أننا نستطيع التحدث عن تحسين العلاقات فى حال تم استئناف مسيرة السلام فقط، ولذلك نحتاج إلى خطوات أخرى". ويشمل تحسين العلاقات عقد مؤتمر سنوى رفيع المستوى تشارك فيه إسرائيل والاتحاد الأوروبى، وتوسيع الفرص المطروحة أمام جهات إسرائيلية للمشاركة فى مشروعات ثقافية وتجارية تابعة للاتحاد الأوروبى.

جديرٌ بالذكر أن دول الاتحاد الأوروبى تختلف فى الرأى حول تحسين العلاقات مع إسرائيل.. ففى حين تؤيد التشيك وألمانيا وإيطاليا ورومانيا تحسين العلاقات، تعارض بلجيكا والسويد والبرتغال وأيرلندا هذه الخطوة إذا لم توقف إسرائيل البناء فى المستعمرات، وتخفف العقوبات التى تفرضها على قطاع غزة.

وقد أشاد وزير خارجية التشيك يان كوهوت، التى تتولى بلاده منصب الرئاسة حتى نهاية الشهر، بخطاب نتنياهو وخاصة لاشتمال الخطاب على ذكر للدولة الفلسطينية. ومن ناحية أخرى، قال وزير الخارجية السويدى كارل بيلدت، الذى ستتولى بلاده منصب الرئاسة القادمة، إنه من غير الواضح ما إذا كان ما وصفه نتنياهو يمكن أن يوصف بأنه دولة أم لا.

وقد ذكر وزير الخارجية الإيطالى، فرانكو فراتينى، أنه يشعر بالقلق من حقيقة أن الخطاب لم يتطرق إلى تجميد المستعمرات.. كما أشاد وزير الخارجية البريطانى ديفيد ميليباند بأن نتنياهو يعتبر دولة فلسطينية مستقلة جزءاً من رؤية السلام فى الشرق الأوسط، إلا أنه أعلن أن بلاده تطالب بتجميد تام للبناء فى المستعمرات. وزير الخارجية الفرنسى برنار كوشنير انضم إلى الموقف المعارض لاستمرار البناء فى المستعمرات.

وخلافا لأوروبا، أشادوا فى الولايات المتحدة بخطاب نتنياهو، حيث جاء فى رد البيت الأبيض: "يشيد الرئيس أوباما بالخطوة المهمة فى خطاب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، حيث أعرب رئيس الوزراء عن التزامه بمبدأ دولتين، الدولة اليهودية لإسرائيل وفلسطين المستقلة، على الوطن التاريخى للشعبين".

كما سيلتقى وزير الخارجية أفيجدور ليبرمان اليوم فى لوكسمبورج مع وزيرى خارجية التشيك والسويد ومنسق السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبى ومبعوثة العلاقات الخارجية للاتحاد، لبحث دورى فى إطار اتفاقية الشراكة بين الاتحاد الأوروبى وإسرائيل.

انعطافة أيديولوجية لنتنياهو

بقلم: ألوف بن
هاآرتس ١٥/٦/٢٠٠٩

رئيس الـوزراء، بنيامين نتنياهو، قام في خطابه أمس بانعطافة أيديولوجية في مجالين هامين: أولاً، وافق على فكرة الدولة الفلسطينية كأساس لتسوية سلمية بعد أن عارضها بحزم على مدى سنوات طويلة. بعد نحو ثماني سنوات من آريئيل شارون، ينضم نتنياهو أيضا إلى الإجماع الدولي على مبدأ «دولتين للشعبين» كوصفة لإنهاء الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني. نتنياهو لم يُعطِ هذا الاعتراف لتسيبي ليفني في المفاوضات الائتلافية، ووافق عليه فقط تحت ضغط كبير من الرئيس الأمريكي باراك أوباما.

وضع نتنياهو سقفا عاليا للاعتراف بالاستقلال الفلسطيني. فهو يطالب الفلسطينيين بأن يعترفوا بإسرائيل كدولة قومية للشعب اليهودي - ليس بمفهوم «دولة يهودية» وإنما بالصلة وبحق الشعب اليهودي في السيادة الكاملة على البلاد. كما أنه يطالب بأن يتم حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بكاملها خارج إسرائيل. بتعبير آخر، كشرط للدولة يطالب نتنياهو الفلسطينيين بالتخلي عن أسس فكرتهم الوطنية - التي تصفهم كشعب سُلب حقه في أرضه التاريخية من قِبل غزاة يهود بدعم من القوى العظمى الغربية.

ثانيا، نتنياهو طلب أن تضمن الولايات المتحدة الترتيبات الأمنية المستقبلية في المناطق الفلسطينية وأن تشرف عليها، كي لا تتحول الدولة الفلسطينية إلى «حماستان». وهكذا يكون قد ألمح إلى فكرة مرابطة جنود أمريكيين على معابر الحدود، بل وفي أراضي الدولة الفلسطينية من أجل حماية إسرائيل من أي تهديد وجودي. في الماضي، عارض نتنياهو بحزم مرابطة جنود أمريكيين على طول حدود إسرائيل خشية أن يؤدي الأمر إلى ضعضعة العلاقات مع الولايات المتحدة في حالة إصابة هؤلاء الجنود فيُلقى الذنب على إسرائيل.

ولكن هاهي التسوية الأمنية التي يقترحها نتنياهو في خطابه أمس: إسرائيل مستعدة لأن تتنازل عن سيطرتها على المعابر الحدودية الفلسطينية، إذا ما فعلت أمريكا ذلك بدلا منها. من ناحية نتنياهو، لا يمكن لإسرائيل أن تدافع عن نفسها بقواها الذاتية إذا ما انسحبت من الضفة الغربية. وإذا تركت المنطقة للفلسطينيين، فالنتيجة ستكون: صواريخ ومقذوفات صاروخية على تل أبيب ومطار بن جوريون.

لقد منح نتنياهو بهذا الخطاب باراك أوباما - المستمع الأهم بالنسبة له - إنجازا لفظيا باستجابته للدولة الفلسطينية. ولكن رسالته الحقيقية لأوباما كانت: مواقفي تمثل الإجماع الإسرائيلي ولا يمكنك أن تضغط علي. معظم الجمهور اليهودي مستعد لأن يؤيد «دولتين»، ولكن فقط إذا تمت حمايته من صواريخ حماس، وإذا أوقفوا التحريض ضده. أنت يا أوباما تعهدت بأمن إسرائيل. فلتتفضل، تعال للإشراف على تجريد الدولة الفلسطينية من سلاحها.

نتنياهو رفض الرواية التاريخية التي عرضها أوباما في خطابه في القاهرة وكأن دولة إسرائيل أقيمت بسبب المحرقة النازية. ورفض أيضا مطلبه بتجميد المستعمرات، ولكنه ترك الباب مفتوحا للمفاوضات مع الأمريكيين في هذه المسألة. نتنياهو لم يذكر خريطة الطريق، التي تحفظ عليها منذ عهد شارون، وذلك بالأحرى كي لا يلزم نفسه بكل بنودها وتفاصيلها. أوباما سيتعين عليه أن يقرر ما إن كان ما قدمه نتنياهو أمس كافيا كي يضغط على أبو مازن ليوافق على استئناف المفاوضات، أم ينبغي ممارسة جولة أخرى من الضغوط على رئيس الوزراء.

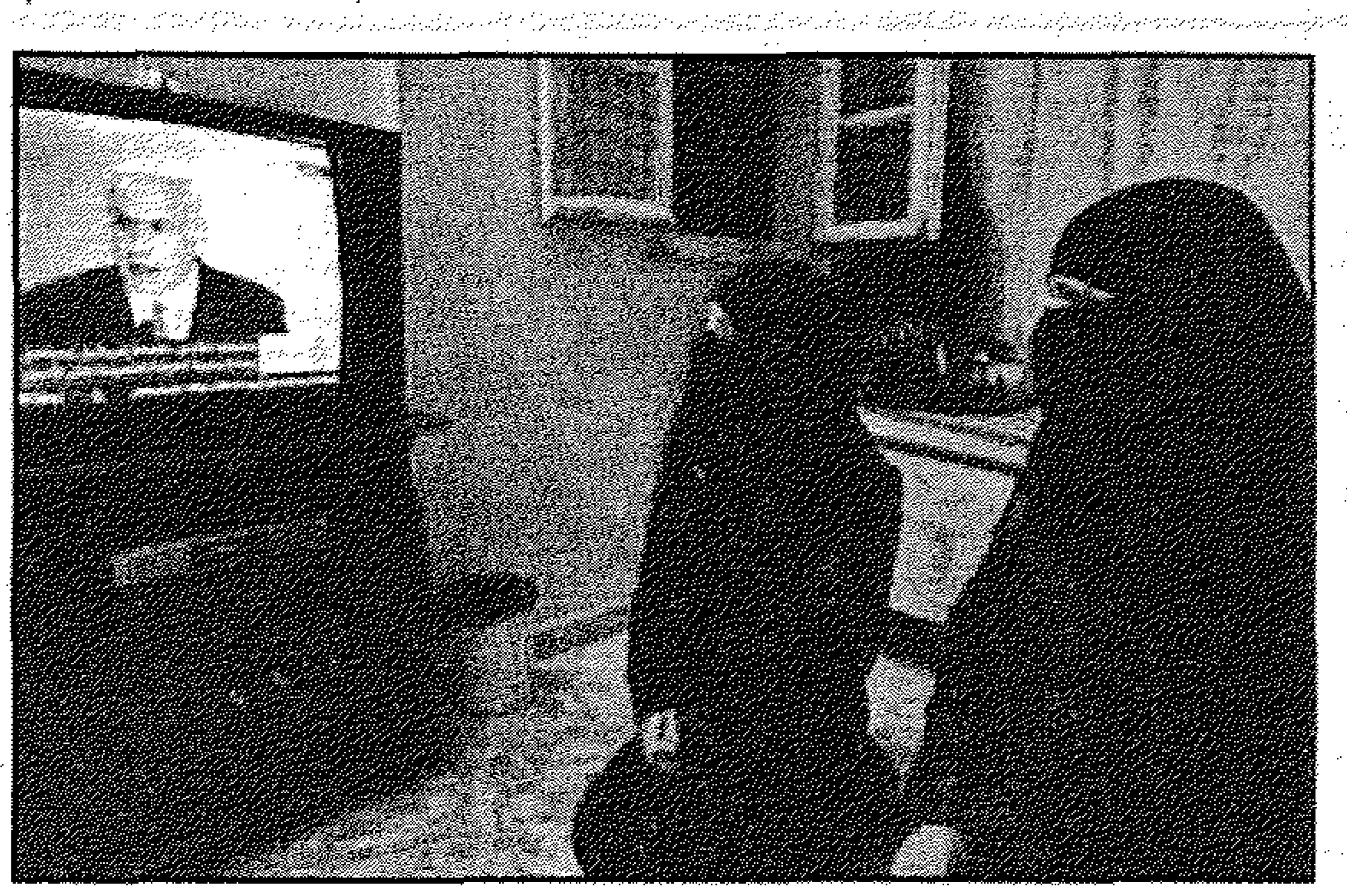
سيمر ألف عام قبل أن يوافق الفلسطينيون

بقلم: دانيئيل سريوطي
يسرائيل هايوم
١٥/٦/٢٠٠٩

تابع العالم العربي والسلطة الفلسطينية باهتمام الخطاب السياسي لرئيس الـوزراء بنيامين نتنياهو، وكانت ردود الأفعال التالية عليه تتسم بالحدة. وكان الشعور العام الذي ساد في القيادة الفلسطينية هو أن خطاب رئيس الوزراء "يقوض أسس المفاوضات السياسية، ويُشكل ضربة قوية لعملية السلام" مثلما صرح أحد المسئولين في مكتب أبو مازن رئيس السلطة الفلسطينية. وفي بيان رسمي صدر عن مكتب أبو مازن تعليقاً على الخطاب ورد أن "نتنياهو يخرب الجهود الرامية للتوصل إلى السلام".

وقال صائب عريقات رئيس فريق المفاوضات الفلسطيني إن

خطاب بار إيلان يشكل صفعة لرؤية الرئيس الأمريكى باراك أوباما بشأن الشرق الأوسط. وأضاف أن "رئيس الوزراء الإسرائيلى سيحتاج إلى الانتظار ألف عام قبل أن يجد فلسطينى واحد يوافق على اقتراحاته. لقد ألغى نتنياهو قضايا ساخنة بشأن التسوية الدائمة مثل مشكلة القدس والترتيبات الأمنية ومسألة اللاجئين. إن كلمات نتنياهو لن تكفى، ولن تؤدى إلى حل، وهو بالفعل يتسبب فى تجميد جميع جهود السلام من جانب الفلسطينيين والأمريكيين والدول العربية"، كما دعا عريقات الدول العربية إلى سحب مبادرة السلام العربية وإعلان تجميدها لحين حدوث تغير فى السياسة الإسرائيلية.



وكان ياسر عبد ربه سكرتير اللجنة التنفيذية للسلطة الفلسطينية أكثر حدة فى رد فعله على خطاب نتنياهو، وصرح أمس لوكالة الأنباء الفلسطينية بأنه "كما توقعنا فإن نتنياهو لم يتغير ومازال نفس الشخصية الكاذبة".

كما علق مسئولو حماس على خطاب نتنياهو، حيث صرح الدكتور أحمد بحر القائم بأعمال رئيس البرلمان الفلسطينى لموقع "يسرائيل هايوم" بأنه "على العرب بلورة موقف موحد تجاه سياسة نتنياهو المتطرفة والعنصرية". وقال أمس دكتور فوزى برهوم المتحدث باسم حماس فى قطاع غزة، إن خطاب نتنياهو لم يأت بجديد تجاه الفلسطينيين والعالم العربى "فنتنياهو يمثل الأيديولوجية المتطرفة لسياسة الحكومة الإسرائيلية". كما أعلن عمرو موسى أمين عام جامعة الدول العربية أن الجامعة ترفض خطاب نتنياهو الذى أجهض أى مبادرة للسلام.

وفى أعقاب الخطاب وجَّه مصطفى الفقى، أحد المسئولين فى الحزب الحاكم المصرى ومدير مكتب الرئيس حسنى مبارك سابقاً، خلال اجتماع للجنة العلاقات الخارجية بالبرلمان المصرى عُقد برئاسته، انتقاداً حاداً لإسرائيل، وقال إن "دولة إسرائيل هى كيان سرطانى صاحب قيامها عدوان وعنف وطرد للفلسطينيين من أراضيهم من أجل بناء المستعمرات ومواصلة بنائها".

نحن طبق من الجزر

بقلم: يتسحاق ليئور
هاآرتس ١٦/٦/٢٠٠٩

بعد أن احتلت إسرائيل سيناء عام ١٩٥٦ سمحت الولايات المتحدة لدافيد بن جوريون بإلقاء خطابه حول «مملكة إسرائيل الثالثة»، وأعادت الجيش الإسرائيلى إلى خيامه.. ولو رغب الأمريكيون فى حل الصراع عام ١٩٦٧ أيضاً لأبعدوا إسرائيل عن المناطق قبل خوض مزيد من الحروب، بنفس السهولة التى فرضوا فيها على حكومة إسحاق رابين الأولى اتفاق الفصل الأول عام ١٩٧٥، ولكن السنوات مرت والأموات دفنوا والمعاقين قطعوا أميالاً كثيرة فوق مقاعدهم المتحركة، ورغم ذلك هاهى مشاريع السلام الأمريكية تواصل إنتاج الأمل، والولايات المتحدة لم تقم بإجلاء إسرائيل عن الأراضى الفلسطينية.

هنرى كيسنجر يتفاخر فى مذكراته حول الطريقة التى خدع بها أندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتى عندما اعتقد جروميكو أن مؤتمر جنيف بعد حرب ١٩٧٣ سيؤدى إلى حل شامل ومتفق عليه بين الدولتين الأعظم بما فى ذلك حول قضية فلسطين. وكيف نجح فى إعداد اتفاقيات الفصل بين مصر وإسرائيل على طريق السلام الجزئى من وراء ظهر السوفييت. إليكم مفتاح قراءة التاريخ فى المنطقة.

انسحابنا من المناطق (الفلسطينية) كان دائما الجزرة التى يشهرها الأمريكيون. وهناك أيضاً عصا تترافق مع هذه

الجزرة، وهذه العصا كانت طوال السنوات إسرائيلية كما ترغب نفوس النخبة الأمنية عندنا (جزء لا يتجزأ من قيادة الدولة منذ عام ٦٧). على سبيل المثال، ثم قصف العمق المصرى بلا رحمة بدون محكمة عدل عليا، وبدون بتسليم: قصفت مدن فوق رؤوس سكانها ومصانع وحتى مدرسة خلال ساعات الدراسة (المقصود مدرسة بحر البقر).. ولكن الطريقة فى النهاية أتت بثمارها: فخلال أقل من ثلاثين عاماً انتقل الشرق الأوسط كله بما فيه (م.ت.ف) ليجتاز انعطافة نحو الغرب باستثناء السوريين (الذين لم يحصلوا على أراضيهم فعليا بعد).

فى عام ١٩٦٧ عشية الاحتلال، كانت الولايات المتحدة فى نقطة الحضيض من حيث مكانتها فى المنطقة. الأنظمة العلمانية الثلاثة - مصر والعراق وسوريا - كانوا أقرب من أى وقت مضى للاتحاد السوفيتى، ولم يضمن أى طرف خارجى وجود النظامين الإقطاعيين فى الأردن وسوريا. الانعطافة بدأت مع الانتصار الإسرائيلى. اليوم أصبح الشرق الأوسط أكثر فقراً وأكثر ضعفا وأكثر عصبية وتزمتاً، وإسرائيل استنفدت دورها على ما يبدو. حقيقة إنها شخصت نفسها كحليفة وليس كعصا، وحقيقة أن الأحاديث حول الانسحاب بدت دائما مثل القرار الذى يتوجب الالتزام به أو لا يتوجب، هما جزء من مأساتنا والتى لم تعتبر مصلحة لنا فى نظر الأغلبية (ومن ضمنها العودة إلى حدود يونيو ١٩٦٧ ودولة فلسطينية مستقلة إلى جانب إسرائيل) بدون صلة بالسياسات الأمريكية التى لم ترغب طوال سنوات كثيرة فى دولة فلسطينية بالمرة، ولذلك لم تعارض المستعمرات بصورة حقيقية.

الآن يبدو وكأن معسكر السلام المنكمش ينتظر قائد المخفر مرة أخرى.. فإن كان باراك أوباما ينوى بالفعل حل الصراع فقد آن أوان الجزرة الكبيرة. خطاب بنيامين نتنياهو تلعثم من شدة فصاحته وتصبب عرقا من شدة جفافه. يبدو وكأنه ينتظر اللحظة التى تزداد فيها قوة اليمين المتدين بقيادة نيوت جنجريتش (رئيس مجلس النواب الأمريكى السابق) وسارة بايلين (المرشحة الجمهورية لمنصب نائب الرئيس الأمريكى فى الانتخابات الأخيرة) و«صناعات الساحل الغربى» فى خضم ائتلاف المصالح الأمريكية، وتلك الأطراف التى تعتبر الرابح الأكبر من «العلاقات المتميزة» مع إسرائيل (مثل نخبتنا العسكرية التى تعيش فى جنة عدن المجانين منذ عام ١٩٦٧).

آلة الحرب الإسرائيلية فعلت فعلتها على ما يبدو، وإن كان بإمكانها أن تتراجع الآن إلى الوراء. منذ حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ ألمحوا لها بالإبقاء على آلتها العسكرية الضخمة من أجل مهمات الشرطة فى المدن والقرى فى المناطق (الفلسطينية)، ولكنها حولتنا خلال عشرات السنين إلى شعب يعيش على حد سيفه مخدرا، وكأن قوته ليست محدودة حمت بناء منظومة المستعمرات التى لا تعدو كونها دولة أبارتهايد وتفرقة عنصرية.

لن يخرجنا أحد من عقدتنا إن لم نفعل ذلك بأنفسنا، وهذه مسألة تحتاج استعداداً للتصادم، خصوصا مع عدم بناء إجماع وطنى حول مسألة «الكتل الاستيطانية الكبيرة».

حسناً قالها

بقلم: شاؤول آريئيلى (*)
هاآرتس ١٦/ ٦/ ٢٠٠٩

خطاب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو أظهر مرة أخرى أن أحزاب اليمين فى إسرائيل لا تمتلك بديلاً لحل الدولتين لشعبين. تكتل اليمين يحافظ على نفسه فقط حول رفض الفكرة، ويتلاشى دفعة واحدة عندما يطلب منه طرح بديله السياسى لضمان المصالح الإسرائيلية.

التصريحات حول الحاجة لحسم فكرة الدولتين تبدلت بمعارك حاشدة لمنع تطبيقها. فى عام ١٩٩٣ سعى آريئيل شارون للقول بأنه إن عاد الليكود للحكم فسيلغى اتفاقيات أوسلو، ونتنياهو صرح بأن خطة الحكم الذاتى تحت السيطرة الإسرائيلية هى البديل الوحيد. التصريحات تبدلت بسرعة وحلت محلها أحاديث حول «دولة فلسطينية» و«دولة فلسطينية منزوعة السلاح» على التوالى.

كان من الواضح لنتنياهو ومن سبقوه أن تكتل اليمين جاهز فى خدمتهم من أجل الوصول إلى رئاسة الوزراء. وما أن أخذوا مواقعهم فوق ذلك المنصب لم يكن بإمكانهم أن يتبنوا أى موقف من مواقف اليمين التى تمس بالفكرة الصهيونية القائمة على الدولة اليهودية الديموقراطية.

أنصار البيت اليهودى والاتحاد القومى يعتبرون السيادة على أرض إسرائيل كلها شرطا لهوية شعب إسرائيل ومستقبله. موقفهم يملى حل الدولة الواحدة، ولكن طابع هذه الدولة ونظامها مسألة خلافية فيما بينهم. بعضهم يدركون أن الاستمرار فى السيطرة على شعب مجرد من الحقوق ليس جيداً لإسرائيل ويوافقون على إعطاء هذا الشعب حقوقاً مدنية، إلا أن النتيجة واضحة فى هذه الحالة - فقدان الأغلبية اليهودية،

وإزالة تعريف إسرائيل كدولة للشعب اليهودى. لا يمكن قيام دولة ثنائية القومية لأن هذا الجمهور يعتقد أننا قد غمرنا من الله بوراثة أرض إسرائيل، وأن طريقة القيام بذلك تتسنى من خلال تجريدها من ساكنيها؛ أى الاحتكاك المتواصل الذى يؤدى إلى مصادمات قومية واجتماعية عنيفة تؤدى إلى زوال الدولة وانفراطها.

أتباع الليكود يعلنون رفضهم للدولة الفلسطينية مدعين أن «الجدار الفولاذي» لم يحسم بعد موقف الفلسطينيين، وأن من الواجب تجنب عقد تسوية إلى أن يتم زوال تطلعهم لإبادة إسرائيل. ولكن الخطوات التى أقدموا عليها من أجل ذلك أدت فقط إلى توسيع الشقوق فى «الجدار الفولاذي»، وفى مكانة إسرائيل، بدءاً بإيقاف المفاوضات ومروراً بتدمير السلطة الفلسطينية وفك الارتباط ومسار الجدار الفاصل الجامح وانتهاءً برفض مبادرة الجامعة العربية. هذه الخطوات ساعدت حماس على الفوز فى الانتخابات والسيطرة على قطاع غزة، ودفعت إسرائيل للخروج فى عمليات عسكرية، وعززت من قوة جبهة الرفض فى العالم العربى.

خطاب الانسحاب والمماطلة الذى ألقاه نتنياهو أوصله إلى الاتساق مع مواقف شاس وإسرائيل بيتنا. هذان الحزبان يقبلان بفكرة الدولتين، إلا أنهما يسعيان لعرقلتها من خلال فرض شروط تحولها إلى فكرة هزيلة سخيفة. نتنياهو أيضاً مستعد من خلال خطابه بالشروع فى مفاوضات فورية حول السلام بدون شروط مسبقة، إلا أنه يطلب اعترافا فلسطينيا بإسرائيل كدولة للشعب اليهودى، وموافقة على دولة منزوعة السلاح، وشطب قضية اللاجئين من جدول أعمال المفاوضات، والإبقاء على القدس الموحدة تحت السيادة الإسرائيلية.. كل هذا قبل بدء المفاوضات.

نتنياهو يضم التصادم مع إدارة أوباما إلى سلة الأثمان التى ستدفع فى معركته الحاشدة التى اختار شنها على ظهر الجمهور الإسرائيلى وخلافا لموقفه. الاستطلاع الذى أجراه مركز أبحاث الأمن القومى أظهر أن ٦٤ فى المائة من الجمهور يؤيدون فكرة الدولتين للشعبين، وأن ١٧ فى المائة فقط مستعدون لتوسيع المستعمرات حتى لو ترتبت على ذلك مجابهة مع الولايات المتحدة، هذا بينما أيّد ٧٧ فى المائة فرض قانون الإخلاء - الانسحاب.

على الجمهور أن يطالب نتنياهو الآن بالتوقف عن سكب مليارات الشواكل على مشاريع عقيمة، واستئناف المفاوضات غير المشروطة فوراً، وتبنى مبادرة السلام الإقليمية، وطرح خطة إسرائيلية تترجم هذه المبادرة إلى نتيجة صهيونية تتمثل فى دولة يهودية وديموقراطية تعيش إلى جانب الدولة الفلسطينية.

(*) كاتب المقال عضو إدارة مجلس السلام والأمن، ومن المبادرين بتفاهمات جنيف.

منطقة صناعية، وليس دولة

بقلم: درور مشعاني
معاريف ٢١/٦/٢٠٠٩

من الصعب أن نقول ماذا كان أكثر إخافة، الخطاب الذى ألقاه رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو يوم الأحد الماضى فى بار إيلان أم رد الفعل الجماهيرى على ما قاله؟ ومهما يكن من أمر، فقد كشف الخطاب وردود الفعل عليه كم آخذة فى الابتعاد إمكانية إنهاء الاحتلال والعيش بسلام مع الفلسطينيين، مثلما كتب بأسى الكاتب دافيد جروسمان.

من أجل إنهاء نزاع عنيف استمر لعشرات السنين مطلوب ليس فقط «إصرار على حقوقنا»، بل بالأساس قدرة على الاعتراف بحقوق الطرف الآخر.. والحقيقة أنه لم يكن فى خطاب بار إيلان حتى ولو لحظة واحدة الاعتراف بالمعاناة التى لحقت بالشعب الفلسطينى، على يد إسرائيل ويد دول وأنظمة أخرى فى المنطقة. فقد قال نتنياهو أن «جذر النزاع كان ولا يزال رفض الاعتراف بحق الشعب اليهودى بدولة خاصة به». وهذا كلام منقوص وغير صحيح.. ففى عالم رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، وفى عالم معظم الإسرائيليين لا يوجد على الإطلاق شيء يسمى «حق الشعب الفلسطيني». لليهود يوجد حقوق تاريخية على أرض إسرائيل. قال نتنياهو، أما الفلسطينيون فقط يعيشون هنا دون حقوق - كغزاة أو كمتنقلين - وكأنهم علقوا فى أرض إسرائيل بالصدفة، بحكم حادثة تاريخية ما.

من المهم التشديد أيضاً على أن نتنياهو لم يعرض على الفلسطينيين «دولة فلسطينية»، أو على الأقل دولة يمكن أن يقبلوها، لأن التحفظات التى وضعها رئيس الوزراء على عرضه تفرغ مفهوم الدولة من معناه. فدولة لا تسيطر على حدودها، ولا على مجالها الجوى، وليست ذات سيادة على إدارة العلاقات الدولية واتخاذ قرارات استراتيجية - ليست دولة بل منطقة صناعية.

رد الفعل الجماهيرى الحماسى على الخطاب - التأييد فى

الاستطلاعات وثناء المحللين - أوضح كم كان رد فعل كاذباً. فلا أحد يفكر فى أن أقوال نتنياهو أجبرت الفلسطينيين على أن يقولوا «لا»، ولكن إذا كانت هذه الـ«لا» تحدث فى إسرائيل رضاءً كبيراً بهذا القدر، فلعله ينبغى إعادة التفكير فيما قاله نتنياهو فى بداية خطابه، والذى جاء فيه «السلام كان دوماً أمنية روح شعبنا». فإذا دمجنا الـ"لا" مع "أمنية روح شعبنا"، فسيتبين أن الأمنية هى ضرب الفلسطينيين دون أن يشعر العالم.

صباح الخير يا نتنياهو

بقلم: إلداد يانيف
هاآرتس ٢١/٦/٢٠٠٩

بعد ١٥ عاما من قوله فى كتابه «مكان تحت الشمس» بأن الدولة الفلسطينية هى خطر على الصهيونية، استطاع باراك أوباما أن ينتزع اعترافا قانونيا من بنيامين نتنياهو بالدولة الفلسطينية.

ويبدو أن الزعيم اليمينى الكبير الذى ما انفك يؤمن بأرض إسرائيل الكاملة، استوعب الحقيقة بأن أوباما ليس طفلا، وأن تسيبى ليفنى ليست فارغة من المضمون، وأن هذا هو الواقع الملموس الذى يرونه من هنا: أرض إسرائيل الكاملة ستبقى لنا للأبد فى الصلوات والأحلام. تماما مثل صفد والشيخ مؤنس بالنسبة للفلسطينيين، ولكن نصيب نتنياهو فى صناعة التاريخ انتهى بهذه الملاحظة الهامشية، لأن صنع السلام يحتاج أن يكون الشخص مجبولا من الطينة التى جُبِّل منها مناحم بيجين وأنور السادات.

وما هى طينة نتنياهو..؟ يسرائيل بخار وحده مستشار رئيس الوزراء للأبحاث واستطلاعات الرأى يعرف مدى الجهد الذى بُذل فى الأسابيع الأخيرة لقراءة نتائج الاستطلاعات لنتنياهو، والتى تشير إلى أن «الخطاب التاريخى» سيتطابق تماما مع مزاج الجمهور، وإن كان تقديرى أن الأمر لن يتطلب مرور أكثر من فترة رئاسية أو اثنتين حتى ينهض قائد إسرائيلى ليقول الحقيقة دون أن يتحقق أولاً من اتجاه الريح كما يفعل نتنياهو الآن.. تلك الحقيقة التى خلاصتها: المصلحة الإسرائيلية العليا تتمثل فى استكمال تقسيم البلاد وتحديد حدود الدولة حتى لا نتحول إلى جنوب إفريقيا ولا نفقد أغلبيتنا اليهودية.. وإذا كانت رسالة المستعمرين وعملهم الريادى وصلا إلى نهايتهما، فقد آن الآوان أن نقول لهم شكرا لكم أحسنتم صنعا والآن عليكم أن تعودوا إلى البيت بسلام.

إن رغب الفلسطينيون أخذوا وإن لم يرغبوا فإن الجيش الإسرائيلى سيحتفظ بمناطق يهودا والسامرة إلى أن يضمن العالم أمننا ويستلمها منه واضعا إياها تحت وصايته. الخط الذى رسم بخط قلم رصاص أخضر فى مداولات اتفاقيات الهدنة فى رودس عام ١٩٤٩ مضافا إليه الكتل الكبيرة، سيكون حدود إسرائيل شبه النهائية إلى أن يتم التوقيع على اتفاقيات إنهاء الصراع. اللاجئون يعودون إلى أرض إسرائيل الانتدابية التى ستسلم لسيطرة الفلسطينيين، والقدس المقدسة ستصبح دولية. أما كل ما تبقى فهو إجراءات وتبادل للأراضى وترتيبات أمنية وقد وافق عليها الجانبان منذ مدة طويلة.

إلى أن يأتى السلام أو يعود المسيح أيهما أسبق، ستنكمش إسرائيل فى حجم طبيعى سيكون أكبر بأربع مرات ونصف المرة عن حجمها الوارد فى تقرير لجنة بيل، ومرة ونصف المرة أكبر من حجمها فى قرار التقسيم.. باختصار هذا يعنى أننا قمنا بتجارة لا بأس بها.. وحينئذ ستبدأ إسرائيل ضمن حجمها الطبيعى بإعادة بناء نفسها كمجتمع نموذجى.

ذات مرة راهنا على أن نكون نورا للغرباء. والآن يكفينا أن نكون على الأقل ضوءا لأنفسنا. المائة مليار شيكل التى أحرقناها فى المناطق (الفلسطينية) ستوجه فى العقود القادمة لتحويل الجليل إلى توسكانا (*) والنقب إلى ما حلم به بن جوريون دائما. سنعود للفوز مرة أخرى فى أوليمبياد الرياضيات وربما نصعد أخيرا إلى المونديال مرة أخرى.

هناك نوع من العدالة فى قيام الشخص الذى وقف على شرفة ميدان صهيون قبل عقد ونصف العقد بالوقوف مرة أخرى الآن على شرفات بار إيلان على مسافة قصيرة من مكان سجن يجآل عامير للاعتراف بأنه أخطأ.

ولذلك، يتوجب ضبط النفس، ولنقل له صباح الخير يا نتنياهو وبالأساس: صباح الخير يا إسرائيل، لأن الضوء فى النفق الذى مازال بعيدا جدا قد بدأ يشقشق - إن بذلنا جهدا حقيقيا لرؤيته.

(*) توسكانا هو أحد الأقاليم العشرين المكونة للتراب الإيطالى.. يقع فى شمال وسط البلاد ويعد أحد أهمها من ناحية الموروث الفنى والثقافى والتاريخى، فضلا عن كونها مهد إعادة إحياء اللغة الإيطالية.

◆ ترجمات عبرية ◆

٢

خطاب أوباما للعالم الإسلامي

خطاب أوباما فى القاهرة - فرصة لماذا..؟

بقلم: نتاشا موزجوفيا
هاآرتس ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٩

يصور كثير من المحللين والباحثين والساسة فى واشنطن والعالم الخطاب الذى سيلقيه الرئيس الأمريكي، باراك أوباما، يوم الخميس المقبل فى القاهرة، على أنه «فرصة تاريخية»، ولكن فرصة لأى شئ بالتحديد..؟ فى هذه النقطة الآراء مختلفة. فمن ناحية، يقف أنصار «خطة السلام الملموسة»، ومن الناحية الأخرى يقف أنصار «خطاب منح الاحترام للعالم العربي». ويُبدى المحافظون تخاوف من أن يكون هذا الخطاب استمرارا «لحملة اعتذارات أوباما فى أوروبا»، كما سماها خصوم الرئيس.

التوقعات كبيرة والمطالب متناقضة: فالعالم الإسلامى أكثر تنوعا من أن يحاول المرء نقل رسالة واحدة له. ومن ناحية أخرى، يطالب ممثلو الدول العربية فى هذه المرحلة برؤية أمر فعلى من ناحية أوباما، يتعدى الأقوال.

قبيل زيارة أوباما للقاهرة، نشرت صحيفة «واشنطن بوست» تقريرا قابلت فيه مجموعة من الناشطين والمحللين والخبراء السياسيين، وسألتهم عما ينبغى للرئيس الأمريكي، باراك أوباما، أن يقوله للعالم الإسلامى فى خطابه أثناء زيارته للقاهرة. أحدهم كان الكاتب والباحث ديفيد ماكوفسكي، من معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، والذى قال إنه يأمل أن يطلب أوباما «من المجتمعات العربية والإسلامية فحص أنفسها من الداخل»، وذلك لأنه كثيرا ما استغلت الأنظمة العربية النزاع الإسرائيلي- الفلسطينى لتحقيق أغراض سياسية داخلية. وأضاف: «أتمنى أن تقابل كل خطوة تتخذها إسرائيل تجاه الفلسطينيين بخطوة من العالم العربى تساعد على دمج إسرائيل فى الشرق الأوسط».

ويقول ديفيد بولوك، الباحث فى معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، إنه مع كل التقدير لمبادئ «الاحترام المتبادل»، إلا أن المصالح المشتركة دائما ما كان لها تأثير كبير على علاقات الولايات المتحدة بالعالم العربى.

من جانبه، قال دانيال بليتكا، نائب رئيس الدراسات الخارجية والدفاعية فى المعهد الدولى الأمريكي: «من الخطأ الإصرار على النظر إلى واحدة من أكثر الجماعات البشرية تنوعا (العالم الإسلامي) على أنها قماشة واحدة». واختتم بقوله إن الأنظمة التى يحاول أوباما إقناعها بأن تتغير - من إيران وحتى سوريا - «هى المشكلة وليست الحل».

أما ستيفن كوك، الباحث الكبير فى مجلس العلاقات الدولية، فيقول إن خطاب أوباما يمكن أن ينجح، إذا ما اعترف الرئيس «بشرعية المطالب الفلسطينية لإقامة دولة».

* «على أوباما مخاطبة الشباب العربي»:

نقلت «واشنطن بوست» أيضا عن داوود كتاب، الصحفى الفلسطينى وأستاذ الصحافة السابق بجامعة برنستون الأمريكية، الذى قال إن «المسألة الفلسطينية باتت تمثل اختباراً حقيقياً للسياسة الخارجية الأمريكية لأنها كشفت نفاق واشنطن فى معاييرها المزدوجة وانحيازها لصالح إسرائيل؛ ولمحاولتها دفع فكرة الديموقراطية بينما ترفض الاعتراف بنتائج الانتخابات الفلسطينية؛ ولصمتها إزاء

الملف النووى الإسرائيلي». وبحسب قوله، يتعين على أوباما أن «يجد طريقة للاعتذار عن الماضى وإقناع الناس بأنه عازم على تغيير الطريق».

أما الباحثة، تمارا كوفمان وايتس، من معهد بروكينجز التابع لمركز سابان لسياسات الشرق الأوسط، فترى أن قوة خطاب أوباما تنبع من قدرته على توفير بديل إيجابى للتطرف الإسلامى الذى نشأ لمقاومة الركود والمعاناة فى كثير من المجتمعات الإسلامية والعربية». وتضيف أن الخطاب يجب أن يركز على الشباب، مع رسالة واضحة بأنه فى مقدروهم صياغة مستقبل أفضل.

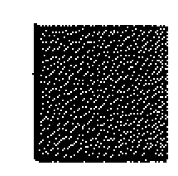
وأكد سفير الولايات المتحدة السابق لدى إسرائيل، مارتن إنديك، على التنوع والتعددية التى تميز العالم الإسلامى، وكذلك أيضا ضرورة نقل رسالة مفادها أن الولايات المتحدة تنوى التعامل مع الدول العربية باحترام وندية، إضافة إلى التزامها بحل النزاع الإسرائيلي - الفلسطينى.

❋ «على الفلسطينيين والعرب أن يضطلعوا بدورهم»:

يقول أرون ديفيد ميلر، السفير الأمريكى السابق لدى الأردن، وعضو سابق فى طاقم المفاوضات التابع للخارجية الأمريكية، إنه يجب على أوباما التركيز على خطة إحلال السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، بدلا من «إلقاء خطاب آخر عن الاحترام». وأضاف أنه يتعين على أوباما أن يطالب الأنظمة العربية «بوقف الدعاية المعادية للسامية، والمعادية لإسرائيل برعاية الدولة»، والشروع فى التحاور مع إسرائيل الآن بدلا من استخدام النزاع كذريعة لعدم معالجة قضايا شعوبهم. وبالنسبة لإسرائيل، قال ميلر إنه يجب على أوباما أن يوضح لها أن أمنها واستمرارها كدولة يهودية لا يتفقان مع احتفاظها بالضفة الغربية».

ومن ناحية أخرى، جاء فى مقال نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» يوم الجمعة الماضى إنه بعد ثمانى سنوات من شكوى الفلسطينيين والعرب من عدم استعداد الرئيس جورج بوش للتدخل فى الشرق الأوسط، يأتى الآن رئيس لديه استعداد واضح لفعل ذلك، وأن عليهم أن يضطلعوا بدورهم. فالقادة العرب، بحسب المقال، يستطيعون المساعدة فى ممارسة الضغوط على نتنياهو من أجل السلام، وذلك عن طريق خطوات رمزية، مثل «فتح مكاتب تمثيل تجارى فى تل أبيب، وعقد لقاءات علنية مع مسئولين إسرائيليين».

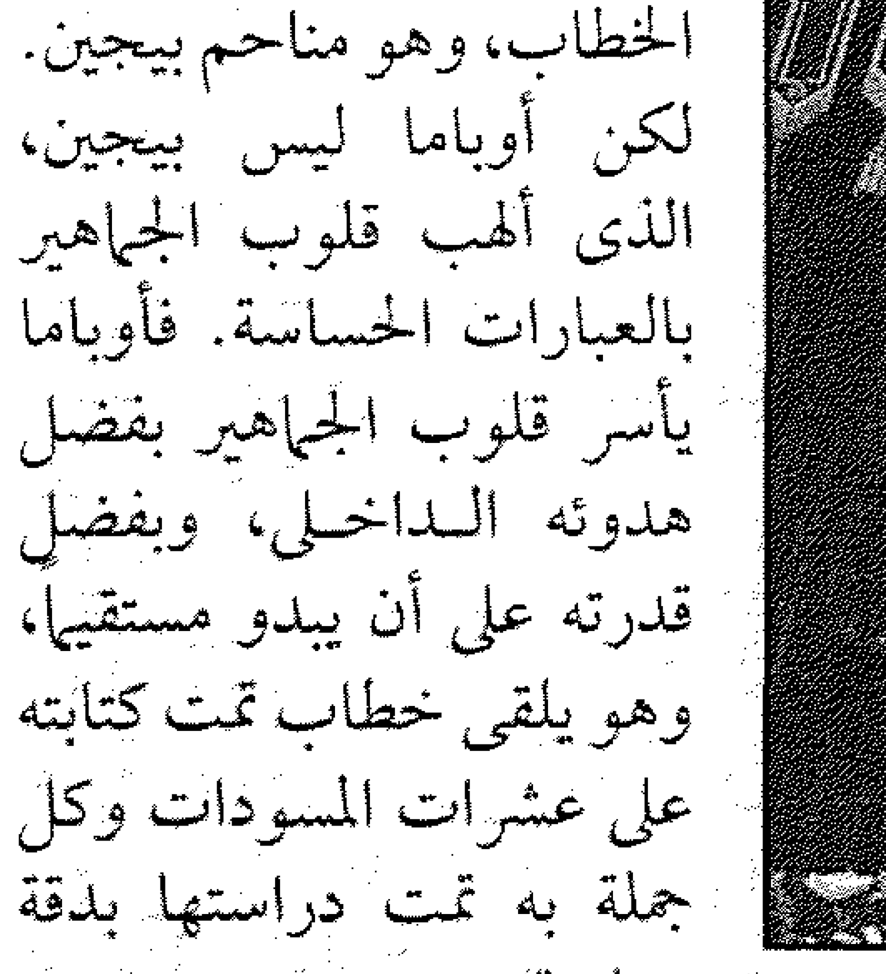
خطاب أجبر العرب على الإنصات وإسرائيل على سد الآذان

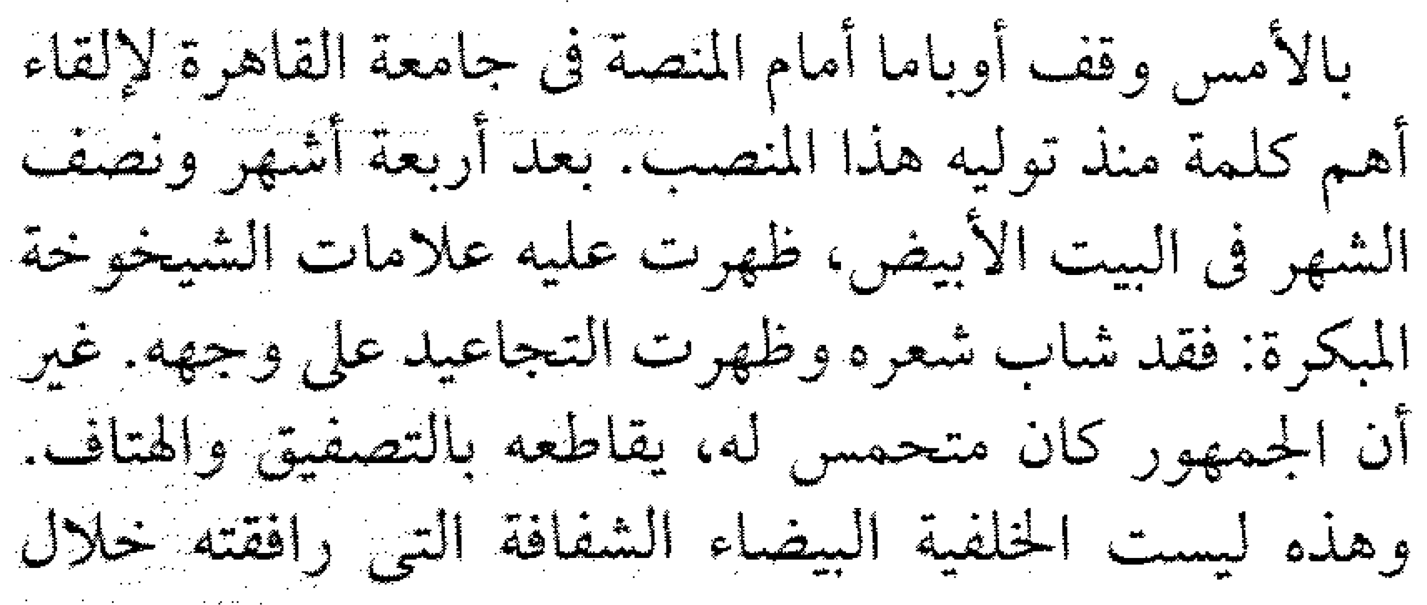


بقلم: ألوف بن
هاآرتس ٦/٦/٢٠٠٩

هناك رؤساء أمريكيون كانوا يعتبرون أنفسهم رسل الرب فى الأرض. وكان هناك رؤساء أمريكيون حاربوا فى ميدان المعركة لحساب الدول العظمى. وكان هناك رؤساء أمريكيون نشأوا داخل المعترك السياسى وأمسكوا بتلابيب الكونجرس.. ولكن باراك أوباما رئيس مختلف: يثق فى قدرته على الإقناع إذا منحوه الفرصة لاعتلاء المنبر. اسمحوا له بالحديث أمام الجمهور، أمام كل الجماهير، وسوف يسوق لهم أمريكا جديدة، صديقة ومكترثة. لقد أثبت صعود أوباما الرائع للرئاسة وشعبيته الكبيرة منذ ذلك الحين أن هناك شئ ما يتعلق بثقته الذاتية.

كان هناك زعيم إسرائيلى واحد صعد للقمة وتحكم فى الخطاب، وهو مناحم بيجين. لكن أوباما ليس بيجين، الذى ألهب قلوب الجماهير بالعبارات الحساسة. فأوباما يأسر قلوب الجماهير بفضل هدوئه الداخلى، وبفضل قدرته على أن يبدو مستقيما، وهو يلقى خطاب تمت كتابته على عشرات المسودات وكل جملة به تمت دراستها بدقة متناهية.





بالأمس وقف أوباما أمام المنصة فى جامعة القاهرة لإلقاء أهم كلمة منذ توليه هذا المنصب. بعد أربعة أشهر ونصف الشهر فى البيت الأبيض، ظهرت عليه علامات الشيخوخة المبكرة: فقد شاب شعره وظهرت التجاعيد على وجهه. غير أن الجمهور كان متحمس له، يقاطعه بالتصفيق والهتاف. وهذه ليست الخلفية البيضاء الشفافة التى رافقته خلال

خطابه فى تركيا منذ شهرين تقريباً، وهو الخطاب الذى أثار اهتماماً أقل. فهذه المرة تم تهيئة الرأى العام العالمى مسبقاً لهذا الحدث باعتباره حدثاً تاريخياً، وللرسالة التى سينطوى عليها ومفادها أنه سيغير وجه العلاقة بين الولايات المتحدة والإسلام بصورة جذرية.

لقد أدى أوباما المهمة البلاغية التى تحملها على عاتقه: فهو لم يبد متملقاً أو منافقاً، عندما اعترف بالعرفان للثقافة الإسلامية وإنجازاتها، كما لم يبد كمن يعتذر، عندما تحدث عن خصام الماضى وضرورة فتح صفحة جديدة. وقد علق أوباما أخطاء سابقه، جورج بوش، على صدمة أحداث الحادى عشر من سبتمبر.

لم ينتظر أسامة بن لادن إلى ما بعد خطاب أوباما، فقبله نشر شريط فيديو يتهم فيه الرئيس الجديد «بنشر الكراهية والانتقام» على غرار سابقه، وأجاب أوباما عليه بكلمات لاذعة. غير أن الواقع يفيد بأن بن لادن انتصر. فقد نجح فيما أخفقت فيه الدبلوماسية: فقد أجبرت العمليات الإرهابية فى نيويورك وواشنطن، والحروب فى أفغانستان والعراق فيما بعد، الولايات المتحدة على القيام بحساب نفس بشأن علاقاتها مع الإسلام وتفهم حدود قوتها. وخلال فترة تقل عن ثمانى سنوات بعد ١١ سبتمبر، وفى البيت الأبيض يجلس رئيس نشأ وتربى فى دولة إسلامية، ويحاول إقناع المسلمين والعرب بأن الولايات المتحدة ليست عدواً، وإنما شريك شرعى فى مصالحهم وطموحاتهم.. رئيس حضر للقاهرة لضمان أن الولايات المتحدة بدءاً من الآن ستتصرف بصورة جيدة مع الإسلام، وأن الحملات الصليبية التى قام بها بوش ومحاولاته لإملاء سلوك ونظام حكم على العرب انتهت.

وترى إسرائيل أن خطاب أوباما بالقاهرة يمثل تحولاً استراتيجيا، ليس أكثر. ففى عهد بوش، كانت إسرائيل الشريك الصدوق فى الحرب على الإرهاب، وتمتعت بحرية العمل العسكرى ضد الفلسطينيين، وحزب الله وسوريا، مقابل إخلاء المستعمرات من غزة. ويرى أوباما أنه يجب إعادة تربية إسرائيل، وأنه يجب عليها إعادة اجتياز محك ولائها للمصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط. حتى الأمس، تطرق أوباما للصراع الإسرائيلى - العربى بعبارات المصالح وامتنع عن الحديث عن القيم والأخلاق. وفى القاهرة تبنى أوباما الثروة البلاغية ورواية اليسار الليبرالى الأمريكى، الذى ترعرع بين أحضانه. وقد تحدث بلا كلل عن «الاحتلال»، وعن «التطلعات الفلسطينية للعيش بكرامة، والحصول على الفرصة وإقامة دولة مستقلة»، وتعهد بألا تدير أمريكا ظهرها للفلسطينيين. ودعا حركة حماس «لإبداء مسئولية»، وللاعتراف بحق إسرائيل فى الوجود، ولم يصفها بأنها حركة إرهابية، وإنما بأنها حركة تحظى بتأييد شعبى.

وفى خطابه للفلسطينيين عرض أوباما عليهم إدارة نضالهم بلا عنف، وشبهه بنضال العبيد السود فى الولايات المتحدة للتحرر من الاستعباد الأبيض، وبنضال السود فى جنوب أفريقيا وشعوب أخرى فى جنوب آسيا وشرق أوروبا. هذا التشبيه ليس باليسير على مسامع الإسرائيليين: فأوباما يرى الفلسطينيين يديرون نضالاً عادلاً للتحرر القومى، الذى يُذكره بمقاومة الاستعمار والاستبداد السوفيتى، كما دعا العرب للاعتراف بتاريخ ملاحقة اليهود وأحداث النازية، وأن يتفهموا أن معاداة السامية العربية لا تؤدى إلا إلى زيادة وتيرة الصدمة الإسرائيلية - بالضبط مثلما يؤدى السلوك الإسرائيلى إلى زيادة حجم صدمة الفلسطينيين.

يدرك أوباما الحل: وهو إقامة دولة فلسطينية بجوار إسرائيل، وهو ليس على استعداد لسماع أى أفكار أخرى. وهو يطالب إسرائيل بالتوقف عن توسيع المستعمرات: «الولايات المتحدة لن تقبل بشرعية استمرار المستعمرات»، وهو ما وصفه بانتهاك الاتفاقات الموقعة وإفشال جهود السلام. بعد مثل هذه التصريحات، لا يمكن أن يوافق أوباما على مقولة «الزيادة الطبيعية» (يقصد توسيع المستعمرات لتسع الزيادة الطبيعية اليهودية) ولمناورات توسيع المستعمرات. والآن هذا هو محك مصداقيته، أقواله فى مواجهة الإصرار الإسرائيلى على البناء، وهو ما يعنى أنه إذا أبدى أوباما التسامح الذى تعهد به لحل الصراع، ستواجه إسرائيل أزمة سياسية وصدعاً داخلياً خطيراً.

يوجد بنيامين نتنياهو على الجانب السيئ من خطاب أوباما، برفضه لإقامة دولة فلسطينية وإصراره على الزيادة الطبيعية فى المستعمرات. ربما كان بمقدوره تقليل حجم الضرر، لو كان قد شكل ائتلافاً مع تسيبى ليفنى على «أساس دولتين لشعبين».. أو إذا كان قد أعلن فى البيت الأبيض أنه يتبنى خطة «خارطة الطريق». ولكن كل هذا غير مهم. سيضطر نتنياهو قريباً إلى إلقاء خطاب الرد على أوباما، وأن يعلن عن تحول تاريخى فى الأيديولوجية التى يؤمن بها وفى سياسته.. وحتى ذلك الحين، سيواصل تمنى حدوث معجزة، تمحى «خطاب القاهرة» من جدول الأعمال، وتغرقه فى رمال الدبلوماسية الشرق أوسطية.

معظم يهود الولايات المتحدة يؤيدون دبلوماسية أوباما ■

بقلم: نتاشا موزجوفيا
هاآرتس ٥/٦/٢٠٠٩

حظى خطاب الرئيس الأمريكى باراك أوباما حول «بداية جديدة» مع العالم الإسلامى بهتاف الجمهور الذى احتشد فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة، غير أن الخطاب قوبل فى الولايات المتحدة الأمريكية بردود فعل متباينة.. فقد انقسم الجمهور الأمريكى - الذى أصبح أكثر حساسية بسبب انتقادات العالم الإسلامى - إلى فريقين: أحدهما رأى فى خطاب أوباما إبداءً لضعف به تملق مبالغ فيه للإسلام. وانهالت تعليقات قراء هذا الفريق على مواقع الإنترنت، يطالبون أوباما «بعدم نسيان أحداث ١١ سبتمبر» زاعمين أن الخطاب كان «جيداً ولكنه بلا فائدة».. أما الفريق الآخر فإنه يؤيد السياسة الجديدة بحماسة شديدة.

تجدر الإشارة إلى أن التوقعات من الخطاب كانت ضعيفة: حيث كشف استطلاع الرأى الذى أجراه معهد «راسموسن» هذا الأسبوع، أن ٢٨٪ فقط من الأمريكيين يعتقدون أن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع العالم الإسلامى ستتحسن خلال العام القادم، فى حين يعتقد ٢١٪ أن العلاقات ستتدهور، ويعتقد ٤٥٪ أنها لن تتغير، فيما يسود التشاؤم أيضاً بشأن فرص السلام الإسرائيلي- الفلسطينى، الذى احتل مكاناً رئيسياً فى خطاب أوباما، حيث أفاد ٧٤٪ من الأمريكيين بأنهم لا يعتقدون أن سلاماً دائماً سيتحقق العام القادم، بينما يعتقد ٤٪ فقط غير ذلك، واكتفى ١٧٪ بمقولة «ربما»، ولكن هذا شيء غامض.

تركزت الأصوات المحافظة فى الولايات المتحدة على انتقاد الخطاب تحديداً. قال مات بروكس، مدير عام الائتلاف الجمهورى اليهودى أمس: «لقد فضّل الرئيس أوباما أن يكون خطابه بنغمة متوازنة، لاسيما فيما يتعلق بالنزاع الإسرائيلي- الفلسطينى، وهذا تحديداً ما يعيب خطابه. فالسياسة الأمريكية لا يجب أن تكون متوازنة، يجب أن تتماشى مع هؤلاء الذين يكافحون الإرهاب، وليس مع هؤلاء الذين يبحثون عن حوار معه أو أنهم أضعف من يكون لصده. فالنزاع لن ينتهى حتى يضع الفلسطينيون حداً للإرهاب والعنف والتحريض ضد إسرائيل. وأقوال الرئيس للعالم الإسلامى ترسم بداية لتغيير خطير فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية».

فى مقابل ذلك، لم تتوان المنظمات المحسوبة على تيار اليسار الليبرالى والديمقراطيون أعضاء مجلسى النواب، عن الإطراء على أوباما، حيث صرح رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى، السيناتور جون كيرى، أن «الخطاب كان ضروريا لأنه رسم بداية عصر جديد من التفاهم مع الجاليات المسلمة فى شتى أنحاء العالم».

كما صرح جيرمى بن عامى، مدير عام اللوبى اليسارى المؤيد لإسرائيل «جى ستريت (jstreet)» (*): «لقد كان كلام الرئيس الأمريكى واضحاً. لقد قال إنه يجب على الفلسطينيين نبذ العنف وقبول وجود إسرائيل، وإنه يتعين على إسرائيل وقف أعمال البناء فى المستعمرات والتوقف عن إهانة وإذلال الفلسطينيين، كما أنه يتعين على العالم العربى أن يلعب دوراً أكثر فاعلية».

أضاف الحاخام ديفيد سبرستين، رئيس الحركة الإصلاحية فى الولايات المتحدة الأمريكية قائلاً: «إن إدانة الرئيس الأمريكى لإنكار النكبة النازية على وجه الخصوص أمر محمود... فشرعية إسرائيل تقوم على مئات السنين من الاضطهاد والهولوكوست. ونحن نشيد بجهود الرئيس أوباما من أجل بناء جسور بين الأديان، وسنستمر فى التواصل معه فى تلك الجهود. لقد حان الوقت لكى تقبل حكومة إسرائيل مبدأ إقامة الدولة الفلسطينية... ويجب أن يدرك الرئيس أوباما أن معظم اليهود الأمريكيين يؤيدون دبلوماسيته المباشرة».

*** وزارة الخارجية الأمريكية: الرئيس خاطر فى الداخل أيضاً**

يلمح المسئولون بوزارة الخارجية الأمريكية إلى أنه الآن، بعد خطاب القاهرة وبعد بضعة أسابيع سادها التوتر الشديد بين القدس وواشنطن، من المتوقع أن يهدأ الضغط الذى يُمارس على إسرائيل إلى حد ما ولو على الصعيد الجماهيرى فقط. وكان مسئول كبير بوزارة الخارجية الأمريكية قد صرح فى حديث لصحيفة «هاآرتس» قائلاً: «من الواضح أن القضية العربية - الإسرائيلية ستظل محل اهتمام الجمهور، ولكن بعد الخطاب، فإن العمل سيعود إلى القنوات الدبلوماسية الأكثر سرية، التى سيتركز عملها على التفاصيل الواقعية، وهذا بالطبع، سيدار بشكل أكثر هدوءاً.. جديرٌ بالذكر أن الرئيس لم يعرض فى خطابه تفاصيل، ولكنه أوجد عدداً من التوقعات قبل الوصول إلى طاولة المفاوضات. كان من المهم بالنسبة للرئيس أن يرسم إطاراً للمحادثات، ومناخاً مناسباً، لأنه بعد ٨ سنوات من الجمود لا يوجد زعيم عربى يريد المخاطرة بأخذ زمام المبادرة. غير أن الرئيس الأمريكى خاطر بنفسه أيضاً على الصعيد الداخلى، لأنه بدون ذلك لا يمكن تغيير

قاموس مصطلحات ورواية العلاقات الباقية منذ عهد بوش. لقد حاول الرئيس أن يفرق بصورة واضحة جداً بين الإسلام وقضايا الواقع».

(*) جى ستريت - (J Street): منظمة تعرف نفسها على أنها "الذراع السياسية للحركة المؤيدة لإسرائيل وللسلام». تأسست «للدعوة إلى قيادة أمريكية متفهمة لإنهاء الصراع العربي- الإسرائيلى والصراع الفلسطيني- الإسرائيلى بسلام ودبلوماسية، وهى تدعم اتجاهاً جديداً للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط (www.jstreet.org).

إنها بداية النهاية للعلاقات الإستراتجية

المصدر: www.debka.co.il
٢٠٠٩/٦/٨
بقلم: هيئة تحرير الموقع

رغم خطاب الرئيس الأمريكى باراك أوباما فى القاهرة، والذى جاء فيه أن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل غير قابلة للانهيار، فقد شكل هذا الخطاب بداية النهاية للعلاقات الاستراتيجية الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وإقامة محور ثلاثى جديد فى الشرق الأوسط مكون من واشنطن والرياض والقاهرة.

وتشير المصادر الشرق أوسطية التابعة لموقع ديبكا أن الرئيس الأمريكى ذكر أن الولايات المتحدة ستتعاون فقط مع الأطراف المعنية بدفع السلام، وذلك بعد حديثه عن واجب إسرائيل، والفلسطينيين بتنفيذ الالتزامات التى وافقوا عليها فى إطار خطة خارطة الطريق. بعبارة أخرى، فإن واشنطن لن تتعاون مجدداً مع من لا يرغب فى دفع مسيرة السلام.

بعدما وصف معاناة الشعب اليهودى خلال أحداث النازية، ومعاناة الفلسطينيين خلال الستين عاما الماضية، أكد أوباما أنه يجب على الفلسطينيين وقف العنف، بما فى ذلك إطلاق الصواريخ على الأطفال وهم نائمون، وتفجير الحافلات. وأضاف الرئيس أنه يجب على الفلسطينيين الآن التفكير فى بداية بناء دولتهم.

وقد دعا الرئيس الأمريكى إسرائيل لتوفير ظروف معيشية إنسانية للفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة، وتنفيذ التزاماتها التى تعهدت بها فى إطار خطة خارطة الطريق.

فى مستهل خطابه استطلع الرئيس الصدام الذى حدث بين الولايات المتحدة وتنظيم القاعدة بعد أحداث ١١ سبتمبر فى نيويورك وواشنطن. وقد ذكر الرئيس أن العلاقات بين الولايات المتحدة والإسلام يجب أن تكون قائمة على ماهية الإسلام وليس على الظاهر الذى لا يمت له بصلة.

وقد خصص الرئيس جزءاً كبيراً من خطابه لدور الجالية الإسلامية فى الولايات المتحدة، التى يبلغ تعدادها ٧ ملايين نسمة، فى الحياة اليومية هناك، مؤكداً أن الإسلام جزء من أمريكا.

وفيما يتعلق باستمرار الحرب فى أفغانستان وباكستان، قال الرئيس إن هذه ليست حرب ضد الإسلام، وإنما حرب ضد المتطرفين الذين يخالفون أوامر القرآن التى تنص على أن "من قتل نفساً بغير حق كأنما قتل الناس جميعاً".

أما بخصوص العراق، فقد كرر الرئيس التزامه بسحب كل القوات الأمريكية منها حتى نهاية ٢٠١٢، أى فى غضون ما يزيد على عامين.

وفى ختام خطابه ركز أوباما على ضرورة تطبيق الديموقراطية والتربية فى الدول الإسلامية، وهما المحوران الرئيسيان للتعاون بينها وبين الولايات المتحدة.

وتشير المصادر الشرق أوسطية التابعة لموقع ديبكا إلى أن الجزء العملى من زيارة الرئيس الأمريكى الحالية للشرق الأوسط هو إقامة محور استراتيجى جديد يضم واشنطن والرياض والقاهرة، وهو ما يختفى وراء كلمات وتعبيرات أوباما.

هذه هى أول مرة فى تاريخ هذه الدول الثلاث التى تشهد مثل هذا التحالف، بحيث يكون الأساس المشترك الذى يقوم عليه هو كبح جماح الإسلام المتطرف، وتنظيم القاعدة،

وطالبان، والتنظيمات الإرهابية الإسلامية المتطرفة الأخرى، وكبح إيران التى تتسلح بأسلحة نووية. وقد كان هذا هو الذى دفع أوباما لتخصيص عدة عبارات للمشكلة النووية الإيرانية، وذكر فيها أنه بينما يحق لإيران امتلاك برنامج نووى مدني، فإنه يجب عليها وقف سباق التسلح النووي.

وترى مصادر الموقع أن هذا تحول استراتيجي من الدرجة الأولى بالنسبة لكل واحدة من هذه الدول الثلاث. وهذه الخطوة تعنى بالنسبة للولايات المتحدة انفصال تدريجى عن المحور الاستراتيجى مع إسرائيل، وسوف تنتهى تدريجيا العلاقات العسكرية والاستخباراتية الخاصة التى كانت قائمة فى الماضى بين واشنطن والقدس، حسب خطة الرئيس أوباما ومستشاريه للشئون الاستراتيجية. وبدلاً من أن تقوم واشنطن بتنسيق خطواتها العسكرية والاستخباراتية فى الشرق الأوسط والعالم الإسلامى مع إسرائيل، كما كان متبعاً حتى وقتنا هذا، ستقوم بتنسيقها مع الرياض والقاهرة، ثم إذا تطلب الأمر مع القدس حسب وجهة نظرها.

ويرى المخططون الأمريكيون أن مثل هذه الخطوة ستتيح للولايات المتحدة إدارة مفاوضات بحُرية مع إيران، دون أى عراقيل إسرائيلية، وفى الوقت نفسه مفاوضات موازية مع دول عربية وإسلامية، مثل سوريا على سبيل المثال، التى ستبذل الإدارة الأمريكية مجهودات مضنية لضمها لهذا المحور المعتدل الجديد.

قراءة فى مضمون خطاب أوباما للعالم الإسلامي

بقلم: د. عيران ليرمان
المصدر: www.omedia.co.il
٢٠٠٩/٦/٨

خطاب الرئيس الأمريكى، باراك حسين أوباما، فى الرابع من يونيو فى جامعة القاهرة، كان بمثابة وفاء بوعد قطعه على نفسه خلال حملته الانتخابية بمخاطبة العالم الإسلامى بأسره. وجاء اختياره للقاهرة اعترافا بالثقل السياسى والاستراتيجى لمصر، التى تتمتع بأهمية كبيرة فى الظروف الحالية حيث «استيقظ» نظام مبارك وبدأ يبادر بقيادة المعسكر المناوئ لإيران فى المنطقة، كما أن قرار الحديث أمام جمهور كبير من الطلاب (الذين صفقوا له المرة تلو الأخرى - حتى أثناء حديثه عن الديموقراطية)، كان بمثابة إشارة إلى رؤية أوباما الشخصية بأن رسائله، فى الولايات المتحدة وخارجها، تلقى آذان صاغية فى أوساط الجيل السياسى القادم.

بُنى الخطاب، بشكل معلن ومنهجى، كإطار مبرمج للحوار واسع النطاق مع «العالم الإسلامي» وشعوبه (تجدر الإشارة إلى أن أوباما حرص على الحديث عن «الدول ذات الأغلبية المسلمة»، وليس «الدول الإسلامية»). وقد تضمن هذا الخطاب عدة جوانب مزعجة، نذكر منها:

١- وصف أحادى الجانب، بشكل ملموس، لتاريخ العلاقات بين الغرب (الاستعماري) والإسلام.

٢- مبالغة زائدة فى الحديث عن مساهمات المسلمين لأمريكا، والأدهى من ذلك المبالغة فى تقدير أعداد المسلمين الأمريكيين (فى الواقع عددهم ليس ٧ ملايين كما ذكر، وإنما ثلث هذا الرقم بحسب الدراسة التى أعدها المجلس اليهودى الأمريكى «AJC" قبل بضع سنوات).

٣- من وجهة نظر إسرائيلية:

أ- الإشارة إلى وجود صلة ما (ولكن ليس من خلال مقارنة مباشرة!) بين معاناة الفلسطينيين والمحرقة النازية.

ب- الإشــارة إلى مشكلة اللاجئين وتشريد الشعب الفلسطينى منذ عام ١٩٤٨ بشكل قد يُفهم منه أنه تأييد لتطلعاتهم فيما يتعلق بمسألة "العودة" (حتى وإن كان لا يقصد ذلك فعلا).

ج- مطالبة حازمة بالاعتراف بمبدأ الدولتين (دون إشارة مباشرة إلى مصطلح "دولة يهودية")، وإنكار لشرعية المشروع الاستيطانى اليهودى، مع المطالبة بوقف البناء فى المستعمرات.

غير أن هذه الأمور فى الحقيقة لا تمثل وزنا مقارنة بالجوانب الإيجابية، بل والشجاعة التى جاءت فى خطابه، وفى مقدمتها - من وجهة نظر الإسرائيليين واليهود على حد سواء (حتى قبل أن يزور معسكر الاعتقال النازى فى بوخنفالد، وهى الزيارة التى ذكرها فى خطابه بالقاهرة) - إشارته الصريحة إلى المحرقة النازية فى الدولة التى يعد إنكار النكبة النازية فيها ظاهرة مألوفة فى وسائل الإعلام، بل وفى الأوساط الأكاديمية؛ واستنكار نكرانها ووصفه بأنه «عديم الأساس، وينم عن جهل وأمر مقيت»؛ وإدانة كل الصور النمطية المعادية للسامية؛ والأهم من كل ذلك الإقرار بأن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل غير قابلة للانفصام.

وهناك جوانب إيجابية أخرى لا تقل أهمية، وهي:

١- دعوة الدول العربية إلى أن تكون أفعالها مثل أقوالها والاعتراف علنا (كما يفعلون فى الغرف المغلقة) بأن وجود إسرائيل حقيقة لا تقبل التشكيك.

٢- إدانة الإرهاب والمتطرفين الواقفين وراءه - والذين

يجب التمييز بينهم وبين سائر الجمهور الإسلامى. وفى هذا السياق تطرق أوباما إلى اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر، وإلى أولئك «الذين يطلقون الصواريخ على الأطفال النائمين فى مضاجعهم (فى سديروت) أو يفجرون حافلة على متنها سيدات مسنات» قائلا إنهم بهذه الطريقة فقدوا مكانتهم الأخلاقية ولم يعززوها. ربما أن دعوته الفلسطينيين إلى تبنى نموذج جنوب أفريقيا واعتماد نهج الكفاح غير المسلح كانت غير مستساغة نوعا ما، حيث أن المشكلة تكمن فى أهداف الفلسطينيين وليس فقط وسائل تحقيق هذه الأهداف - إلا أن مجرد إدانته للقتلة (سواء استخدم كلمة إرهاب أم لا) أمام جمهور اعتاد رؤية هؤلاء القتلة كأبطال، يعد أمرا له قيمة رمزية كبيرة.

وبالنسبة لعملية التسوية - حيث كان هناك من اعتقد أن أوباما سيتخذ خلال خطابه خطا صريحا قد يصل إلى حل «فرض تسوية» - فقد جاءت أقوال أوباما فى نطاق الإجماع السائد فى أوساط اليهود الأمريكيين (وهو ما ينطبق أيضا على موقفه من مسألة مستقبل الاستيطان التى تعد محل خلاف):

١- تعهد بالتحلى بالصبر المطلوب، وهو ما يُفهم منه عدم التسرع فى فرض حل قسرى.

٢- عدم الإشارة من قريب أو بعيد إلى مسيرة أنابوليس (أى القفز إلى مفاوضات تفصيلية حول قضايا التسوية الدائمة)، وهو ما يُفهم منه أن هذه الأداة السياسية فقدت قيمتها، خلافا لخريطة الطريق.

٣- عدم وجود أى إشارة مباشرة - باستثناء الضرورة العامة لإنهاء «الاحتلال» - إلى مسألة خطوط الرابع من يونيو ١٩٦٧، رغم الإغراء الذى مثّله تاريخ الخطاب (الرابع من يونيو أيضا). ومع ذلك يجب الإشارة فى هذا الصدد إلى ما تلوّح به عناصر فى الإدارة الأمريكية من تخلى إدارة أوباما عن التزامها بخطاب بوش (١٤ أبريل ٢٠٠٤).

٤- وصف مثالى - متجاهل للسياسة - للوضع المستقبلى للقدس، يُفهم منه بوضوح أن المدينة لن تُقسم وأنه سيكون لليهود دور فيها.

٥- عدم وجود أى إشارة صريحة - باستثناء معاناة اللاجئين - لمسألة «حق العودة» بتفسيراتها المتنوعة.

٦- التأكيد على «الشروط الثلاثة» التى تضعها الولايات المتحدة (من خلال اللجنة الرباعية الدولية) أمام حماس.

وفيما يتعلق بخطاب أوباما بشأن قضايا أخرى، يجب التأكيد على الأمور التالية:

أ- بالنسبة لأفغانستان، الإدارة الأمريكية مصرة على مواصلة القتال.

ب- بالنسبة للعراق، حتى وإن وصفها بأنها «حرب اختيارية»، إلا أن الجداول الزمنية التى وضعها أوباما للانسحاب لا تختلف جوهريا عن تلك التى وضعها سلفه.

ج- فى الموضوع الإيرانى، اختار أوباما التأكيد على الخطر الكبير الذى يهدد العالم بأسره (بعيدا عن المصلحة الأمريكية، ودون أى إشارة إلى إسرائيل فى هذا الصدد) إذا ما انتُهكت مرة أخرى معاهدة حظر انتشار السلاح النووى (NPT)، بكل ما يترتب على ذلك من تبعات.

وبموازاة ذلك، ذكّر من جديد، كما فعل فى العاصمة التشيكية براغ، بضرورة السعى إلى "عالم خال من الأسلحة النووية"، وهو ما قد يكون رسالة موجهة إلى إسرائيل.

د- أما فيما يتعلق بالمسائل الأشمل والأعم والمتعلقة بالديموقراطية ومكانة المرأة وأوضاع الأقليات وما إلى ذلك، فقد اتخذ أوباما مواقف شجاعة تضمنت أيضا نقدا شبه صريح لمضيفيه (كوضع الأقباط على سبيل المثال)؛ وعرض رؤية لا تختلف فى جوهرها (تغيير ديموقراطى تدريجى بشراكة مع الولايات المتحدة) عن تلك التى تبناها المحافظون الجدد فى الإدارة السابقة - والذين رفضوا أيضا نظرية "صدام الحضارات" لهنتنجتون.

غير أن أوباما، وبسبب خلفيته الشخصية، لديه فرص أفضل بكثير من هؤلاء فى تسويق هذه الأمور عالميا؛ كما أن نهجه يستبعد المسيرات التى اعتمدت على مبدأ «الانتخابات أولا» (من العراق وحتى غزة)، ويسعى إلى أن يُرسى تدريجيا أسس البناء لمجتمع مدنى حر وحقوق الإنسان فيه، بمساعدة الولايات المتحدة والغرب والقوى الليبرالية فى العالم الإسلامى، وذلك لترجمة هذه الأمور إلى أجندة سياسية جديدة.

◆ ترجمات عبرية ◆



إسرائيل - إيران

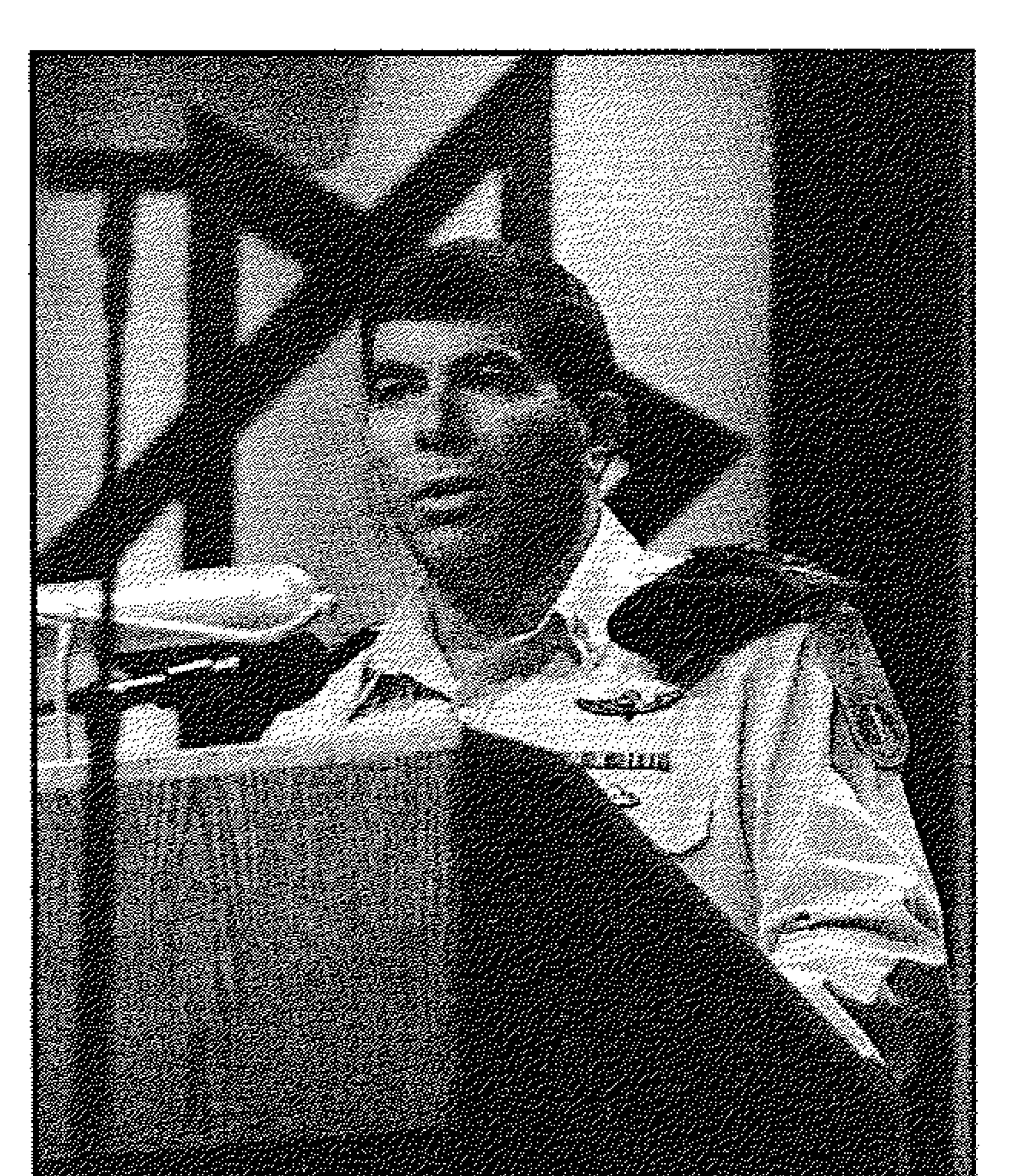
رئيس الأركان:

"الحوار مع إيران هو الحل المفضَّل"

بقلم: بنحاس وولف

المصدر: www.walla.co.il
٢٦/٥/٢٠٠٩

فى خطاب ألقاه أمام لجنة الخارجية والأمن بالكنيست صرح اليوم جابى أشكنازي، رئيس الأركان العامة، بأن "هناك حوار بين الولايات المتحدة وإيران، ليس من المؤكد أن يحظى بالنجاح، ولكن من ناحيتنا، فإن هذه هى الوسيلة الأكثر تفضيلا لوقف البرنامج النووى الإيراني". وأضاف قائلا: "بصفتى رئيس الأركان، فمن واجبى الاستعداد لكل الاحتمالات، وهذا ما نفعله. إن امتلاك إيران لسلاح نووى يمكن أن يقوض الاستقرار فى الشرق الأوسط كله".



كان بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء قد صرح أمس فى جلسة كتلة الليكود البرلمانية بأن باراك أوباما رئيس الولايات المتحدة قد حدد فترة زمنية للحوار مع إيران حول البرنامج النووي. وقال إنه "خلال الزيارة إلى الولايات المتحدة تم التوصل إلى تفاهمات هامة حول المسألة الإيرانية فى المقام الأول. لقد اتفقنا على أن أهم هدف هو منع إيران من الحصول على سلاح نووي. وقدد حدد باراك أوباما مهلة حتى قبل نهاية العام ليتأكد مما إذا كان الحوار سيؤتى ثماره أم لا، مؤكداً أن كل الخيارات أمامه مطروحة، وقد أوضحت له أن إسرائيل ستحتفظ بحق الدفاع عن نفسها".

تجدر الإشارة إلى أنه رداً على التجربة التى أجرتها إيران على صاروخ "سجيل ٢" طويل المدى، صرح وزير الدفاع إيهود باراك قبل أسبوع بأن "التجربة الإيرانية دليل آخر على ضرورة بلورة طرق لمواجهة التحدى الإيراني". وخلال زيارة إلى سلاح الطيران، تابع فيها عن كثب المناورة التى أجراها السلاح، أضاف باراك أن "هذه المناورة تبعث على التفاؤل، فنحن لدينا سلاح طيران قوى وهذا يبعث على الاطمئنان".

السيناريو الكامل لهجوم إسرائيل على المنشآت النووية الإيرانية ■

بقلم: راؤوفين بدهستور
هاآرتس ١٥/ ٥/ ٢٠٠٩

لعلم وزراء حكومة إسرائيل وأعضاء الكنيست، الذين سيكونون ضالعين فى اتخاذ قرار مهاجمة المنشآت النووية الإيرانية: لا حاجة بكم لانتظار الخطة التى سيعرضها عليكم ضباط سلاح الجو قبيل القرار، إذ إن كل السيناريوهات المحتملة لهجوم إسرائيلى على إيـران، بكل الاحتمالات والمخاطر المترتبة على هجوم كهذا، يمكنكم أن تجدوها فى الدراسة التى أعدها عبد الله توكان وأنتونى كوردسمان، من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية فى واشنطن.

يمكن القول إنها المرة الأولى التى تنشر فيها دراسة علنية ومفصلة ومتعمقة إلى هذا الحد عن الخيارات الهجومية الإسرائيلية. تقع الدراسة فى ١١٤ صفحة، وجمع مؤلفاها بدقة كل البيانات المتعلقة بالقدرات العسكرية لإسرائيل، والبرنامج النووى الإيرانى، والبرنامج النووى الإسرائيلى، وقـدرات الدفاع الجوى الإيرانى، وقـدرات سلاح الجو الإسرائيلى، إضافة إلى مخزون الصواريخ لدى الدولتين.

وتوصل معدا الدراسة بعد تحليل كافة الخيارات الهجومية المتوافرة لدى إسرائيل إلى استنتاج بأن «هجوما جويا إسرائيليا ضد منشآت إيران النووية أمر متوقع وممكن، لكنه سيكون معقدا ويحمل فى طياته مخاطر كبيرة على الصعيد التنفيذى، دون أن يضمن مستويات نجاح كبيرة، لذلك يُعتبر مثل هذا الهجوم خطرا بشكل لا مثيل له أو لم يسبق اختباره».

أول المشاكل التى أشارت إليها الدراسة هى المشكلة الاستخبارية، أو للدقة غياب المعلومات الاستخبارية «حيث لا توجد معلومات حول احتمالية أن تكون لدى إيران منشآت سرية لتخصيب اليورانيوم»، مما يعنى أن إسرائيل ستهاجم المواقع المعروفة - نظرا لأن الاستخبارات الغربية لا تمتلك معلومات عن وجود أماكن سرية - وبالتالى ستبقى خطط إيران لتخصيب اليورانيوم فى مواقعها السرية دون ضرر وتعمل بشكل عادى، وعليه سيبوء الهجوم الإسرائيلى بالفشل. وبشكل عام، يعتقد معدا الدراسة أنه يحق لإسرائيل مهاجمة إيران فقط إذا اقتنعت بأن هجوما كهذا سيؤدى إلى تصفية المشروع النووى الإيرانى أو على الأقل وقفه لعدة سنوات، ومثل هذا الهدف يصعب تحقيقه.

كما أن هناك خلافاً بين أجهزة الاستخبارات حول مسألة متى ستصل إيران إلى إنتاج سلاح نووى. فبينما تقول أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية أن إيران ستمتلك أول قنبلة بين عامى ٢٠٠٩ و٢٠١٢، تعتقد أجهزة الاستخبارات الأمريكية أن هذا لن يحدث قبل عام ٢٠١٣. وإذا كانت التقديرات الإسرائيلية صحيحة، فإن هذا يعنى أن نافذة الفرص آخذة فى التلاشى، حيث سيكون من الواضح للجميع أن أحدا لن يجرؤ على مهاجمة إيران وهى تمتلك قنبلة نووية.

ونظرا لحقيقة وجود عشرات المواقع النووية الإيرانية المنتشرة فى كل أنحاء هذه الدولة الكبيرة، ولتعذر إمكانية تدميرها جميعا، فحص توكان وكـوردسـمان احتمالات وخيارات الهجوم على ثلاثة مواقع إيرانية فقط «تشكل نواة مشروع دورة الوقود النووى التى تحتاجها إيران لإنتاج المواد اللازمة للأسلحة النووية»، وسيؤدى تدمير هذه المواقع الثلاثة إلى تعطيل المشروع النووى لعدة سنوات. وهذه المواقع هي: مركز البحوث النووية فى أصفهان، ومنشأة تخصيب اليورانيوم فى نتانز، ومفاعل المياه الثقيلة الذى سينتج مستقبلا مادة البلوتونيوم والواقع فى منطقة آراك.

ولكن اختيار سيناريو مهاجمة ثلاثة أهداف فقط فى إيران يضع علامات استفهام كبيرة حول المنطق الذى يقف وراءه، فثمة شك أن يتقرر شن هجوم خطير ومعقد إلى هذا الحد فقط من أجل تدمير عدد قليل جدا من المواقع، فى حين لا يكون من المؤكد أن تدميرها سيعطل المشروع النووى الإيرانى لفترة ملموسة.

طرحت الدراسة ثلاثة مسارات تحليق ممكنة ومتوقعة، مرجحة اختيار المسار الشمالى والمار بطول الحدود السورية - التركية قاطعا أقصى شمال شرق العراق وصولا إلى إيران. واستبعدت الدراسة اختيار مسار التحليق الوسطى والقصير الذى يمر بالأجواء الأردنية، وذلك لتجنب التعقيدات السياسية مع الأردن، وكذلك المسار الثالث الجنوبى، والذى يمر أيضا فوق الأردن والمملكة السعودية والعراق، وذلك لنفس أسباب استبعاد المسار الوسطى.

وسيلجأ سلاح الجو الإسرائيلى إلى استخدام تكنولوجيا متقدمة جدا تمكنه من اختراق منظومات الاتصالات وأجهزة الرادار التابعة للدول التى ستحلق فوقها طائرات F١٥ و F١٦ لمنع اكتشافها، وهى فى طريقها إلى إيران، وهكذا فإن عشرات الطائرات التى ستلحق فى أجواء هذه الدول لن يتم اكتشافها. ووفقا للباحثين، فقد تم استخدام مثل هذه التكنولوجيا خلال الهجوم الذى شنه سلاح الجو الإسرائيلى

على المفاعل النووى السورى فى منطقة دير الزور فى سبتمبر ٢٠٠٧، حيث تم تركيب أجهزة تشويش كهذه على طائرتين من طراز G٥٥٠ اشترتها إسرائيل فى الأعوام الأخيرة.

* كم طائرة ستسقط..؟:

من أجل مهاجمة المواقع الإيرانية الثلاثة، هناك حاجة لإرسال ما لا يقل عن ٩٠ طائرة مقاتلة، مما يعنى جميع طائرات F-١٥E الـ٢٥ التى تمتلكها إسرائيل، إضافة إلى ٦٥ طائرة F-١٦C/I، وجميع طائرات التزود بالوقود التى يمتلكها سلاح الجو الإسرائيلي: خمس طائرات هركوليس، وأربع طائرات بوينج ٧٠٧. وسيتم تزويد الطائرات المقاتلة بالوقود فى طريق الذهاب وطريق العودة، وسيجد سلاح الجو صعوبة كبيرة فى إيجاد منطقة يمكن لطائرات التزود بالوقود التحليق فوقها دون أن يُكتشف أمرها على يد السوريين أو الأتراك.

تعتبر طبيعة المنشأة النووية الإيرانية فى نتانز والمخفية عميقا فى باطن الأرض إحدى المشاكل العملياتية العصية إلى حد كبير على الحل، حيث أقيم جزء من المنشأة - مصنع تخصيب اليورانيوم - على عمق ٨ أمتار تحت الأرض تغطيها طبقة من الأسمنت المسلح بسمك ٥,٢ متر، إضافة إلى كون المنشأة ذاتها محمية بجدار أسمنتى آخر. وقام الإيرانيون فى منتصف عام ٢٠٠٤ بتعزيز التحصينات المحيطة بالجزء الآخر من المنشأة المذكورة، والذى يحتوى على أجهزة الطرد المركزى، حيث قاموا بدفنه على عمق ٢٥ مترا تحت سطح الأرض، إضافة إلى تغطيته بسطح أسمنتى يصل سمكه إلى عدة أمتار.

وتعتبر المنشأة التى تعمل بها أجهزة الطرد المركزى مركبا أساسيا وجوهريا من مركبات تطوير الأسلحة النووية، حيث يستخدمها الإيرانيون فى تخصيب اليورانيوم إلى المستوى اللازم لإنتاج قنبلة نووية. ويصل عدد أجهزة الطرد المركزى العاملة فى منشأة نتانز الآن نحو ستة آلاف جهاز، يخطط الإيرانيون لرفعها إلى ٥٠ ألف جهاز لكى تستطيع إنتاج ٥٠٠ كيلوجرام من اليورانيوم المخصب على مستوى التسليح. ويحتاج إنتاج قنبلة نووية واحدة إلى ١٥-٢٠ كيلوجراما من اليورانيوم المخصب، مما يعنى أن منشأة نتانز ستستطيع إنتاج مادة تكفى لتصنيع ٢٥-٣٠ قنبلة فى السنة.

تدل التحصينات المكثفة على أهمية منشأة نتانز للإيرانيين، وحتى يتغلب سلاح الجو الإسرائيلى على التحصينات الإيرانية سيستخدم نوعان من القنابل من إنتاج أمريكى، والتى ترجح مصادر أجنبية أن إسرائيل اشترت ٦٠٠ منها. وتحمل هذه القنابل اسم «مدمرة الخنادق والتحصينات»، ويرمز لإحداهما باسم GBU-٢٧ وتزن نحو ٩٠٠ كيلوجرام وتستطيع اختراق طبقة أسمنتية بسمك ٢,٤ متر. فيما يرمز للنوع الثانى باسم GBU-٢٨ وتزن ٢٢٩٨ كيلوجراما، وتستطيع اختراق طبقة أسمنتية بسمك يصل إلى ٦ أمتار، إضافة إلى طبقة من الرمل والأتربة بسمك ٣٠ مترا. وحتى يتم ذلك، يتوجب على الطائرات الإسرائيلية إصابة الأهداف بدقة متناهية ومن زاوية صحيحة.

وحتى بهذه التجهيزات لا تنتهى التحديات التى ستواجه سلاح الجو الإسرائيلى، حيث أقامت إيران منظومة دفاع جوى كثيفة ستجعل وصول الطائرات الإسرائيلية إلى أهدافها دون أن تصاب أمرا صعبا. وتضم المنظومة الإيرانية صواريخ من طراز «هوك»، و«SA-٢» و"SA-٥"، إضافة إلى امتلاكهم صواريخ مضادة للطائرات من طراز "RAPIER" و"SA-١٥" و"SA-٧" و"كروتل" و"ستينجر". كما أنهم نصبوا ١٧٠٠ مدفع مضاد للطائرات بالقرب من منشآتهم النووية، وذلك دون أن نغفل طائرات سلاح الجو الإيرانى التى قد تشترك فى الدفاع عن سماء الدولة. ورغم أن الطائرات الإيرانية تعتبر قديمة فى معظمها، إلا أنه يجب عدم إغفال وجود ١٥٨ مقاتلة إيرانية ستحاول إحباط الهجوم الإسرائيلى. ولذا، يتعين على سلاح الجو الإسرائيلى أن يخصص جزءاً من القوة المهاجمة لمواجهة محاولات الاعتراض الإيرانية.

يمكن اعتبار كافة الدفاعات الإيرانية سابقة الذكر وكأنها غير موجودة أو فى درجة الصفر إذا ما قورنت بمنظومة الصواريخ الروسية المضادة للطائرات S-٣٠٠V (SA-S-١٢ Giant)، التى يُعتقد أن إيران قد اشترتها سرا خلال الفترة الأخيرة. وإذا صحت هذه المعلومات، فإن جميع حسابات سلاح الجو الإسرائيلى وجميع الاعتبارات سواء مع أو ضد الهجوم على إيران ستتغير، لأن المنظومة الروسية متطورة جدا وحصينة أمام أى تشويش لدرجة أن نتيجة أى هجوم عليها ستكون تدمير ما بين ٢٠-٣٠٪ من القوة المهاجمة، أى سيتم تدمير ما بين ٢٠-٣٠ طائرة إسرائيلية من مجموع الطائرات التسعين المهاجمة، "وهو ثمن لا يمكن لإسرائيل التسليم به" بحسب قول معدى الدراسة.

إذا ما تقرر أيضا الهجوم على المفاعل النووى الشهير فى بوشهر، فإن الأمر سيؤدى إلى كارثة بيئية، وإلى موت الآلاف من البشر، وسينتشر التلوث المنبعث من المواد المشعة فى منطقة واسعة جدا، وسيفقد آلاف الإيرانيين القاطنين بالقرب من المفاعل حياتهم فورا، إضافة إلى آلاف سيصابون بأمراض السرطان المختلفة، وبسبب الرياح الشمالية التى تهب على المنطقة معظم أيام العام، يؤكد معدا الدراسة أن التلوث الإشعاعى سيضرب دول البحرين وقطر والإمارات.

إن المخاطر الكامنة فى الهجوم الجوى على إيران يمكن إلغاؤها إذا ما تقرر استبدال الهجوم الجوى بضربات بالصواريخ الباليستية، حيث لا يوجد لدى إيران قدرات دفاعية لمواجهة صواريخ باليستية. وفى هذا السياق، كشفت

الدراسة عن برنامج الصواريخ الإسرائيلي، وأشارت إلى ثلاثة أنواع من الصواريخ جرى تطويرها إسرائيليا، وهى «يريحو ١» و«يريحو ٢» و» يريحو ٣»، ويصل مدى الصاروخ الأول إلى ٥٠٠ كيلومتر ويحمل رأسا حربيا بزنة ٤٥٠ كيلوجراما وقادراً على حمل رأس نووى يزن ٢٠ كيلو طناً، فيما يصل مدى صاروخ «يريحو ٢» إلى ١٥٠٠ كيلومتر ودخل الخدمة الفعلية عام ١٩٩٠ ويستطيع حمل رأس نووى يزن ميجا طن. أما صاروخ «يريحو ٣»، الذى يعتبر عابرا للقارات، فيتراوح مداه بين ٤٨٠٠- ٦٥٠٠ كيلومتر. ووفقا للباحثين، كان مقررا أن يدخل هذا الصاروخ الخدمة الفعلية عام ٢٠٠٨، ويستطيع حمل رأس نووى يزيد وزنه على بضعة ميجاوات طن.

وامتنع معدا الدراسة عن التلميح لإمكانية استخدام إسرائيل لصواريخ تحمل رؤوسا نووية، وإنما رؤوس تقليدية، وأشارا إلى ضرورة إطلاق ٤٢ صاروخا من نوع «يريحو» لتدمير الأهداف الإيرانية الثلاثة على فرض أن جميع الصواريخ ستصيب أهدافها بدقة، وهذا أمر صعب جدا حيث لا يكفى إصابة منطقة الهدف لتدميره وإنما يجب إصابة مناطق محددة جدا فى تلك الأهداف لا يزيد حجمها على عدة أمتار، وهنا يثار الشك حول إمكانية الاعتماد على دقة صواريخ يريحو.

* كيف سترد إيران..؟:

عكف معدا الدراسة على تحليل سبل وطبيعة الرد الإيرانى على الهجوم الإسرائيلى، مؤكدين أن الإيرانيين سيزيدون من عزمهم وقدراتهم على استكمال مشروعهم النووى حتى يتسنى لهم إيجاد قوة ردع يُعتمد عليها إزاء عدوانية إسرائيل. وفى هذا السياق، ستعلن إيران انسحابها من اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية (NPT) التى تسمح حاليا بمستوى معين من الرقابة على منشآتها النووية من خلال مفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، كما سيؤدى الهجوم الإسرائيلى إلى وقف فورى وشامل لكافة الجهود الدولية الرامية إلى الضغط على إيران لوقف تطوير السلاح النووى.

ومن المؤكد أن إيران لن تكتفى بهذا الرد، وهناك مجال للافتراض بأنها ستسعى لضرب إسرائيل مباشرة، وهى قادرة على إطلاق صواريخ شهاب ٣ التى تغطى فى مداها جميع الأراضى الإسرائيلية باتجاه أهداف داخل إسرائيل، مع إمكانية أن يحمل بعضها رؤوسا حربية كيماوية، كما سيعمد الإيرانيون إلى تفعيل دور حزب الله وحماس لإطلاق موجة من الانتحاريين إلى المدن والأهـداف الإسرائيلية. وقد أثبتت تجربة حرب لبنان الثانية قدرة حزب الله على إطلاق الصواريخ، كما أن تجربة السنوات الثمانى الماضية أثبتت أيضاً قدرة حماس على إطلاق صواريخ القسام من قطاع غزة.

أطلق حزب الله خلال حرب لبنان الثانية أربعة آلاف صاروخ، مما شل الحياة فى شمال إسرائيل بشكل شبه مطلق طيلة شهر كامل. ومنذ ذلك الحين، تواصل المنظمة تجديد ومراكمة منظومتها الصاروخية بحيث باتت تمتلك الآن نحو ٤٠ ألف صاروخ. ومن المتوقع أن يُصدر الإيرانيون تعليماتهم لحزب الله وحماس بإطلاق آلاف الصواريخ باتجاه الأراضى الإسرائيلية، مع العلم بأن إسرائيل ليس لديها رد على هذه النوعية من الصواريخ، إذ إن منظومات الاعتراض الجارى تطويرها الآن (القبة الحديدية والعصا السحرية) لا تزال بعيدة عن اجتياز مرحلة التطوير، وحتى إذا دخلت الخدمة الفعلية، فثمة شك فى أنها ستكون ناجعة إزاء آلاف الصواريخ التى سُتطلق على إسرائيل.

كما سيؤدى الهجوم الإسرائيلى على إيـران إلى زعزعة الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط. ولتحقيق هذا الهدف، سيلجأ الإيرانيون إلى استخدام شيعة العراق، ودعم حركة طالبان وتعزيز قدرات الحركة القتالية فى أفغانستان، إضافة إلى إمكانية مهاجمة وضرب المصالح الأمريكية فى المنطقة، وعلى وجه الخصوص القوات الأمريكية فى دول الخليج مثل قطر والبحرين. وسيحاول الإيرانيون أيضا عرقلة حركة إمدادات النفط إلى الغرب فى منطقة الخليج العربى. ونظرا لأن الولايات المتحدة سيُنظر إليها كمن أعطت ضوءاً أخضر لإسرائيل للهجوم على إيران، فإن علاقاتها مع حلفائها فى العالم العربى ستكون عرضة للتوتر بقدر كبير. ويقدر توكان وكوردسمان أن سوريا تحديدا، حليفة إيران، ستمتنع عن التدخل فى حالة مهاجمة إسرائيل المنشآت النووية الإيرانية.

وفيما يتعلق بالموعد الافتراضى للهجوم الإسرائيلى، قدر معدا الدراسة أن هناك عدة معطيات قد تُسرِّع عملية اتخاذ القرار بالهجوم على إيران خلال العام الحالى، منها إمكانية نجاح إيـران عام ٢٠١٠ فى تشكيل تهديد جدى لدول الجوار وإسرائيل بعد امتلاكها قدرات نووية عسكرية تردع إسرائيل والولايات المتحدة وتمنعهما من شن هجوم عليها، إضافة إلى إمكانية امتلاكها صواريخ باليستية دقيقة الإصابة تحمل رؤوسا غير تقليدية، وكذلك المخاوف من تزود إيران بمنظومة الدفاع الجوى الروسية من طراز S-300V (إن كانت لم تصل إلى إيران بالفعل)، مما قد يشكل عاملا مسرعا فى اتخاذ قرار الهجوم.

* الخطأ الإسرائيلى:

إذن ما الذى يتعين على واضعى السياسات فى إسرائيل أن يتعلموه ويستنتجوه من هذا التقرير الأمريكى..؟ أن هجوم سلاح الجو على إيران أمر معقد وإشكالى وفرص نجاحه ليست كبيرة على نحو خاص؛ وأن عليهم أن يدرسوا جيدا كل التبعات بعيدة الأثر المترتبة على هجوم كهذا، وألا

ينساقوا وراء الوعود العابثة لضباط الجيش الإسرائيلى الذين سيعرضون خطة الهجوم وكأنها ذات احتمالات كبيرة من النجاح.

إن إحدى الاستنتاجات القاطعة التى نخرج بها من دراسة توكان وكوردسمان هى أنه ثمة شك فيما إذا كانت لإسرائيل القدرة العسكرية على تدمير المشروع النووى الإيرانى، أو حتى عرقلته لبضع سنوات. وبالتالى، إذا لم تثمر الاتصالات الدبلوماسية التى تخطط لها إدارة أوباما مع إيران، وإذا لم يقرر الرئيس الأمريكى فى أعقاب فشلها توجيه ضربة عسكرية لإيـران، يمكن الافـتراض أن إيران ستمتلك خلال فترة زمنية ليست بالكبيرة سلاحا نوويا. ولذا، يتعين على واضعى السياسات فى إسرائيل البدء فى الاستعداد لوضع تكون فيه إيران دولة نووية ذات قدرة على ضرب إسرائيل.

وفى هذا الصدد، يجب التشديد على الخطأ الإسرائيلى المتمثل فى تضخيم التهديد الإيرانى وتصويره كتهديد وجودى على إسرائيل. فعلى الرغم من التدخل الإيرانى فى دعم الإرهاب فى منطقتنا، إلا أنه يجب التمييز بين الاستعداد لتمويل إرهابيين والنية لإطلاق صواريخ نووية على إسرائيل. فحتى إن نجحت إيران فى امتلاك سلاح نووى، فإن قدرة الردع الإسرائيلية كفيلة بإثناء أى قائد إيرانى عن التفكير فى استخدام سلاح نووى ضدها. لقد حان الوقت للكف عن التلويح بفزّاعة التهديد الإيرانى والامتناع عن إطلاق التصريحات الحماسية، التى تخلق أحيانا دينامية خطيرة من التصعيد.

إننا نأمل أن يكون الهدف من التلميحات الإسرائيلية بهجوم محتمل على إيران هو دفع الأمريكيين لمواصلة الضغط على إيران، وليس نية حقيقية للهجوم. وبالطبع، فإن هذا لا يتعارض مع القيام بنشاطات سرية لعرقلة المشروع الإيرانى ومسارات الإمداد له. عندما دمر سلاح الجو المفاعل النووى العراقى عام ١٩٨١، نشأت «نظرية بيجين» التى مفادها أن إسرائيل لن تسمح لأى دولة معادية فى المنطقة بامتلاك سلاح نووى، غير أن ما كان ممكنا فى العراق قبل ما يزيد على العقدين، لم يعد ممكنا الآن فى ظل الظروف التى نشأت فى إيران.

فى غضون سنة أو ثلاث سنوات، عندما يمتلك الإيرانيون قنابل نووية، ستتغير قواعد اللعبة الاستراتيجية فى المنطقة تماما. وينبغى على إسرائيل أن تصل لهذه اللحظة، وهى تمتلك سياسة واضحة تتعامل بنجاح مع التهديد النووى المحتمل - حتى وإن كان مؤكدا أن الطرف الآخر ليس لديه أى نوايا لتنفيذ هذا التهديد. والمفتاح لذلك هو الردع: مجرد تلميح واضح وصادق للإيرانيين بالثمن الرهيب الذى سيدفعونه على أى محاولة لاستخدام السلاح النووى ضد إسرائيل، كفيل بردع قادتهم عن التفكير فى استخدام صواريخهم. فليس للإيرانيين أى سبب منطقى يدفعهم للمخاطرة بدمار مدنهم الكبرى، وهو ما قد يحدث إذا استخدمت إسرائيل وسائل الردع التى بحوزتها. إن فرص نجاح الردع الإسرائيلى إزاء التهديد النووى الإيرانى كبيرة جدا، خاصة أنه ليس لدى الإيرانيين أى حافز لضرب إسرائيل.

ولذا، فإن كل التصريحات عن تطوير القدرات العملياتية لطائرات سلاح الجو الإسرائيلى بحيث يكون فى مقدورها ضرب المنشآت النووية الإيرانية، وكذلك الوعود عديمة الغطاء حول قدرة صاروخ «حيتس» على مواجهة «شهاب ٣» بنجاح، تضر فى الأسـاس بقدرة الـردع الإسرائيلية، وتجعل الإيرانيون يتشككون فى مصداقيتها. لقد حان الوقت لتبنى أنماط تفكير جديدة. لا مزيد من التصريحات الحماسية والتهديدات العبثية، وإنما سياسة رصينة تستند إلى قاعدة استراتيجية منطقية. فى نهاية المطاف، فى عصر الشرق الأوسط متعدد القوى النووية، ستكون هناك مصلحة واضحة لجميع الأطراف فى خفض التوتر وليس تصعيده.

الحجر الأول

بقلم: بن كسبيت
معاريف ١٩/٦/٢٠٠٩

إلى أين تسير إيران..؟ لا نعرف. ولا أحد يعرف أيضاً، لا الـ«سى آى إيه»، ولا «أم ١٥»، ولا الموساد، ولا الاستخبارات الفرنسية، ولا المخابرات المصرية، ولا الـ«كى جى بى» الروسية، ولا الاستخبارات الصينية أو السعودية أو أى جهاز استخبارى فى العالم.

سقوط نظام آيات الله المحتمل هو حدث لم يتوقعه أى طرف هام معروف. يبدو أن الإيرانيين أنفسهم لا يعرفون إلى أين تسير الأمور. عشرات مليارات الدولارات تصرف فى أجهزة العالم الاستخبارية كل عام حتى تكون أمام المفاجأة فى كل مرة من جديد. أجل لم يتوقع أحد سقوط الشاه الفارسى وصعود الخمينى، ولم يصدق أى أحد أن الاتحاد السوفيتى سيسقط دفعة واحدة، ولم يتوقع أحد انهيار سور برلين أو سقوط تشاوشيسكو الذى فاجأ الجميع، وتوبة القذافى التى أسقطت الناس عن كراسيهم من المفاجأة، وحتى هزيمة نصر الله فى انتخابات لبنان التى لم تكن متوقعة بالمرة.

لم يبتدع أحد بعد طريقة لتوقع التفاعلات السياسية والاجتماعية مسبقا. فى بعض الأحيان يفضل عدم معرفة أمور كثيرة زيادة عن اللزوم حتى يتم التخمين بصورة صحيحة. المشاعر الداخلية قد تكون أكثر دقة من ألف صورة قمر اصطناعى وعدد لا يحصى من التقارير الاستخبارية وعمليات التنصت حول العالم.

من أجل النزاهة يتوجب أن نذكر فى هذا السياق أن إفرايم هاليفى رئيس الموساد سابقا قد توقع منذ سنوات إمكانية سقوط النظام فى إيران. واليوم أصبح واضحاً أن آيات الله ليسوا محصنين. مختص آخر يتحدث عن إسقاط النظام فى إيران منذ زمن، وهو إفرايم سنيه الذى يُنظر فى مسألة ضرورة «الاستثمار فى الشعب الإيراني» ذو القدرة الكامنة الثورية، والذى كتب قبل ثلاثة أسابيع فقط مقالة فى «بورفارد» (المجلة اليهودية الأمريكية)، حيث توقع فيها أن زيادة شدة العقوبات على إيران سيتيح المجال لمناخ ثورى هناك. رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية سابقاً اللواء احتياط أهارون زئيفى فركش تحدث هو الآخر هذا الأسبوع فى الإذاعة مرتين: يوم الأحد قدَّر أن الاضطرابات فى إيران مؤقتة ولن تؤدى إلى استبدال النظام حسب تقديره. وفى اليوم التالى، قال إن المارد خرج من القمقم، وأن الأحداث هناك قد تؤدى إلى استبدال النظام فى آخر المطاف. ربما عرف فركش بين اللقاءين شيئا ما وربما غيَّر رأيه هكذا بدون سبب.. وإذا كان هذا أمراً مشروعاً، إلا أنه يجسد الإرباك الذى يمر به الجميع من خبراء ومختصين.

رئيس الموساد مئير داجان جاء هذا الأسبوع إلى لجنة الخارجية والأمن فى الكنيست وقال بأن آيات الله سيتغلبون على الاضطرابات بسهولة وسرعة. لم يجف حبر كلماته بعد، حتى انتشرت الاضطرابات كالنار فى الهشيم. منتخب فريق كرة القدم الإيرانى يدخل لعبة رسمية، وهو يرتدى رموز موسوى الخضراء ويسود إرباك كبير. داجان قال فى المداولات بأن التزييف فى الانتخابات الإيرانية لا يختلف عنه فى أية دولة ديموقراطية أخرى. ربما كان يعرف شيئا ما عن التزييفات فى انتخابات حزب العمل التمهيدية ونحن لا نعرفه..!! فهل وصل مقاولو الأصوات الخاصين بفؤاد اليعيزر فى الوسط العربى إلى أصفهان..؟ داجان نفسه بعد فترة قصيرة من دخوله إلى منصبه (فى ظل حكومة آريئيل شارون) تطلع لإقامة قسم خاص لتوقع التغيرات فى النظم الحاكمة فى المنطقة. هدف هذا القسم الجديد كان منع مثل هذه المفاجآت وتمكين قادة إسرائيل من معرفة ما سيحدث. ذلك القسم لم يتشكل فى آخر المطاف وهذا أمر جيد.

عموماً حتى إن تمكن نظام آيات الله من المحافظة على بقائه، واجتاز الأزمة الحالية فمن الواضح لكل إنسان منطقى أن إيران تتغير أمام أعيننا. الخوف زال. الحجر الأول قُذف والجماهير التى تعيش تحت سطوة الحرس الثورى بدأت تدرك قوتها. وحتى إن انقضت قوات الحرس الثورى عليهم غدا وقتلت المئات وقمعت التمرد بيد من حديد، فإن الأمر لن يعود كما كان. من الآن فصاعدا يعيش آيات الله على الزمن المستقطع. كم هى مدة هذا الزمن لا أحد يعرف. ما سيحدث هناك فى الأيام القادمة، وفى أى اتجاه ستسير الأمور، هذه مسائل لا يعرفها أحد. هل يمكن القول إن مير حسين موسوى الذى كان رئيس وزراء متصلبا ومتطرفاً قبل عقدين هو الإصلاحى الذى تعتقد الناس أنهم ما يريدونه..؟ الحقيقة أن هذا ليس هاماً. ما يحدث فى إيران أكبر من موسوى بكثير. لم يصدق أحد بأن آريئيل شارون هو الذى سيقتلع المستعمرات فى إسرائيل وقد اقتلعها لماذا..؟ لأن الأحداث جرفته إلى هناك. وهذه أيضاً مسألة كان من الصعب جدا توقعها.

إيران تمر بأيام مصيرية، والتاريخ يتفاعل أمام أعيننا،

والأرض تهتز، وكل شيء مفتوح. من المبكر بعد بث الأوهام والآمال، ومن المحظور نسيان أن المشروع النووى الإيرانى يتمتع بإجماع شعبى واسع. لدينا عدد غير قليل من الأطراف الأمنية التى تعتقد أن مشكلة إسرائيل مع إيران ليست القنبلة النووية وإنما الحكم. إن تبدل الحكم يتوجب إعادة النظر فى كل شيء. وهل تبدل..؟ من المبكر معرفة ذلك. من الناحية الأخرى، مسموح لنا أن نعيش الآمال، ولكن ما الذى يتوجب فعله بعد هذه الآمال..؟ الابتهال والحذر.

* عام ٢٠١٤:

من المحظور أن تبدو المظاهرات فى إيران وكأنها بتحريك من الخارج. الشعب الفارسى يعتز بنفسه وبقوميته ويمقت التدخل الأجنبى. من الناحية الأخرى، ليس من السهل الوقوف كمتفرجين فى مثل هذه الأحوال وترك الأمور تحدث من تلقاء نفسها.

كان لميئير داجان هذا الأسبوع تقدير آخر مذهل: إن لم تحدث إخلالات فإن الإيرانيين سيمتلكون القنبلة الجاهزة للإطلاق عام ٢٠١٤ تقريبا.. عفوا..؟! أين اختفت التقديرات التى تحدثت عن عدة أشهر، والتى جرى الحديث عنها قبل عدة أسابيع..؟! أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية كانت موحدة حتى الآن فى تقديرها أن القنبلة ستكون جاهزة بنهاية ٢٠٠٩. وهذه هى المسألة التى ثار الخلاف حولها مع الأمريكيين. وهنا نُذكّر بتقرير الاستخبارات المركزية الأمريكية الذى نشر فى أواخر عهد بوش، والذى عارضته أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، والآن ها هو داجان يأتينا ويتحدث عن عام ٢٠١٤، وهذا إن لم تحدث عندهم إخلالات. داجان يفهم شيئا ما فى الإخلالات ويعرف ما الذى يلمح له.

عام ٢٠١٤ سيكون بعد انتهاء ولاية نتنياهو كرئيس للوزراء (ولكن شمعون بيريس سيبقى رئيساً للدولة) وفى حالة عدم حدوث إخلالات عند بيبى، فإنه قد يعيش أكثر من ٤ سنوات فى هذا المنصب إلا إذا سقط قبل ذلك. وهدفه خلال ولايته هذه، كما قال مرات كثيرة، هو إيران ثم إيران ثم إيران، إلا أن داجان يأتينا الآن ويهدد بانتزاع هذه الأجندة منه. هل تتخيلون بينكم وبين أنفسكم ما الذى سيحدث هنا إن اختفت الذرة الإيرانية من الكينونة الشعبية، ومن ترسانة الترهيب المرعبة المستخدمة عندنا..؟ ما الذى سنخاف منه حينئذ..؟ وما الذى سيوحدنا معا..؟.

هذا الأسبوع استكمل نتنياهو تشكيل طواقم عمل خاصة، ومن ضمنها طاقم خبراء خارجيين فى المسألة الإيرانية. السؤال الذى يطرح فى هذا السياق يشبه السؤال الذى يطرح منذ سنوات طويلة بصدد السلام: ما الذى سيحدث عندما يحل السلام..؟ وما الذى سيفعله كل الخبراء والجمعيات والوسطاء وأصحاب المؤتمرات وجامعى الأموال..؟ ما الذى سيحل بمصير عاطلى صناعة السلام..؟ نفس الشيء يقال عن المسألة الإيرانية، خاصة أن هناك صناعة كاملة تعيش على القنبلة الإيرانية والتخويف منها.

فى هذه الأثناء يمكن القول إن الاحتفال مبكر. إيران مازالت هناك وأجهزة الطرد المركزية كذلك. الإيرانيون لا ينوون التنازل عن ذلك وحتى إن تبدل النظام ليس من المؤكد أن سباق الذرة الإيرانى سيتوقف. بنيامين نتنياهو وإيهود باراك رجعا من زيارتهما للولايات المتحدة مسرورين فى كل ما يتعلق بالموضوع الإيرانى.. الأمريكيون من جانبهم سيخوضون الحوار مع الإيرانيين، ولكنهم يعرفون أن احتمالات نجاحه ضئيلة (إلا إذا تغير النظام).

وماذا بعد..؟ هناك مصطلح جديد يتغلغل فى الغرف الداخلية بصدد مرحلة «ما بعد»: مفاده لا حرب ولا قصف. عقوبات دولية آخذة فى التصاعد يفرض فى ذروتها حصار على إيران ويجبرها على الاستسلام. هذه عبارة عن خطة بعيدة جدا وفرصها غير ناجحة بينما يلف الضباب مستقبلها، ولكنها ذات سحر جذاب: حاملات الطائرات الأمريكية ستعزل إيران عن العالم، والحدود ستغلق لتتحول هذه الدولة إلى كوريا الشمالية الجديدة. إن لم تُسقط المظاهرات الحالية النظام فالأمر سيحدث فى هذه الحالة. ولكن السؤال الملح هنا: لماذا نخلق كوريا شمالية جديدة بينما مازالت القديمة حية ترزق، وتمتلك الذرة مع حصار دولى وبدون حصار..؟.

٤

شئون عسكرية

زيادة الشكاوى من معاملة القادة للجنود

بقلم: أمير بوحبوط
المصدر: www.nrg.co.il
٢٠٠٩/٥/٢٥

يشير تقرير مأمور شكاوى الجنود الذى قُدم اليوم لرئيس الدولة إلى حدوث انخفاض طفيف فى العدد العام للشكاوى، ولكنه يشير إلى زيادة فى عدد شكاوى رجال الاحتياط، وكذلك الشكاوى من معاملة القادة، واتضح أن ٥٩٪ من الشكاوى مبررة، وجاء فى التقرير أنه لا يمكن قبول إدعاءات القادة بأنهم لا يعرفون الأوامر.

قدم مأمور شكاوى الجنود اللواء احتياط يتسحاق بريل اليوم (الأحد) التقرير السنوى لعام ٢٠٠٨، ويتضح من التقرير أنه وصلت فى عام ٢٠٠٨ إلى المأمورية ٦٥٠١ شكوى مقابل ٦٤٠٤ فى العام السابق له، كذلك سجل فى العام الماضى ارتفاعا فى الشكاوى التى تتعلق بمعاملة القادة للجنود، حيث وصل عدد الشكاوى إلى ٤١٠٠ مقابل ٣٥٥٢ فى العام الماضي، ويتضح أيضا من التقرير أنه طرأت زيادة فى عدد الشكاوى التى قدمها جنود الاحتياط، وبصفة عامة نجد أن ٥٩٪ من الشكاوى مبررة.

وتتضمن الشكاوى التى تتعلق بمعاملة القادة للجنود حالات عنف من جانب القادة ضد الجنود، حيث وجدت حالة قام فيها القائد بقلب سرير الجندى بينما هو نائم عليه وألقى أغراضه الشخصية على الأرض.. وفى حالة أخرى قام القائد بربط الجندى فى شجرة بأكمام قميصه، وفى حالة ثالثة ركل قائد خوذة جندى خلال تدريب. وفى حالات أخرى وردت فى التقرير قيام القادة بممارسة العنف الجسدى من أجل تنفيذ الأوامر وتحقيق الانضباط، فمثلاً أمر قائد أحد الجنود بالتدحرج على الرمال رغم أن الجندى شكا من شعوره بالدوار، وبعد ذلك أمر القائد الجندى بالزحف تحت الدبابة وفتح خزان الزيت فى الدبابة، وحاول أن يلطخ وجه الجندى بالزيت، وقد وقعت عملية التكدير هذه أمام جنود الفصيلة.

وفى حادثة أخرى قام مدرب على القتال المتلاحم بضرب أحد الجنود بعصا خشبية مدعيا أن هذا تدريب على قدرة التحمل. وفى حادثة أخرى ركل مدرب صدر أحد الجنود حتى وقع على الأرض.

* الجهل بالقانون لا يعفى من المسؤولية:

واختتم مأمور شكاوى الجنود تصريحاته قائلا إنه اتضح أكثر من مرة أثناء فحص الشكاوى أن القادة لا يعرفون شيئا عن تعليمات القيادة العليا أو تعليمات هيئة الأركان العامة، ولذلك يدعون أنهم لم يمسوا حقوق الجنود عمدا.

وأوضح اللواء احتياط قائلا: «مع كل التقدير لا أستطيع أن أقبل هذا التبرير لأنه من غير المقبول أن يجهل القائد التعليمات الحرفية التى تتعلق بمجال عمله. ومن ثم لا يمكن قبول إدعاءات القادة بأنهم يجهلون حقوق الجنود والتعامل معها».

وأعلن المتحدث باسم الجيش تعليقا على ذلك قائلاً: «لقد ذكر رئيس هيئة الأركان العامة أنه يولى أهمية كبيرة لمعاملة القادة للجنود، ولذلك يجب إشراك مأمور شكاوى الجنود ورجاله فى تدريب القادة على كيفية معاملة الجنود لغرس قيمة معاملة الفرد فى نفوسهم كجزء لا يتجزأ من برنامج الدورات، بداية من الرتب الصغيرة وحتى الرتب الكبيرة». وأضاف قائلا: «لقد أعرب رئيس هيئة الأركان العامة عن تقديره للمأمور ورجاله على العمل الشاق الذى يقومون به وطلب إبلاغه من الآن فصاعدا بشكل شخصى بأى حادث ينطوى على تجاوز».

مناورة الجبهة الداخلية:
حرب على الجبهة وانتفاضة فى الداخل

بقلم: رونى سوفير
يديعوت أحرونوت
٢٠٠٩/٥/٢٥

حرب على الجبهتين الشمالية والجنوبية وانتفاضة فى إسرائيل.. هذا هو سيناريو مناورة الجبهة الداخلية الأكبر فى تاريخ دولة إسرائيل «نقطة تحول ٣»، المقرر لها يوم الأحد القادم، والتى ستبدأ بحرب فى غزة تتسع لحرب فى الشمال أيضا. وفى غضون ذلك، سيتم التدرب على سيناريو يقوم فيه عرب إسرائيل بتمرد وأعمال شغب.

وخلال جلسة الحكومة الأسبوعية، نقل رئيس الوزراء، بنيامين نتنياهو، رسالة لطمأنة الدول المجاورة، حيث قال: «إنها تدريبات روتينية أعد لها سلفاً قبل بضعة أشهر، وتجرى كل سنة بهدف تطوير عملية التنسيق بين الأجهزة المدنية والعسكرية».

ومن المقرر أن تبدأ مناورة «نقطة تحول ٣» يوم ٣١ مايو وتستمر لمدة خمسة أيام، وسيتم الإشراف عليها من قبل وزارة الدفاع بمساعدة هيئة الطوارئ القومية. وتهدف المناورة إلى فحص جاهزية الجبهة الداخلية على كل المستويات بدءا من الحكومة وحتى المواطن البسيط، مفترضة سيناريو اندلاع حرب إقليمية شاملة. وفى هذه الحرب، وبحسب السيناريو، ستشترك سوريا وحزب الله وحماس فيها، وسيقوم الفلسطينيون بتنفيذ عمليات فى الداخل، كما سيقوم عرب إسرائيل بالإعلان عن انتفاضة جماهيرية عارمة.

وسيتعامل المجلس الوزارى المصغر للشئون الأمنية والسياسية مع السيناريوهات المختلفة، بينما سيقوم الجيش بتحريك الوحدات العسكرية حسب ما تتطلبه الخطة الموضوعة للمناورات. ويفترض أحد السيناريوهات استمرار حالة الاشتعال العسكرى لثلاثة أشهر تتعرض إسرائيل فى نهايتها لهجوم شامل.

وقد عُرض مخطط المناورة، التى يتولى الإشراف على تنفيذه نائب وزير الدفاع ماتان فيلنائى، على الوزراء. ويبدأ سيناريو الحرب الشاملة باشتعال فى قطاع غزة يتبعه دخول قوات برية من الجيش الإسرائيلى، وبموازاة ذلك، يسود توتر على الحدود الشمالية. وبعد ٦٠ يوما من القتال المتواصل فى غزة، يصل التوتر فى الجبهة الشمالية إلى ذروته، ويضطر الجيش الإسرائيلى إلى استدعاء الاحتياط، ليدخل فى حرب على الجبهة الشمالية. وستتعرض المدن الإسرائيلية إلى قصف بالصواريخ وهجمات إرهابية وإخلال بالنظام العام فى داخل إسرائيل.

ومن المقرر أن تبدأ التدريبات بوزراء الحكومة خلال جلستهم الأسبوعية يوم الأحد المقبل، أما فى يوم الاثنين، سيدخل الجيش الإسرائيلى فى حلقة المناورات، بالإضافة إلى قيادة الجبهة الداخلية، والشرطة، والهيئات الحكومية والسلطات المحلية. أما يوم الثلاثاء فسيشمل المواطنين الذين سيسمعون صفارات الإنذار فى كل أنحاء إسرائيل، وسيتم غلق الطرق وفحص إجراءات نقل الإنذارات عبر وسائل الإعلام وكيفية حماية الطلاب فى المدارس، وسيشارك المجلس الوزارى المصغر والحملة الإعلامية الوطنية فى اليوم الرابع للمناورة. أما اليوم الخامس، اليوم الأخير للمناورة، فسيكون ذا صبغة ميدانية وعسكرية أكثر، حيث سيتم فحص مدى التعاون المشترك بين الجيش والسلطات المحلية.

وبالإضافة إلى سيناريوهات الحرب، ستشمل التدريبات أيضا مواجهة عمليات إرهابية كبيرة، أو كوارث طبيعية، أو تفشى وباء أو حدوث خلل فى منشأة للمواد الخطيرة.

وكان سلاح الجو قد أجرى تدريبا واسع النطاق الأسبوع الماضى استمر لثلاثة أيام وشمل التدرب على سيناريوهات متعددة على جبهات مختلفة. ويأتى هذا التدريب فى إطار سلسلة التدريبات التى يجريها سلاح الجو سنويا، وقد تحدد موعده فى وقت سابق من هذا العام، ولكنه شمل التعامل مع سيناريوهات مُحدّثة تتعلق بالتهديدات الأخيرة، مثل التجربة التى أجرتها إيران على صاروخ «سجيل ٢» الذى يعتبره كثيرون تهديدا متقدما على دولة إسرائيل.

الإشراف على إعلانات الحاخامية العسكرية

بقلم: عاموس هرئيل
هاآرتس ٣١/ ٥/ ٢٠٠٩

شدد رئيس شعبة القوى البشرية فى هيئة الأركان، اللواء آفى زامير، الرقابة على النشاط الإعلامى للحاخامية العسكرية، وذلك بسبب الخلاف الذى اندلع مؤخراً بين الحاخامية وسلاح المعلمين. وهكذا سيصدق اللواء زامير شخصياً على المواد الإعلامية الصادرة عن الحاخامية، للحيلولة دون وقوع مشاكل أخرى.

كانت صحيفة "هاآرتس" قد أوردت قبل نحو ستة أشهر انتقادات لعدد من كبار الضباط يزعمون فيها أن الحاخامية العسكرية مسيطرة على جزء كبير من النشاط الإرشادى بالجيش، وأنها توزع مواد إعلامية محل خلاف، بعضها ينطوى على آراء سياسية يمينية والبعض الآخر يحث على العودة للدين.

وفى شهر فبراير الماضى تم كشف النقاب عن كتيب وزعته الحاخامية العسكرية على الجنود والقادة خلال عملية "الرصاص المنصهر" فى قطاع غزة. وكان الكتيب يتضمن دعوة لعدم التنازل عن شبر من أرض إسرائيل، وأجرى الجيش الإسرائيلى تحقيقاً داخلياً عقب توزيع الكتيب أثبت أن هذا كان خطأ من جانب بعض ضباط الحاخامية العسكرية.

وفى أعقاب الإعلان عن ذلك فى وسائل الإعلام، أصدر رئيس الأركان جابى أشكنازى أوامره لرئيس شعبة القوى البشرية للدراسة وإعادة وضع حدود بين الحاخامية وسلاح المعلمين، وقد قرر زامير عدة خطوات:

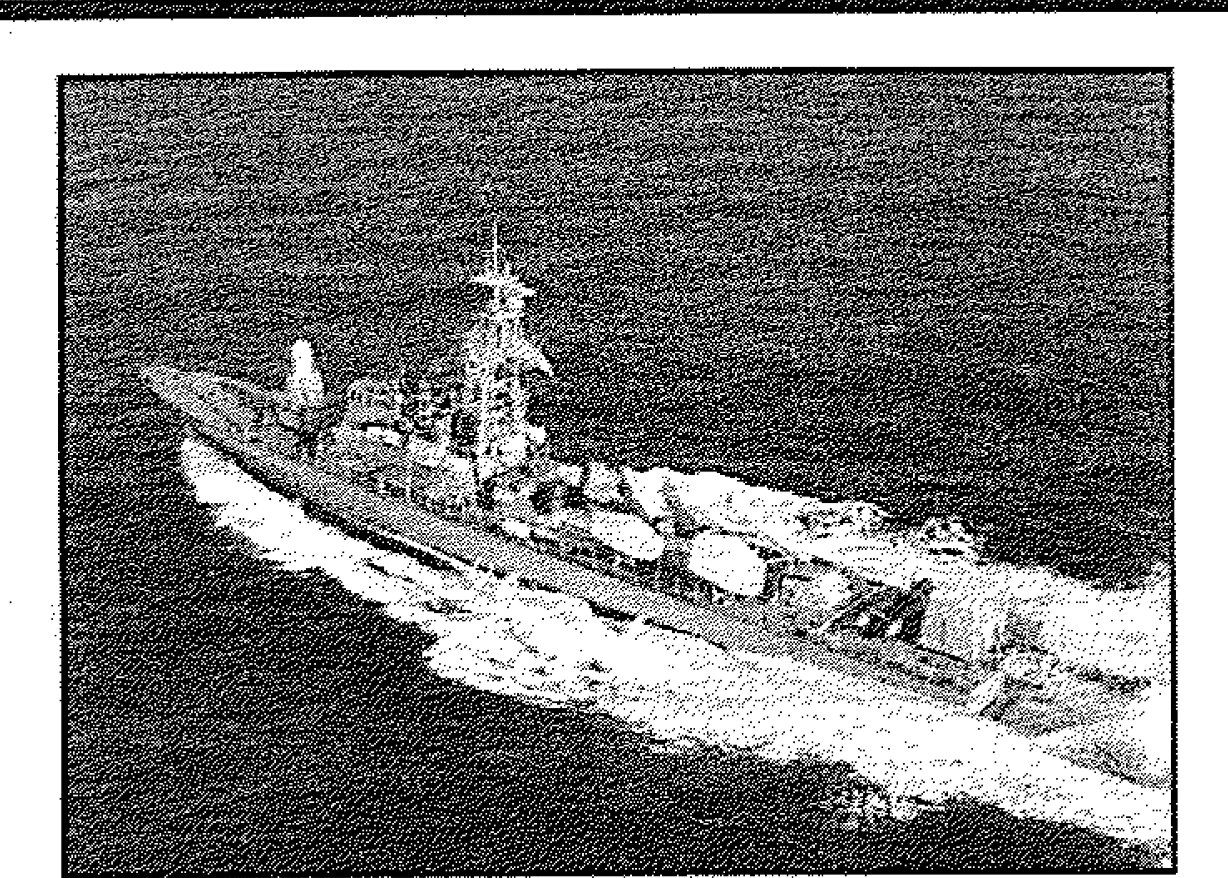
* إجراء الدورات الإرشادية التى تجريها الحاخامية للجنود بصورة مشتركة، بحيث يكون سلاح المعلمين هو المسئول عن نشر القيم.
* حظر عرض أى أفكار سياسية أو شخصية.
* المسئولية عن محاضرات سلاح المعلمين والحاخامية العسكرية يتولاها مجموعة من المحاضرين المشتركين، تحت إدارة قوية من جانب شعبة القوى البشرية، فقد كان جزء من الانتقادات يفيد بأن الحاخامية العسكرية استضافت محاضرين أصحاب آراء متطرفة.
* التصديق على الرسائل الحاخامية، التى كانت تتضمن فى الماضى مقولات شائكة من حيث الدين والسياسة، قبل الموافقة على نشرها. كما أن زامير شخصياً سيطلع على المضمون قبل السماح بنشره.

ويعتقد رئيس شعبة القوى البشرية أن النشاط الإرشادى للحاخامية مبارك بوجه عام.. ومع ذلك فهو يرى أن هناك أوجه قصور، ولذلك قرر تحديد مضمون المواد الإرشادية بالتفصيل لكل وحدة عسكرية على حدة. وذكر أن المضمون من شأنه أن يعكس التغير فى التعامل مع كل وحدة عسكرية، ولكن فيما يتعلق بنشاط الحاخامية داخل الوحدات العسكرية هناك حاجة لتنظيم عملها وتحديد اختصاصاتها.

جنود سلاح البحرية:
"نحن جوعى ونشترى الطعام من إيلات"

بقلم: يانير يجنا
هاآرتس ٧/٦/٢٠٠٩

يزعم جنود سلاح البحرية فى قاعدة البحر الأحمر العسكرية فى إيلات أنهم يظلون جوعى طوال اليوم، وأن وجبات الطعام التى تُقدم لهم تلائم بطون العصافير. وعلى حد قولهم، طرأ تدهور ملحوظ على أحوالهم الغذائية فى الشهر الأخير.. ففى الأسبوع الماضى لم يُقدم اللحم فى غرفة الطعام على مدى ثلاثة أيام، وأيضا عندما قُدم اللحم، كانت قطعة صغيرة من لحم الدجاج.



قدم الجنود شكوى للقادة، إلا أن القادة أخبروهم بأن الأمر يخرج عن نطاق صلاحياتهم واختصاصهم، وأنه من اختصاص المسؤولين عن المطبخ فى القاعدة.

بسبب إحدى الوجبات، توجه الجنود إلى العاملين فى المطبخ واشتكوا من كمية الطعام. قال الجنود: "نحن جوعى" فأجابوهم: "تناولوا الكثير من الأرز". وعندما توجه الجنود إلى قائد المطبخ، أجابهم بأن: "هذا ما أحصل عليه..!! ستتناولون هذا وترتبون أموركم بهذه الكمية".

وقال أحد الجنود الذى يخدمون فى القاعدة: "على مدى أسبوع نشعر بأننا فى برنامج المسابقات الواقعى Survivor، حيث نعيش على الأرز والشكشوكة والرقائق. هذا الأسبوع قدموا وجبة غذاء كان الطبق الرئيسى فيها هو السمك، ومن لا يأكل السمك يظل جائعا طوال اليوم".

ووصف جندى آخر الجوع الذى يشعرون به طوال الأسبوع قائلا: "نجح الجنود الذين يحاولون التكيف مع الوضع، فى إيجاد حل عملى لهم. فعند وصولهم للقاعدة فى مطلع الأسبوع، يحضر كل منهم كميات كبيرة من الطعام من البيت تتكون من علب التونا والرقائق والمعلبات والمعجنات حتى يستطيع التغلب على جوع الأسبوع». وأضاف الجندي: «هذا أمر لا يمكن حدوثه. نحن نأتى من مسافات بعيدة للخدمة فى الجيش الإسرائيلى ونظل جوعى طوال الأسبوع، وما يدعو للخزى هو أننا لا نستطيع الحصول على طعام كما ينبغي».

ويقول الجنود إنهم ينفقون ٣٠٠ شيكل شهريا على شراء الطعام من مدينة إيلات. وأضاف أحد الجنود: «ما يقرب من نصف الراتب الذى نحصل عليه ننفقه على شراء الطعام. فمن يستطيع أن يعيش يوم كامل على سلطانية من الرقائق..؟»».

وقد علق الناطق باسم الجيش الإسرائيلى قائلا: «فى الشهر الأخير تم تقديم وجبة السمك بدلا من وجبة اللحوم ثلاث مرات، وذلك كما توصى أوامر الجيش. كانت كمية الطعام المقدمة كبيرة وكافية. أما الجندى الذى يختار شراء الطعام بنقوده، لا يستطيع القادة منعه من ذلك».

قيم الجيش الإسرائيلى الأكثر أخلاقياً فى العالم

بقلم: درور أفند دافيد
يديعوت أحرونوت
٢٠٠٩/٦/١٢

حُكم على العميد موشيه (تشيكو) تامير بعقوبة مشددة، وهى خفض رتبته العسكرية والسجن ثلاثة أشهر مع وقف التنفيذ. وكان قضاة المحكمة العسكرية قد ذكروا ليس فقط حقيقة أنه سمح لابنه البالغ من العمر أربعة عشر عاما بقيادة مركبة عسكرية، بل أيضا الاشتباه بأنه حاول الادعاء بأنه هو الذى كان يقود المركبة وليس ابنه. بالإضافة إلى ذلك، أشار القضاة إلى العلاقة المتعاطفة من قبل المحققين تجاه المتهم، حتى إنهم وجَّهوا انتقادات لهم لأنهم لم يتطلعوا إلى تنفيذ القانون بشكل كامل.

إن هذه الحالة بمثابة فرصة لمعرفة بعض الشيء عن درجات القيم لدى المحكمة العسكرية والمخالفات القانونية التى تعتبرها المحكمة خطيرة، وتوقعات المحكمة من الشرطة العسكرية، ومن القيادة المسئولة فى تحقيقات معينة.

ومن المثير للاهتمام هنا أن نقارن، على سبيل المثال، بين قضية تامير وقضية المقدم عومرى بوربرج التى وقعت فى يوليو ٢٠٠٨، عندما أصدر بوربرج أثناء مظاهرة فى بلعين أوامر لأحد الجنود بإطلاق النار على فلسطينى معتقل مكبل الأيدى. وفى هذه الواقعة لم يخالف قائد الكتيبة القانون فحسب، بل حاول أن يطمس الحقيقة.. ففى حين أن تامير طالب ظاهريا حماية ابنه عندما تلقى التهمة على عاتقه، طالب بوربرج حماية نفسه عندما اتهم الجندى بأنه أطلق النار على الفلسطينى المعتقل من تلقاء نفسه.

كما أن تعاطف محققى بوربرج جعل هناك سخرية من علاقة التفضيل الظاهرية التى تمتع بها تامير. كان قائد المنطقة الشمالية اللواء جادى أيزنكوت، الذى استدعى بوربرج لسماع أقواله، قد أقرَّ بأن: "بوربرج ضابط ممتاز، وآمل بألا يوجهوا إليه تهمة قتل حاييم أورلوزوروف (أحد آباء السياسة الإسرائيلية)". وبعد فترة قصيرة امتثل بوربرج أمام محكمة خاصة، ولكن بتهمة "التصرف غير اللائق" فحسب، واعتُبرت مخالفة بسيطة نسبيا لا تؤدى إلى تسجيلها كجناية.

ومن المثير للدهشة أن قضاة المحكمة العسكرية لم يظهروا غضبهم من عرقلة الإجراءات فى القضية أو من العلاقة المفضلة التى يتمتع بها الضابط، أو حتى من خطورة المخالفة التى وقعت. وبعد فترة ليست بكبيرة تم تعيين بوربرج رئيسا لشعبة المدرعات.

إذن ماذا يمكننا أن نتعلم من ذلك عن قيم الجيش الأكثر أخلاقيا فى العالم..؟ هل التنكيل بمعتقلين عرب يعتبر مخالفة تقل فى خطورتها فى نظر المحكمة عن قيادة مركبة دون رخصة..؟ هل التصرف اللائق والأخلاقى أقل أهمية من الحفاظ على ممتلكات تابعة للجيش الإسرائيلى..؟ إن تامير قد أصاب مركبة عسكرية فى حين أن بوربرج قد بدَّد رصاصة ليس أكثر..!! كما أن "قيمة الأمانة" و"كود الحقيقة" من الأمور الأكثر أهمية عندما يتعلق الأمر بأسطول من مركبات الجيش الإسرائيلى، فى حين مسموح ومرغوب بالكذب إزاء إطلاق نار عشوائى على أشخاص مكبلى الأيدى، أو تمييع التحقيق إذا كان الأمر يتعلق بـ"ضابط ممتاز" أطلق النار على عرب.. للأسف الشديد تلك هى مجموع القيم التى يتبعها الجيش الأكثر أخلاقيا فى العالم.

ينبغى على جيش الدفاع الإسرائيلى أن يبلغ الرشد

افتتاحية هاآرتس
١٢/٦/٢٠٠٩

عندما استن "دافيد بن جوريون"، مؤسس ومبلور شكل جيش الدفاع الإسرائيلى، التقاعد المبكر لمن يخدمون فى الجيش فى إطار الخدمة الدائمة، فإنه وضع نصب عينيه هدفاً اجتماعياً مزدوجاً: منع نشوء طائفة عسكرية منغلقة، واستفادة المجتمع المدنى من خبرة هؤلاء الضباط. كان التعبير العملى عن نهجه هو "الوظيفة الثانية" لأفراد الخدمة الدائمة، الذين اعتزلوا الخدمة وتقاعدوا فى سن ٤٢ عاماً، وانتقلوا إلى القطاع المدنى كمديرين وساسة، دون أن يخشوا على مستقبلهم الاقتصادى. لم يتوقع "بن جوريون" التداعيات الاقتصادية لهيكل الجيش الذى أقامه ولا الالتزام المالى الهائل الذى أخذته الدولة على عاتقها من دفع معاش للآلاف من الضباط وصف الضباط المتقاعدين من الخدمة فى أزهى سنوات عمرهم، وهو أيضاً لم يقدر جيداً الفجوة الاجتماعية التى خلقها بين جماعتين من الموظفين فى الخدمة العامة: بين مواطنين مطالبين بالعمل حتى سن ٦٧، وجنود يستطيعون التقاعد، وهم صغار نسبياً فى السن ثم "البدء من جديد".

من الممكن أن نتفهم رغبة الدولة - التى توجد فى نزاع مستمر مع جيرانها وتحرص على وجود جيش كبير - فى مكافأة المحاربين الذين يعرضون حياتهم للخطر بشكل طيب، أو أصحاب المناصب الحيوية فى الأنساق التكنولوجية والاستخبارية، الذين يعملون حقاً فى مكتب بالجبهة الداخلية، لكنهم يتحملون مسؤولية كبيرة وفى حالة استنفار دائم. مع ذلك، من الصعب أن نفهم، وأن نبرر الفجوة الاقتصادية بين من يؤدون وظائف شبيهة، إن لم تكن مماثلة، فيما أحدهم يرتدى زياً عسكرياً وزميله مدنى، إذ تحصل الخبيرة الاقتصادية المجندة فى شعبة الموازنات بالدوائر الحكومية على أجر أكبر، وتخرج إلى المعاش قبل زميلتها المدنية العاملة فى ذات الوزارة بكثير. والمهندس فى وزارة الإسكان مطالب، لكى يحصل على المعاش، بأن يعمل سنوات أكثر من زميله المهندس فى مركز الإنشاء العسكرى، وهكذا الأمر أيضاً بالنسبة لضباط الإدارة، وضباط صف المطبخ وميكانيكيى السيارات، الذين يوجد مثلهم أيضاً فى القطاع المدنى.

فى السنوات الأخيرة، وتحت ضغط كبير من وزارة المالية، أدخل جيش الدفاع الإسرائيلى بعض التغييرات على شروط الخدمة والتقاعد لأفراد الخدمة الدائمة، ولكن الآن يطالب وزير المالية، "يوفال شتاينيتس"، الدفع فى اتجاه إصلاح، يتقاعد بموجبه المحاربون فى جيش الخدمة الدائمة عند سن ٤٦ (بدلاً من سن ٤٢ اليوم)، وأن يخدم أفراد الإدارة حتى سن ٥٧ (بدلاً من سن ٤٤ اليوم). يرد جيش الدفاع الإسرائيلى بالمبرر الشائع، بأنهم ينقضون على الذين يخدمون فى إطار الخدمة الدائمة، الذين يواصلون الليل بالنهار من أجل أمن الدولة، وبأنه فى قلب عملية ترشيد ستؤدى أيضاً إلى رفع سن التقاعد.

من الأجدى للجيش، بدلاً من التناطح، أن يتقلص فى فترة الركود، دون أن يضر بالأمن، وأن يعمل على رفع سن تقاعد أفراد الخدمة الدائمة بشكل ملموس، لاسيما لغير المحاربين الذين يتشابه عملهم مع العمل المدنى. ليس ثمة مبرر لتقاعد أفراد الإدارة بشكل كامل فى سن صغيرة نسبياً، لأنهم إذا استمروا فى الخدمة، فإن الجيش سيستمر فى الاستفادة من خبرتهم ومعرفتهم. يستطيع الجيش، بل وينبغى أن يفرق بين المحاربين والموظفين - فى الأجر، وفى شروط الخدمة، وفى سن التقاعد - لأن هذا فى النهاية سيفيده وسيفيد الخزانة العامة للدولة.

٥

علاقات إسرائيل الدولية والإقليمية

إسرائيل تستعد لفتح سفارتين فى نيوزيلندا والبرازيل ■

بقلم: إيريس بار- طال
المصدر: www.nfc.co.il
٢٠٠٩/٥/٢٢

أعلنت وزارة الخارجية الإسرائيلية يوم (٢١/ ٥/ ٢٠٠٩) أنه من المقرر أن تعيد إسرائيل فى عام ٢٠١٠، فتح سفارتيها فى نيوزيلندا وفى ساو باولو بالبرازيل.

وسيتم إعادة فتح السفارتين فى إطار إعادة تنظيم مفوضيات إسرائيل فى الخارج، وذلك فى أعقاب التخفيض الذى حدث فى ميزانية وزارة الخارجية فى أكتوبر ٢٠٠٢، والذى تم بسببه إغلاق بعض السفارات.

ويشير المسئولون فى وزارة الخارجية إلى أن نيوزيلندا دولة تحتل مكانة بارزة على الساحة الدولية، وأن إعادة فتح سفارة لإسرائيل بها من شأنه أن يعمل على دفع التعاون والحوار والتجارة والأنشطة العلمية والثقافية بين الدولتين، كما سيتيح الاتصال بالجالية اليهودية هناك والتى يصل تعدادها إلى نحو ٦ آلاف نسمة.

* توطيد العلاقات مع البرازيل:

وكان إعادة فتح إسرائيل للقنصلية العامة فى ساو باولو بالبرازيل - التى أغلقت عام ٢٠٠٢ - بمثابة مرحلة أخرى فى تقوية العلاقات بين إسرائيل والبرازيل.

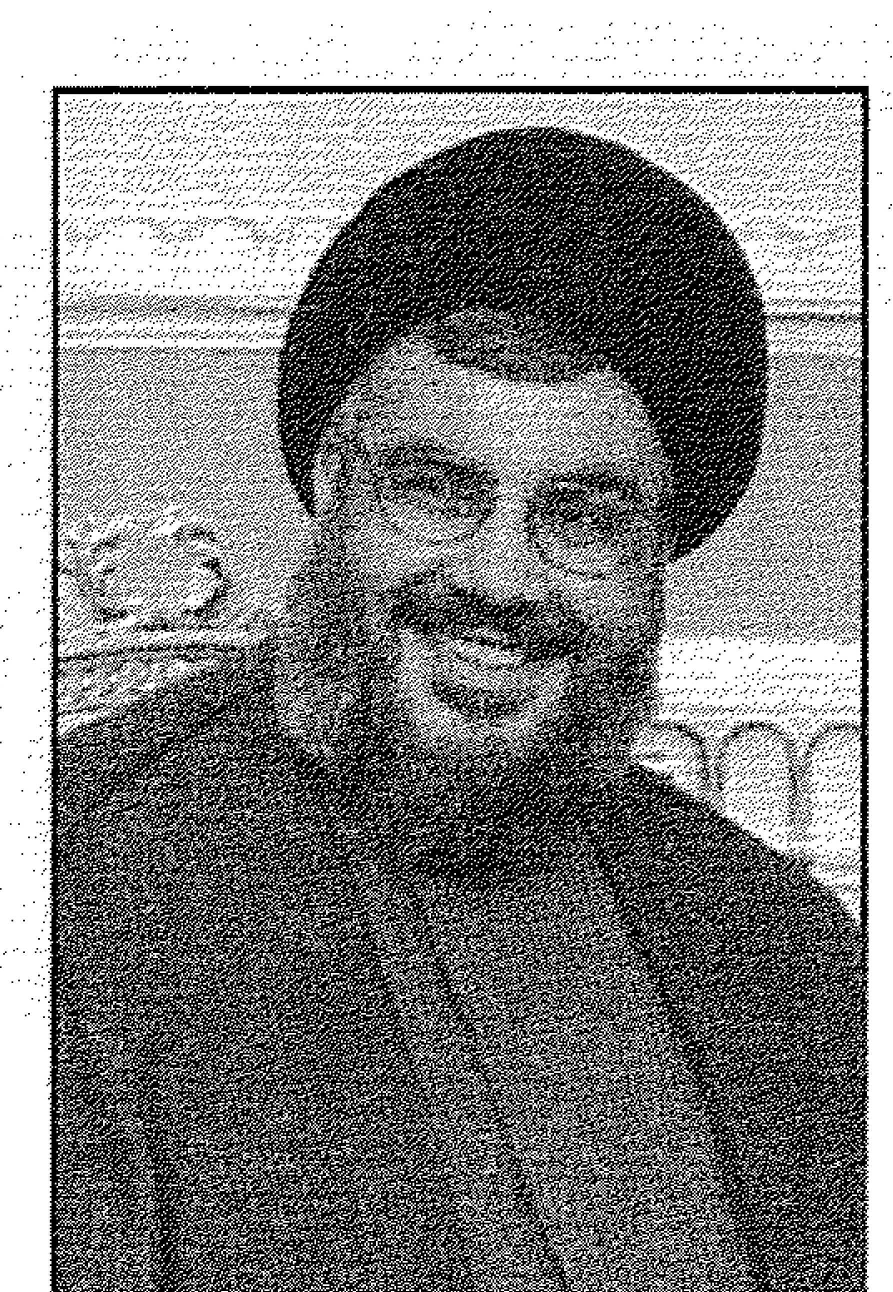
وقد توسعت التجارة بين إسرائيل والبرازيل بشكل كبير، لتتجاوز قيمتها مليار ونصف المليار دولار سنويا. علاوة على ذلك، قامت شركة طيران العال بمد خط طيران مباشر من إسرائيل لساو باولو، كما تم تعميق التعاون فى مجال الصناعة والأبحاث بين الدولتين.

ومن المقرر أن تستأنف القنصلية فى ساو باولو عملها بشكل كامل خلال عام ٢٠١٠. والحديث هنا يجرى عن أكبر مدن نصف الكرة الأرضية الجنوبي، والتى تعد أيضاً مركزاً صناعياً واقتصادياً لكل دول أمريكا اللاتينية. ويبلغ عدد الجالية اليهودية هناك نحو ٨٠ ألف نسمة.

مؤامرة دولية لاغتيال نصر الله

بقلم: روعي نحمياس
يديعوت أحرونوت
٢٠٠٩/٥/٢٢

"إنها استعراض عملي لمواجهة تداعيات المؤامرة الإسرائيلية والدولية لاغتيال نصر الله" هكذا وصفوا في حزب الله مناورة الجبهة الداخلية التي تُعد الأضخم في تاريخ إسرائيل، والتي ستبدأ نهاية هذا الشهر، كما يخشى حزب الله، الذي يسعى لتقوية وضعه خلال الانتخابات اللبنانية التي ستجرى بعد بضعة أيام، أن يكون الجواسيس الذين فُضح أمرهم في لبنان قد قاموا بتصوير نصر الله في الأماكن التي يرتادها.



في إطار المناورة الإسرائيلية "نقطة التحول ٣" سيتم تشغيل صافرات الإنذار في جميع أنحاء إسرائيل الساعة الحادية عشرة صباح يوم الثاني من يونيو، وسيُطلب من الجمهور الدخول إلى مناطق محصنة في توقيتات زمنية تم تحديدها بناءً على التقسيم الجديد للمناطق المحصنة.

وقد تحدث نواف الموسوي، وهو مسؤول رفيع المستوى في حزب الله ومرشح على قائمة الحزب في الانتخابات اللبنانية المقبلة، خلال المقابلة التي أجراها مع صحيفة "الشرق الأوسط" العربية التي تصدر في لندن في عددها الصادر صباح اليوم قائلاً: "إن المناورة العسكرية التي ستبدأ في إسرائيل نهاية هذا الشهر تمثل استعراضاً عملياً لمواجهة تداعيات عملية اغتيال الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله، والتي إن حدثت ستؤدى إلى انفجار الأوضاع في المنطقة". وأكد الموسوى إن "المقاومة تتعامل مع هذه المناورة بكل مسؤولية وجدية ومستعدة لها تماماً، لأن إسرائيل اتخذت قرارها باغتيال نصر الله، وأن هناك دولاً كثيرة متورطة معها في هذا الأمر".

كان نصر الله نفسه قد أعلن بداية هذا الأسبوع في خطابه بمناسبة "النكبة" إنه ينوى رفع حالة الاستعداد بين صفوف حزب الله قبيل المناورة الإسرائيلية. قال نصر الله: "إن المناورة العسكرية الكبيرة التي ينوى العدو الصهيوني القيام بها لهي أمر مهم وحساس للغاية يستلزم بعض التوضيحات". ويبدو أن نصر الله فضّل الاهتمام والتركيز على هذه المناورة لكي يزيد قدر الإمكان من قوته السياسية خلال الانتخابات المقبلة، وحتى يبين للجمهور اللبناني أن "التهديد الإسرائيلي" تهديد حقيقي.

* "يتعقبون سيارات كبار المسؤولين في حزب الله":

وبالتوازي مع ذلك، جاء في تقرير لصحيفة "الأخبار" اللبنانية أن حزب الله بدأ في اتخاذ إجراءات وقائية استثنائية في منطقة نفوذه الممتدة من الجنوب حتى بيروت. وحسب ما نشرته الصحيفة اللبنانية، فقد بدأوا في حزب الله في البحث عن كاميرات تعقب وضعها عملاء لإسرائيل في مداخل البنايات والمحال والمؤسسات.

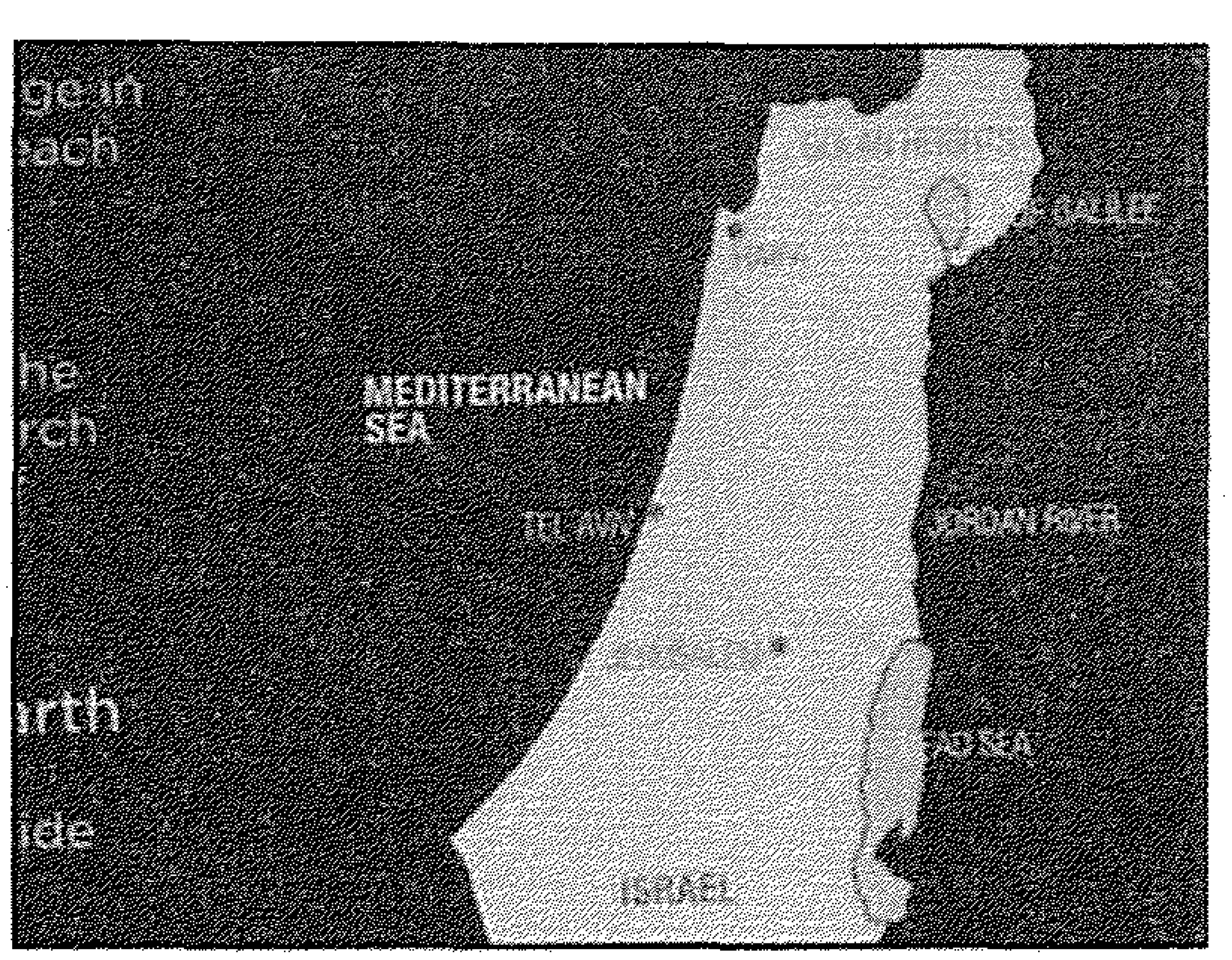
ويخشون في حزب الله من أن تكون تلك الكاميرات بثت بشكل مباشر للعملاء الإسرائيليين أو ربما لمن يقومون بتشغيلهم بواسطة الاتصال عبر الأقمار الصناعية تحركات سيارات كبار المسؤولين في حزب الله في المنطقة. وحسب ما نشرته الصحيفة، فإن هذا الإجراء من جانب حزب الله يأتي للحيلولة دون قيام هذه الكاميرات بتصوير حركة الشارع، وكذلك من أجل معرفة أماكن الكاميرات الموجودة في المنطقة.

كما ورد في صحيفة "الأخبار" اللبنانية أنه تم إلقاء القبض على متهم آخر بالتجسس لصالح إسرائيل يُدعى "زياد س" من سكان قرية شبعا، أول أمس، ولم يتم الإعلان عن تفاصيل التحقيق معه، وكان المتهم قد ألقى القبض عليه بينما كان يتنقل بسيارته (يبدو أنه كان يصور أهدافاً معينة في لبنان بكاميرته)، وتم نقله إلى بيروت لإجراء التحقيقات معه.

إزالة ملصق إعلاني إسرائيلي من مترو الأنفاق في لندن

بقلم: مايا شاني
المصدر: www.news1.co.il
٢٠٠٩/٠٥/٢٣

أفادت وكالة أنباء أسوشيتدبرس (AP) أن الهيئة المسئولة عن وضع الملصقات الإعلانية في بريطانيا، قررت أمس إزالة ملصق إعلاني سياحي إسرائيلي من محطات مترو الأنفاق في لندن، كان يعرض خريطة للأراضي الإسرائيلية تشمل كل من هضبة الجولان وغزة والضفة الغربية بداخلها. وقد صرحت هيئة وضع الملصقات إنها



تقرر إزالة الملصق الإعلاني قائلة: "إننا لا نخلط السياسة بالسياحة".

إن هذه هي ليست المرة الأولى التي تشهد فيها بريطانيا اختلاط الملصقات الإعلانية بالسياسة. ففي الشهر الماضي قدمت شركة الطيران البريطانية (BMI) اعتذاراً بسبب شطب إسرائيل من الخريطة الإلكترونية التي تعرض داخل الطائرة

تلقت أكثر من ثلاثمائة شكوى إزاء هذا الملصق الإعلاني من السفارة السورية، ومن جماعات موالية للفلسطينيين.

وكان المتحدث باسم السفارة السورية في لندن جهاد مقدسي قد صرح بأن السفارة تعمل منذ عدة أيام على إزالة الملصق الإعلاني "العدائي". ومن ناحية أخرى صرحت المتحدثة باسم وزارة السياحة الإسرائيلية بأنه قد

أمام المسافرين. وقد أفادت وسائل الإعلام الإسرائيلية أن رحلات الطيران من لندن لإسرائيل لم تضم أي مدينة إسرائيلية، إلا مدينة حيفا، والتي ظهرت باسمها العربي. أوضحت شركة الطيران البريطانية أن الأمر مجرد خطأ مرده أنها اشترت تلك الطائرة من شركة طيران كانت رحلاتها تتجه إلى مدن عربية.

سوريا: لنستمع ولنتحدث

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٩/٥/٢٥

يحتمل كلام الرئيس السوري، "بشار الأسد"، في دمشق أول أمس تفسيرين متناقضين، أو مكمِّلين، وكله حسب موقف المفسِّر. قال "الأسد" إن فشل عملية استعادة الأراضي التي احتلتها إسرائيل في ١٩٦٧ بوسائل سياسية يبرر "المقاومة" – مصطلح شائع لدى تنظيمات كـ"حزب الله" و"حماس"، ومن الممكن أن يسري أيضاً على أي نشاط عسكري لدولة كسوريا. وأضاف الأسد مع ذلك، أن المسار الذي تفضله سوريا، هو السلام.. فهل يُفهم كلامه على أنه دعوة للسلام أم أنه تهديد بالحرب..؟ الإجابة على هذه المعضلة موجودة بقدر كبير لدى الجانب الإسرائيلي.

لقد أدارت الحكومة السابقة، برئاسة "إيهود أولمرت"، مفاوضات غير مباشرة مع "الأسد" بوساطة تركية. لم تبلغ المفاوضات مداها الأخير، ولم تأخذ شكل لقاءات مباشرة،

وهي اللقاءات التي احتفظ بها "الأسد" إلى ما بعد مجيء إدارة "باراك أوباما".. لدى رئيس الحكومة "بنيامين نتنياهو" استعداد لاستئناف المفاوضات، ولكن "بدون شروط مسبقة"، أي ليس من نقطة توقف المحادثات على المسار التركي، أو في جولات سابقة من الحوار بين سوريا وإسرائيل. يأمل "نتنياهو"، كما هو واضح، أن يوفر موقف "أوباما" الصارم تجاه سوريا، طالما أنها تساعد حزب الله بالسلاح، وتسمح لنشطاء إرهابيين بالتسلل إلى العراق عبر حدودها وتحتمي بإيران – أن يوفر على إسرائيل ضرورة التفاوض مع دمشق بجدية والوصول إلى نهاية للعملية، أي إعادة الجولان بمقتضى قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢.

لقد أزيحت المسألة السورية إلى هامش التصريحات

العلنية فى أعقاب لقاء أوباما - نتنياهو فى واشنطن الأسبوع الماضى، لكن عندما يتم التلويح بآمال التقدم على صعيد السلام الإقليمى، فإن المعنى الرئيسى هو إحراز تسوية مع الدولتين المتاخمتين لإسرائيل من الشمال، سوريا ولبنان، بالإضافة إلى المسار الفلسطينى. إن ثمن التسوية الذى يتعين على إسرائيل أن تدفعه واضح، وفى المقابل من المفترض أن يدفع السوريون، من جانبهم، الثمن متمثلا فى النأى عن إيران، ووقف المساعدات لنشاط حزب الله ضد إسرائيل، وطرد قيادات (الإرهاب) الفلسطينى من دمشق.

حتى الآن، تتنصّل الطرفان من الدفع، لكن الرفض الإسرائيلى يترك المبادرة فى يد "الأسد" (وأوباما)، ومن شأنه أن يوفر لسوريا مبرراً لتوجيه ضربة عسكرية خاطفة ومؤلمة، لكسر الجمود السياسى. لذا، نقول إنه من الأفضل الإصغاء جيداً إلى كلام "الأسد"، والعودة للتحدث معه، بلا إبطاء.

مشروع قانون فى هولندا:

إنكار الكارثة النازية لن يُعتبر جريمة

بقلم: كنعان ليفشيتس
هاآرتس ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٩

أثار أمس الأربعاء مشروع القانون، الذى يسمح بإنكار الكارثة النازية، وبادر به الحزب الليبرالى الهولندي، أزمة فى الأوساط الهولندية، كما أثار حفيظة شخصيات فى المنظومة السياسية والجالية اليهودية. فقد أعلن مارك روتا، رئيس حزب الشعب للحرية والديموقراطية (VVD)، أنه سيقدم مشروع قانون ينص على محاكمة من يحرضون على العنف فقط وليس الكراهية. وأضاف أنه ينبغى السماح للأشخاص فى هولندا بإنكار الكارثة النازية.

وأضاف مقربون من هانز وان بالين، البرلمانى الأوروبى من (VVD) الذى يرأس قائمة الحزب للانتخابات فى البرلمان الأوروبي، بأن وان بالين المعروف بتأييد إسرائيل يعارض مشروع قانون حزبه ويفكر فى إبداء اعتراضه عليه.

وحتى الآن يحظر القانون الهولندى بشكل ما إنكار الكارثة النازية، فقط عندما ينطوى على نوع من التمييز لفئة معينة أو مساس بمشاعر الجمهور. وقال روتا إنه يفكر فى تغيير ذلك فى إطار مشروع القانون الذى يقترحه لإلغاء أى قيود على حرية التعبير.

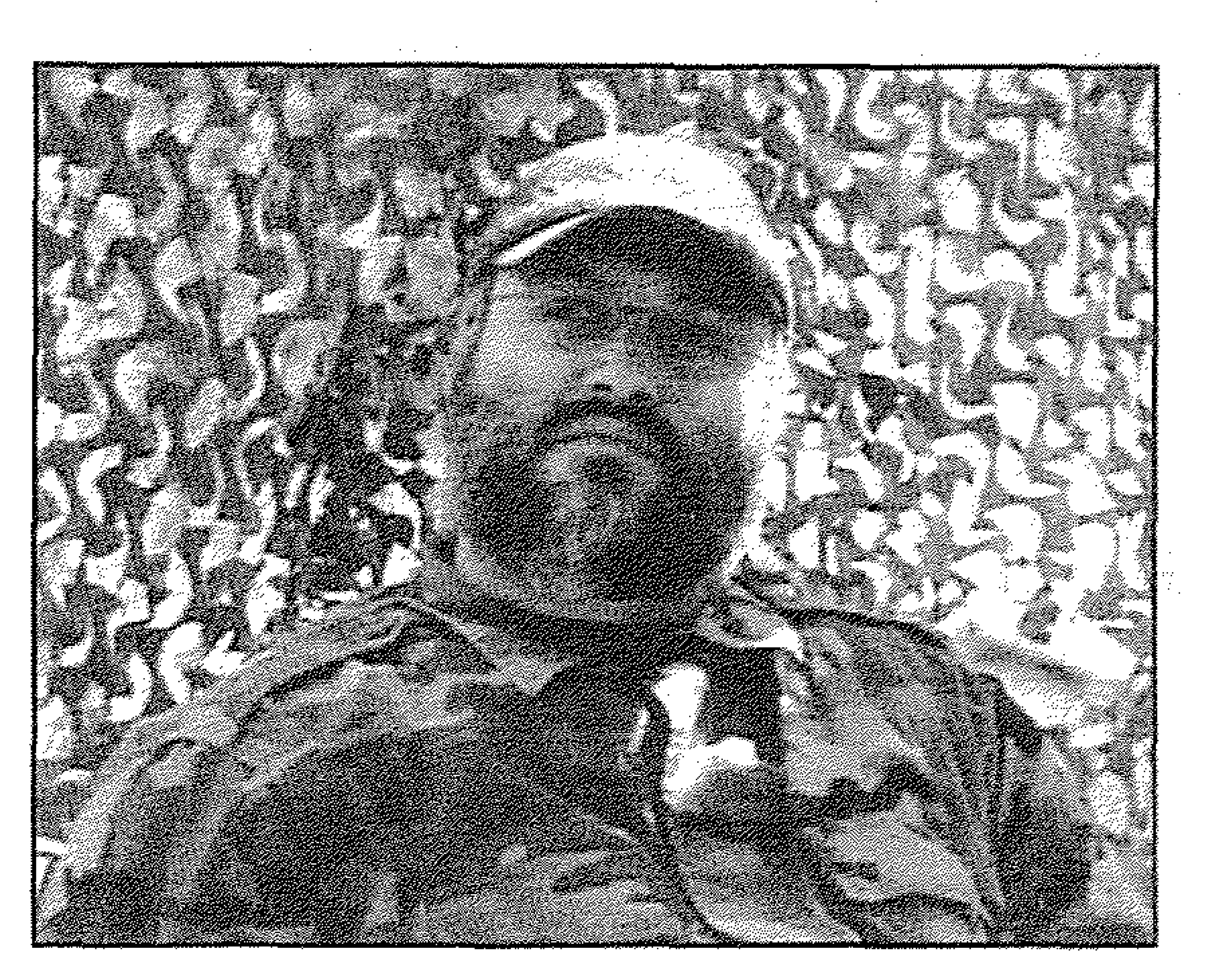
وقال هانك ديه هان، عضو البرلمان السابق لصحيفة هاآرتس: "إن إنكار الكارثة يهدف دائما للمساس بالآخر والتمييز، وعلى المجتمع الهولندى أن يتحصن من ذلك. أنا منزعج من هذا القانون ولا أوافق على رأيه".

إذا تم تمرير مشروع القانون سيجد فيه عضو البرلمان اليمينى خيرت فيلدرز - المقدم للمحاكمة لمساواته القرآن بكتاب هتلر "كفاحي" - الحماية. وقال رونى نفتنئيل، رئيس منظمة CIDI أكبر المنظمات الصهيونية فى هولندا: "إن حالات على غرار فيلدرز لا تتشابه مع إنكار الكارثة النازية لأنه يمكن اعتبارها ازدراء لدين يمكن تغييره. أما إنكار النازية فهو يستهدف عرق، وهو يشبه لون البشرة الذى لا يمكن تبديله. وقال نفتنئيل إن إنكار الكارثة له دائما هدف سياسي، ويعتبر تمييزا، وينبغى استئصال ذلك من الجذور.. وأضاف أن إنكار الكارثة يسبب ضررا نفسيا للناجين. إن روتا لا يشعر بمدى الألم الذى يسببه هذا المشروع بلا داع".

هكذا تم إحباط عملية السفارة الإسرائيلية فى أذربيجان

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٩/٥/٣١
بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

ماذا حدث فى باكو عاصمة أذربيجان بعد أشهر معدودة من اغتيال عماد مغنية أحد قادة حزب الله..؟ تشير تفاصيل أولية نُشرت نهاية هذا الأسبوع إلى أن حزب الله بالاشتراك مع المخابرات الإيرانية، كان ينوى خلال أسابيع معدودة تنفيذ عملية تفجيرية فى السفارة الإسرائيلية هناك.



ذكرت صحيفة لوس أنجلوس تايمز أمس، أن السلطات فى أذربيجان أحبطت العام الماضى عملية انتقامية كان من المفترض تنفيذها فى السفارة الإسرائيلية فى باكو، حيث أوقفت الشرطة سيارة بها متفجرات يستقلها مواطنون لبنانيون، وكانت السيارة محملة بالمواد المتفجرة ونظارات وكاميرات ومسدسات بها كواتم صوت وصور للسفارة.

وصرحت مصادر غربية تعمل فى مجال مكافحة الإرهاب للصحيفة، بأن عملية القبض أحبطت محاولة حزب الله وعناصر إيرانية لتنفيذ عملية انتقامية بعد مرور أشهر معدودة على اغتيال مغنية. وفى الأسبوع الماضى تم توجيه الاتهام إلى المعتقلين اللبنانيين، بالإضافة إلى أربعة من مواطنى أذربيجان اتُهموا بالإرهاب والتجسس كما وجهت لهم تهماً أخرى. وعند بدء المحاكمة تم الكشف عن بعض تفاصيل القضية.

* اغتيال مغنية كان الإشارة:

تعتقد مصادر أوروبية وأمريكية وإسرائيلية أن اغتيال مغنية فى دمشق عام ٢٠٠٨، كان بمثابة الضوء الأخضر لتنشيط الخلايا الإرهابية النائمة من وحدة العمليات الخارجية التابعة لحزب الله التى تعمل بالتعاون مع المخابرات الإيرانية. وقال مصدر أمنى إسرائيلى إن «حزب الله وصل إلى مرحلة صارت له فيها شبكة مستعدة لتنفيذ العملية. يمكن أن يحدث هذا فى جميع أنحاء العالم، فهم يعملون بدأب».

وترجع الخيوط الأولى للقضية الحالية إلى عام ٢٠٠٦، حينما تم القبض على ١٥ مواطناً واتهامهم بالتخطيط لتنفيذ عمليات ضد أهداف إسرائيلية وغربية، واعترفوا بأنهم تدربوا وتلقوا توجيهات من قوات الأمن الإيرانية. وقد وجَّه المسئولون فى باكو الاتهام لإيران بالتدخل فى شئونها.. وفى بداية عام ٢٠٠٨ بدأت قوات الأمن فى أذربيجان ترصد صلة غريبة بين مسلحين محليين واثنين من ناشطى حزب الله. والمشتبه بهما هما «على كراكي» المسئول السابق فى وحدة العمليات الخارجية لحزب الله، و«على نجم الدين» وهو خبير فى المتفجرات وأقل فى المنصب.

* الخطة: تفجير ثلاث سيارات فى نفس الوقت

صرحت مصادر تعمل فى مجال مكافحة الإرهاب بأن الاثنين اعتادا السفر من باكو إلى إيران ولبنان والعودة، منذ بداية عام ٢٠٠٨. واستخدما جوازات سفر إيرانية وأقاما فى فنادق فخمة وترأسا الخلية الإرهابية المسئولة عن التخطيط للعملية. وتشير لائحة الاتهام إلى أن أعضاء الخلية رصدوا السفارة الإسرائيلية فى باكو، المطلة على فندق هيات فى العاصمة، بل وخططوا لتنفيذ عمليات ضد أهداف أخرى.

ويقول المسئولون فى الشرطة إن المشتبه بهم خططوا لتفجير ثلاث أو أربع سيارات فى نفس الوقت بالقرب من السفارة. وتسلح أفراد المجموعة بمئات الكيلوجرامات من المواد المتفجرة التى يبدو أنهم حصلوا عليها عن طريق الإيرانيين، بل وخططوا لتخزين كمية أكبر.

وفى شهر مايو من عام ٢٠٠٨ – أى قبل أسابيع معدودة من تنفيذ العملية المخطط لها – لاحظ الاثنان أنهما خاضعان للمراقبة، وحاولا الهروب إلى إيران. ولكن بفضل العمل الدؤوب من جانب شرطة أذربيجان، تم القبض عليهما وبحوزتهما السيارة المفخخة. وهذا الأسبوع تم توجيه الاتهام لهما. وقال مصدر إسرائيلى إن المعلومات الواردة فى لائحة الاتهام تتطابق مع تلك التى تلقتها إسرائيل.

هكذا يقاطعون المنتجات الإسرائيلية فى فرنسا

بقلم: إيتسيك وولف
المصدر: www.news1.co.il
٢٠٠٩/٥/٣١

فى السابع من مارس دخلت مجموعة مكونة من نحو خمسين مسلما من مؤيدى الفلسطينيين إلى أحد محال مجموعة كارفور فى باريس عاصمة فرنسا وأنزلت من على الأرفف كل المنتجات الإسرائيلية.. قاموا بإخفاء الفاكهة والزهور وأدوات التجميل والملابس الداخلية ومنتجات كثيرة أخرى. وكل هذا باستعراض مصحوب بصيحات عالية ودون أن يمنعهم أحد من ذلك.. وكان من بين الاتهامات التى أطلقها المشاغبون المسلمون أن ما ترتكبه إسرائيل بحق الفلسطينيين ليس قانونيا.

ورغم أن عدد المسلمين فى فرنسا يبلغ أقل من ٤٪ من إجمالى عدد سكان فرنسا، وفقا لمسح أجرى عام ٢٠٠٧، إلا أن ظاهرة معاداة السامية من جانب المسلمين فى فرنسا بارزة عن أى دولة غربية أخرى.

فى بداية الشهر الأخير فقط بدأت فى فرنسا محاكمة المتهمين بقتل اليهودى إيلان حليمى، فقد تم اختطاف حليمى فى ٢٠ يناير ٢٠٠٦، وتم تعذيبه لمدة ثلاثة أسابيع ثم قتل. وقد وقع ذلك بعد أسابيع معدودة من الاضطرابات الشديدة التى اندلعت فى الأحياء الفقيرة فى باريس، وكان أغلب المشاركين فى المظاهرات من الشباب المسلمين، وقد تكهنت دوائر قضائية غير مرتبطة مباشرة بالقضية بأن المتهمين لا ينتمون إلى عصابة منظمة وإنما شباب تأثروا بنظريات وأفكار معادية للسامية.

رئيس وزراء كندا يتلقى جائزة شرفية من الكونجرس اليهودي

بقلم: مايا شيني
المصدر: co.il.www.news١
٢٠٠٩/٦/١

فى الاجتماع السنوى له، منح الكونجرس اليهودى الكندى جائزة "سول هيز" لحقوق الإنسان، إلى "ستيفن هاربر" رئيس وزراء كندا لدعمه لليهودية ولإسرائيل. شارك فى الاجتماع ساسة من جميع الأحزاب، بالإضافة إلى سيلفان شالوم وعَمير جيسين القنصل العام الإسرائيلى فى كندا، وخلال الاجتماع تم التأكيد على حق إسرائيل فى الوجود.



واستغل هاربر الفرصة ليعلن عن قوانين جديدة ستطبقها حكومته، وسيصبح بموجبها من حق المتضررين من الإرهاب محاكمة منفذى العمليات الإرهابية. وقال للمشاركين فى الاجتماع إن "هذا سيساعد الكثير من الضحايا على المطالبة بالعدالة التى يستحقونها منذ وقت طويل، من أولئك الذين ألحقوا بهم وبأسرهم الأذى، كما أن هذا يبعث برسالة واضحة مفادها أن حكومتنا ستجبر منفذى الجرائم على تحمل مسئولية أفعالهم"، ولم يدل هاربر بأى تفاصيل أخرى بشأن تلك السياسة الجديدة.

وتنظر الجالية اليهودية الكندية إلى هاربر باعتباره مؤيداً كبيراً لدولة إسرائيل. وقال هاربر: "أشعر بالقلق الشديد من تحول المعارضة للحكومة الإسرائيلية - فى أطر معينة - إلى تغطية فكرية لحوار معادٍ للسامية. لقد تحول الأمر حالياً إلى عادة لدى مَنْ يزعمون أنهم يدعمون إسرائيل والشعب اليهودى، ولكن عندما يحدث هجوم ضد إسرائيل - لرفض أعدائها حقها فى الوجود - يسارع أولئك إلى إدانة إسرائيل واتهامها بارتكاب جرائم حرب، والمطالبة بأن تعلق حقها فى الدفاع عن نفسها، ولن تسمعوا مثل هذا النوع من الإدعاء من جانب حكومتنا أبداً".

وقد حظت حكومة هاربر بالثناء لكونها أول من أوقف مساعدته للفلسطينيين بعد صعود حماس للسلطة، كما كانت أول من رفض المشاركة فى مؤتمر دربان الثانى، ورفض التوقيع على ميثاق فرانكوفونى ضد إسرائيل.

كما شارك السياسى المعارض مايكل إيجنتايف فى الاجتماع وأعرب عن تأييده لموقف هاربر. وذكر الحضور بأن والده كان دبلوماسياً كندياً شارك فى مؤتمر الأمم المتحدة الذى أوصى بتقسيم فلسطين، "وهى الخطة التى قبلها اليهود ورفضها العرب". وأدان إيران وقال إن كندا لن تقف صامتة عندما تنكر إيران حق إسرائيل فى الوجود، ولن تقف كندا متفرجة بينما ينكر الرئيس الإيرانى الكارثة النازية.

تجدر الإشارة إلى أن عدد أفراد الجالية المسلمة فى كندا يبلغ ضعف عدد أفراد الجالية اليهودية.

٦

المجتمع الإسرائيلى

قانون الولاء يصل الكنيست

بقلم: ميراف دافيد
المصدر: www.nrg.co.il
٢٠٠٩/٥/٢٥

بعد اتهامهم بالعنصرية أثناء الانتخابات بسبب حملة "لا ولاء، لا جنسية" قرروا فى كتلة يسرائيل بيتينو ترجمة الحملة إلى مشروع قانون، والوفاء بتعهداتهم للناخب، حيث سيُطرح مشروع "قانون الولاء" الأسبوع القادم على طاولة الكنيست وسيقضى بمطالبة كل مواطن - بمن فى ذلك مواطنو إسرائيل العرب - بالتوقيع على تصريح الولاء للدولة "كدولة يهودية وصهيونية".

وأثناء الاتصالات الائتلافية، اضطروا فى يسرائيل بيتينو للتنازل عن معظم المطالب فيما يتعلق بقانون الولاء، بما فى ذلك التعهد بعدم طرحه كمشروع قانون حكومى، ولكن الآن بعد أن صدّقوا على قانون النكبة فى اللجنة الوزارية للشئون التشريعية، قرروا فى الكتلة ترجمة شعار حملتهم الانتخابية إلى مشروع قانون خاص.

مشروع القانون الذى سيؤدى إلى حدوث مواجهة مع الوسط العربى يشمل ثلاثة بنود رئيسية، وسيكون التوقيع على تصريح الولاء للدولة شرط الحصول على الجنسية الإسرائيلية. وسيكون نص تصريح الولاء: "أتعهد بأن أكون مخلصا لدولة إسرائيل كدولة يهودية وصهيونية وديموقراطية ولرموزها ولمبادئها وأن أخدم الدولة إذا طلبت لذلك، سواء فى الخدمة العسكرية أو فى أى خدمة بديلة، بموجب القانون".

* عقوبة لمن لا يبدى الولاء:

وفيما يتعلق بالقصر الذين وُلدوا فى إسرائيل، سيكون التوقيع على التصريح شرطا للحصول على بطاقة هوية فى سن ١٦، كما يُطالب كل المواطنين بالخدمة العسكرية أو خدمة مدنية بديلة بمن فى ذلك الحريديم والعرب.

يفرض البند الثالث من القانون فى الواقع عقوبة على من لا يبدى الولاء بموجب القانون. فمن لم يوقع على التصريح أو لم يخدم الدولة من الممكن أن تُسحب منه الجنسية بمقتضى صلاحيات وزير الداخلية.

المقصود من نص مشروع القانون بشأن الخدمة البديلة هو الخدمة المدنية التى كانت تعرف أيضا باسم الخدمة القومية فى مؤسسات الدولة المختلفة.

سيطرح مشروع القانون الخاص عضو الكنيست دافيد روتم من حزب يسرائيل بيتينو، والذى يُعتبر أيضا رئيس اللجنة التشريعية القانونية فى الكنيست.

* لا يمكنه تعريض الدولة الوحيدة لليهود للخطر:

إذا تم تمرير مشروع القانون الأسبوع القادم فى اللجنة الوزارية للشئون التشريعية، وإذا احتكمنا للغالبية التى صدقت أمس فى اللجنة على قانون النكبة، هناك احتمال كبير ومؤكد أن يتم تمرير هذا المشروع فى الكنيست، رغم الاحتجاجات المتوقعة من أعضاء الكنيست العرب وأحزاب اليسار.

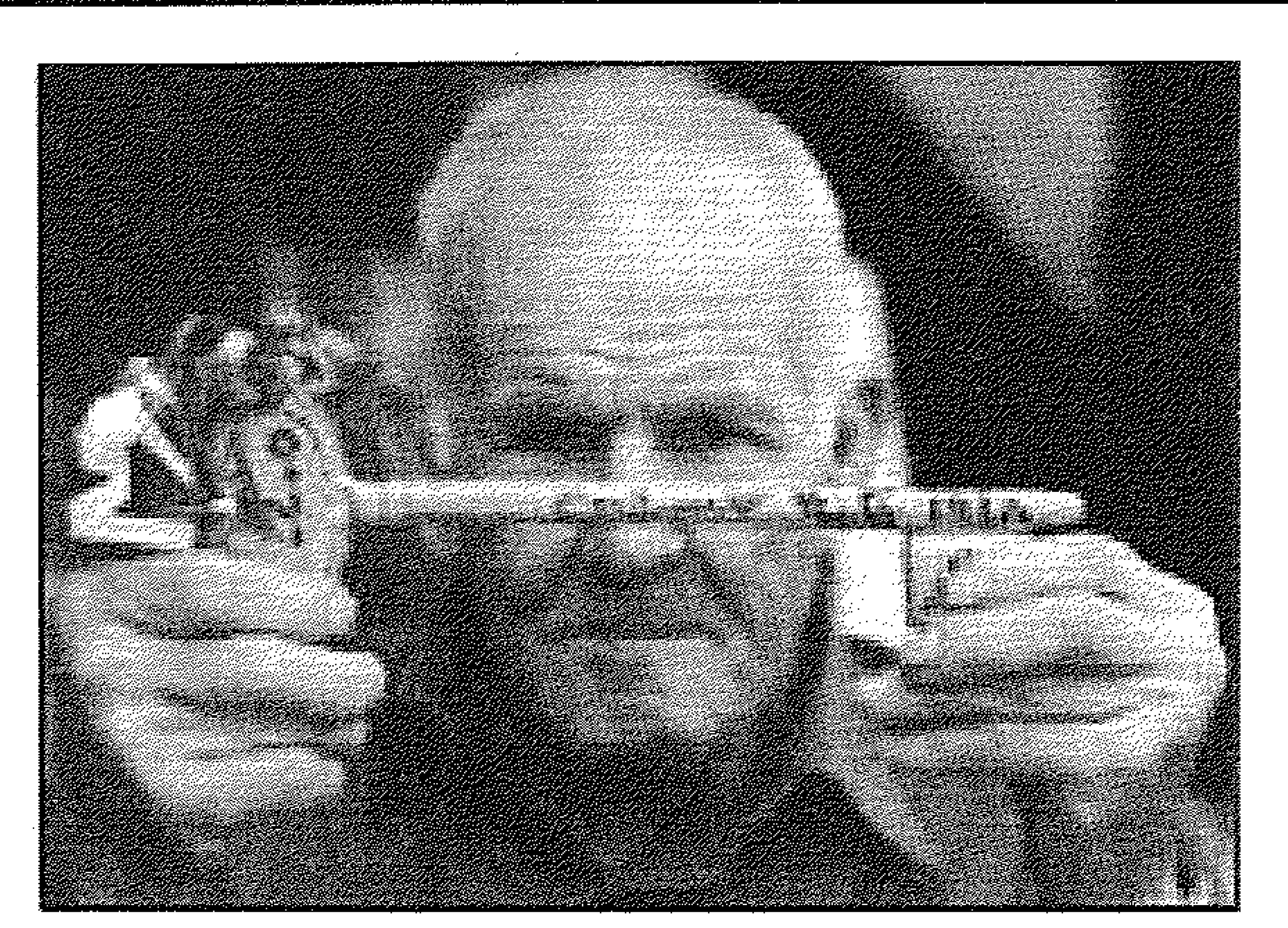
صحيح أن طرح المشروع من خلال رئيس اللجنة التشريعية بنفسه تعطيه أفضلية إجرائية، فهو الذى يحدد جدول المناقشات فى اللجنة، إلا أن عضو الكنيست روتم

يزعم أنه لن يعطى أفضلية لمشروع القانون، وقد أوضح روتم أمس: "دولة إسرائيل هى دولة يهودية، من يرغب فى إنكار وجودها كدولة يهودية، لا يمكن أن يكون مواطنا فى هذه الدولة.. ولا يمكن أن نُعرِّض الدولة الوحيدة للشعب اليهودى للخطر".

وقد ورد فى توضيح مشروع القانون: "اتضح فى السنوات الأخيرة أن المواطنين فى دولة إسرائيل غير مخلصين للدولة، ويتهربون من الخدمة العسكرية أو الخدمة القومية. لذا، جاء مشروع القانون ليربط الجنسية الإسرائيلية بالولاء للدولة ورموزها ومبادئها وبتأدية الخدمة العسكرية أو القومية".

وفاة الديموقراطية فى إسرائيل

بقلم: أورى بركات
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٩/٥/٢٥



إن الاعتقالات الجماعية التى تزامنت مع عملية "الرصاص المنصهر"، واعتقال ومصادرة أملاك رجال حركة "بروفيل حداش"(*)، ومشروعات القوانين التى تمت الموافقة عليها أمس فى اللجنة الوزارية التشريعية - كل هذه الأحداث المتتالية كانت بمثابة مسمار جديد فى نعش الديموقراطية الإسرائيلية.. إذا تحولت مشروعات القوانين التى قدمها أليكس ميلر من يسرائيل بيتينو وزفولون أورليف من البيت اليهودى إلى قوانين وصمدت أمام محك محكمة العدل العليا، فإن الدولة ستعلن بشكل شبه رسمى انتهاء زمن الحرية السياسية فى إسرائيل.

إن مشروع القانون الذى تقدم به ميلر، والذى يحظر الاحتفال بيوم النكبة، فضلاً عن كونه يمثل صفاقة تامة، فإنه يملى على أقلية كبيرة تعيش فى الدولة ما ينبغى عليها أن تفكر فيه، وما ينبغى أن تعتقده. فلا يجب عليها أن تحزن فى ذلك اليوم الذى احتُل فيه وطنها وقُتل فيه أبناؤها وسُلبت منها حقوقها. وإذا حزن أفرادها فعليهم أن يُبقوا ذلك فى منازلهم. لا يجب أن نرى بيننا ما يعتقدوه، فذلك يسبب لنا الإزعاج.

* لو لم يتم الاحتفال بذلك فإنه يعنى أن ذلك لم يحدث:

أما اقتراح أورليف فقد حظى باهتمام أقل، ولكنه اقتراح مثير للاهتمام إلى حد كبير. يقترح أورليف "منع نشر مواد التحريض التى تنفى يهودية وديموقراطية دولة إسرائيل". إن أورليف فى الحقيقة يقترح مصادرة ما أقوله ويقوله آخرون باعتباره مخالفاً للقانون. إننى لا أرفض حق إسرائيل فى الوجود، ولكننى أرفض التناقض الذى ينطوى على ضم لفظى يهودية وديموقراطية.

وهكذا سأستغل فرصة إن هذا القانون لم يسر بعد: إن دولة إسرائيل التى تصف نفسها كدولة يهودية للعالم لا يمكن أن تكون دولة ديموقراطية. ما الذى تخشاه دولة إسرائيل..؟ لماذا تحاول الدولة إسكات بعض الأصوات داخلها..؟ هل بالفعل تعتقد الدولة أنها ضعيفة إلى هذا الحد لدرجة أنها لا تستطيع مواجهة الأصوات التى تتناقض مع الصوت الرسمى..؟ إن الدولة الديموقراطية الحقة من المفترض أن تضم بداخلها مختلف الآراء ووجهات النظر.. ثم هل مشاعر الأقلية الرئيسية التى تعيش فى هذه الدولة تعرض وجود دولة إسرائيل للخطر..؟ وهل رأى اليسار يشكل تهديداً أمنياً..؟.

إن الدول التى حاولت فى الماضى السيطرة على أفكار مواطنيها بهذا الشكل لا تتمتع بالذكرى الطيبة، كما أن لديها دائماً نزوعاً للتداعى والانهيار.. فهل هذا حقاً هو الاتجاه الذى يجدر بنا المضى فيه..؟.

(*) حركة بروفيل حداش هى جمعية نسائية تقدم المساعدة لرافضى الخدمة العسكرية الإجبارية، وتعمل ضد عسكرة المجتمع الإسرائيلى وفرض الصبغة العسكرية عليه، وتحذر منذ إقامتها قبل عشر سنوات من خطورة تأثير النهج العسكرى على المجتمع المدنى، وعلى النهج الاجتماعى، وعلى هذا الأساس توفر الجمعية المساعدة والدعم الاجتماعى لرافضى الخدمة العسكرية من منطلقات سياسية وشخصية.

المكتب المركزى للإحصاء: ارتفاع نسبة البطالة إلى ٦,٧٪ ■

بقلم: عومير رابين
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٩/٥/٢٧

ثمة ارتفاع حاد فى معدلات البطالة خلال الربع الأول من عام ٢٠٠٩، وتفيد التقديرات المبدئية، بأن نسبة العاطلين فى سوق العمل خلال الأشهر الثلاثة الأولى من العام الحالى قد بلغت ٦,٧٪، وذلك فى مقابل ٦,٥٪ فى الربع الأخير من العام الماضي.

يكشف استطلاع القوى العاملة الذى أعده المكتب المركزى للإحصاء، ونشرت بياناته اليوم، أن نسبة العاطلين فى الفئة العمرية من ٢٥ - ٦٤ سنة، الذين يشكلون معظم سوق العمل قد ارتفعت من ٥,٧٪ إلى ٦,٨٪ فى الربع الأول من العام الحالي. ويُقدر إجمالى عدد العاطلين اليوم بنحو ٢٨٨ ألف شخص من بين القوة العاملة المدنية البالغ عددها ٣,٠٠٥ مليون شخص.

كما سُجل ارتفاع فى عدد العاملين فى وظيفة مؤقتة لبعض الوقت لا يرغبون فيها، حيث بلغ عدد طالبى العمل نحو ١١٣ ألف شخص، ولكنهم لم ينجحوا فى إيجاد عمل آخر أو العمل لساعات أطول فى مكان العمل الحالى. وقد بلغ إجمالى نسبة العاملين فى وظائف مؤقتة لا يرغبون فيها ٤,١٪، بينما ترتفع هذه النسبة بين النساء بشكل ملحوظ لتصل إلى ٦,٤٪.

سُجلت أكبر نسبة للعاطلين فى مستعمرات الجنوب، حيث بلغت نسبة البطالة هناك ٩,٢٪، فى حين بلغت نسبة البطالة فى الشمال ٨,٩٪، وبلغت النسبة فى القدس ٨,٤٪، وفى تل أبيب ووسط إسرائيل تراوحت نسبة البطالة ما بين ٦,١٪ إلى ٦,٧٪.

يتبين من بيانات الاستطلاع أن نسبة المشاركين فى القوة العاملة من سكان إسرائيل بلغت هذا العام ٥٦,٨٪، منهم ٦١,٨٪ من الرجال و٥٢٪ من النساء.

الكنيست تقر بالقراءة التمهيدية مشروع قانون يهودية الدولة ■

بقلم: بنحاس وولف
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٩/٥/٢٧

«من تصدر عنه دعوة لنفى وجود إسرائيل كدولة يهودية، يُسجن لمدة عام» - هذا ما أقرته الكنيست اليوم (الأربعاء) بالقراءة التمهيدية. وبحسب مشروع القانون، الذى قدمه عضو الكنيست زوفولون أورليف (من حزب البيت اليهودي)، فإن تطبيق هذه العقوبة يستلزم أن يُفهم من هذه الدعوة أنها قد تؤدى إلى عمل ينطوى على كراهية أو استحقار أو عدم ولاء للدولة أو لسلطات القانون. وحظى مشروع القانون بتأييد ٤٧ عضو كنيست، فيما عارضه ٣٤ وامتنع عضو واحد عن التصويت.

وجاء فى تفسير مبررات مشروع القانون أن "قضية عزمى بشارة تُعلمنا أن التصريحات سرعان ما تتحول إلى أفعال. تصريحات عزمى بشارة التى لم تتوقف ضد هوية إسرائيل كدولة يهودية سرعان ما تطورت إلى زيارات لدول معادية مثل سوريا ولبنان، رغم الحظر المفروض على زيارة دول معادية ورغم الشكوك التى حامت حول نقله معلومات، ومساعدة العدو إبان حرب لبنان الثانية. يجب الحفاظ على طابع دولة إسرائيل كيهودية وديموقراطية وألا يكون هذا الطابع عُرضة للنفى من قبل أى إنسان".

وقد شهدت المناقشة تعليقات غاضبة من قبل أعضاء الكنيست اليساريين، حيث قال جمال زحالقة، رئيس حزب الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة "بلد" خلال الجلسة: "إن أورليف يقترح الزج بمن لا يتفق معه فى السجن. يتعين على الدولة أن تتصرف كدولة ديموقراطية حقيقية لكل مواطنيها. الدولة ليست ملكا لشعب بعينه. إذا قال يمينى متطرف 'الموت للعرب' فلا يكون من الضرورى أن يُسجن، أما من يقول 'دولة لكل مواطنيها' فيمكن سجنه. أنا أطالب بأن نتحدث باسم العقلانية. إنه قانون مهووس. سُنوا مائة قانون ولكننا لن نكون صهيونيين".

ومن جانبه، قال عضو الكنيست عن حزب ميريتس، حاييم أورون: "ماذا تريد بالضبط هذه الحكومة المهووسة..؟ شرطة أفكار..؟ لقد تجاوزتم الخطوط الحمراء. من حق مواطنى إسرائيل أن يعبروا عن رأيهم، ويقولوا إن صيغة اليهودية والديموقراطية هى صيغة غير صحيحة. أعتقد أنهم مخطئون، ثم ما علاقة هذا بالمجال الجنائي..؟!".

وعقّب عضو الكنيست طلب الصانع (القائمة العربية الموحدة - الحركة العربية للتغيير) قائلا: "مشروع أورليف يندرج تحت بند الملاحقة السياسية. إنه مسمار آخر يدقه اليمين فى نعش الديموقراطية، والحقيقة أن اليمين هو التهديد الرئيسى للديموقراطية الإسرائيلية".

وجاء فى بيان أصدرته جمعية حقوق المواطن: "هذه حلقة أخرى فى سلسلة مشاريع القوانين المناهضة للديموقراطية التى تغرق جدول أعمال الكنيست هذه الأيام. وعلى غرار مشروع القانون الذى يحظر الاحتفال بيوم النكبة، فهذا القانون يعد مبادرة وحشية لنزع الشرعية عن الحوار العام المشروع، والهدف منها هو أن يُسكتوا سلفا الحوار الحر حول مسائل جوهرية. نتمنى أن يفيق أعضاء الكنيست وأن يتذكروا أن دورهم هو الدفاع عن حرية التعبير وليس تدميرها".

وكان عضو الكنيست أليكس ميلر (من حزب إسرائيل بيتنا) قد قدم مشروع قانون إلى الكنيست قبل نحو عشرة أيام يطالب فيه بحظر إقامة أى احتفالات أو تظاهرات بمناسبة يوم النكبة. وقد صدّقت اللجنة الوزارية لشئون التشريع على مشروع القانون يوم الأحد، وسيتم عرضه قريبا على الكنيست للتصديق عليه. ويُذكر أن الفلسطينيين يحيُون فى الخامس عشر من مايو كل عام ذكرى نكبتهم عام ١٩٤٨. وبحسب مشروع القانون، سيُحظر إقامة أى فعاليات أو أنشطة عامة لإحياء ذكرى الألم والحزن فى هذا اليوم الذى يوافق يوم إقامة دولة إسرائيل. وينص مشروع القانون على عقوبة تصل للسجن ثلاثة أعوام لمن ينتهك هذا القانون.

التدخين فى إسرائيل يبدأ فى سن الثانية عشرة

بقلم: نعما تلمور
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٩/٥/٣١

أوضح التقرير الذى يدرس حالة التدخين فى إسرائيل لعام ٢٠٠٨ وصدر عن المركز القومى لمراقبة الأمراض فى وزارة الصحة أن الإسرائيليين يواصلون التدخين، وبصورة متصاعدة. ويدرس هذا التقرير، الذى تم تقديمه لنائب وزير الصحة يعقوف ليتسمان بمناسبة «يوم بلا تدخين» الذى بدأ اليوم، قضية التدخين من عدة جوانب، من بينها أسلوب التدخين بين الشباب، وبين جنود الجيش والبالغين فى إسرائيل. وقد تضمن التقرير هذا العام قضية فرض ضرائب على السجائر، وكذلك التدخين بين سكان المستعمرات المحيطة بقطاع غزة خلال عملية الرصاص المنصهر.

يتضح من التقرير أنه فى الفترة بين عامى ٢٠٠٧ و٢٠٠٨ بلغت نسبة المدخنين بين الإسرائيليين ٢٤,٢٪ من إجمالى الرجال، مقابل ١٦٪ من النساء. ومن خلال دراسة التدخين فى الجيش الإسرائيلى، يتضح أن الجنود هم أكبر فئات المدخنين. وبلغت نسبة التدخين بين الجنود، الذين التحقوا بالخدمة العسكرية خلال عام ٢٠٠٨، ٣١٪ من المجندين و٢٨٪ من المجندات.

وبين تلاميذ الصف الثامن، يشير التقرير إلى حدوث انخفاض بنسبة عشرات بالمائة خلال العقد الأخير. وفى استطلاع للرأى أجرى خلال عام ٢٠٠٨ على عينة شملت ١٤ ألفاً من تلاميذ الصف الثامن، ذكر ١,٨٪ أنهم يدخنون يومياً و٤,٥٪ ذكروا أنهم يدخنون على فترات. ويتضح من التقرير أن متوسط أعمار المبتدئين بالتدخين يصل إلى ١١,٨ بين البنين و١٢,٥ بين البنات.

كما تضمن التقرير استطلاعاً لرأى المدخنين بين سكان المستعمرات المحيطة بقطاع غزة خلال عملية «الرصاص المنصهر». شمل الاستطلاع ٤٢٥ مدخناً متوسط أعمارهم يبدأ من ١٩ وحتى ٨٥ سنة من منطقة جنوب إسرائيل معظمهم يدخنون يومياً و١٥٪ يدخنون على فترات. وتوضح نتائج الاستطلاع أن ٦٢٪ لم يتخلوا عن التدخين خلال العملية. ومن بين من لم يتخلوا عن التدخين خلال العملية، أبلغ ٨٨٪ عن حدوث ارتفاع، بحيث ارتفع متوسط السجائر اليومى من ١٧ إلى ٢١ سيجارة لدى الرجال.

كما يشير التقرير إلى أن مدخولات إسرائيل (خلال عام

٢٠٠٧) من شراء السجائر بلغ ٣,٥ مليار شيكل سنوياً. وفى الشهر الماضى ارتفع حجم الضريبة المفروضة على السجائر مما أدى إلى ارتفاع أسعار علب السجائر بشيكلين. وبلغت الزيادة التى حصلت عليها الدولة جراء زيادة الضريبة على السجائر ٧٠٠ مليون شيكل سنوياً. وقد بلغت نفقات شركات التبغ على الإعلانات نحو ٣٧ مليون شيكل من بينها نحو ٢٤ مليون مرصودة للإعلانات مباشرة، والباقى للتسويق والرعاية.

وتعليقاً على التقرير ذكر ليتسمان: «لا تنبع أهمية التقرير من أنه يأتى إعمالاً للقانون الذى ينص على ضرورة قيام وزير الصحة بتقديم تقرير سنوى عن التدخين للكنيست، وإنما فى إطلاع الجمهور على معلومات حديثة عن ظاهرة التدخين فى إسرائيل».

ومن جانبها، ذكرت ميرى زيف، مدير عام جمعية مكافحة السرطان: «هدفنا الحالى، وكذلك نشاط الجمعية طوال أيام السنة، هو مكافحة آفة التدخين. ونحن نناشد كل المدخنين الذين يرغبون فى التوقف عن التدخين بأن يستغلوا هذه الفترة الخاصة للقيام بذلك».

اليهود العلمانيون سيصبحون أقلية فى إسرائيل بحلول عام ٢٠٣٠

بقلم: عوفرى إيلانى
هاآرتس ٣/٦/٢٠٠٩

من المتوقع أن يتغير طابع دولة إسرائيل بشكل جذرى خلال العشرين سنة المقبلة، بحيث يصبح اليهود العلمانيون أقلية فى المدارس وبين عموم السكان. هذا ما تتنبأ به دراسة نشرها خبراء ومتخصصون فى الجهات الاستخباراتية الأمريكية. نُشرت الدراسة التى تحمل عنوان "وجه إسرائيل المتغير" فى المجلة الأمريكية (Foreign Policy)، وتستند إلى معطيات المكتب المركزى للإحصاء، التى تشير إلى زيادة سريعة فى عدد السكان العرب والحريديم فى إسرائيل. وتتوقع الدراسة بأنه بحلول عام ٢٠٣٠، سيشكل العرب والحريديم معاً نحو ٦٠٪ من تلاميذ المدارس حتى سن ١٢ عاماً، ونحو ٤٠٪ ممن يحق لهم التصويت فى الانتخابات.

أعد الدراسة ريتشارد سينكوتا، مستشار الشئون الديموجرافية بمجلس الاستخبارات القومى فى الولايات المتحدة الأمريكية (NIC)، بالاشتراك مع آريك كاوفمان، الأستاذ بجامعة لندن. واستعان الباحثان بالمعطيات الديموجرافية من أجل تفسير الظواهر التى شهدتها الانتخابات الأخيرة فى إسرائيل، ومن بينها تنامى قوة حزب "يسرائيل بيتينو". وعلى حد قولها، فإن نجاح ليبرمان فى الانتخابات جاء نتيجة مخاوف العلمانيين من التآكل المستمر فى قوة الأغلبية الصهيونية فى إسرائيل. وجاء فى الدراسة التى أعدها الباحثان أنه: "كلما تناقصت نسبة العلمانيين بين السكان الذين يحق لهم التصويت فى الانتخابات، كلما ازداد حزب يسرائيل بيتينو قوة. إلا فى حالة ما إذا تغيرت قوانين اللعبة".

ولفت الباحثان إلى أن "الأرقام هائلة، ففى عام ١٩٥٠، أكد المكتب المركزى للإحصاء أن ١٥٪ فقط من التلاميذ فى المدارس الابتدائية سيكونون عرباً أو حريديم، أما اليوم فنحو ٤٦٪ من التلاميذ هم من أبناء هاتين الطائفتين.. ومع حلول عام ٢٠٢٠، سيشكلون أغلبية".

ويشير الباحثان إلى أن متوسط عدد الأطفال للأسرة هو ٧ أطفال فى القطاع الحريدى، و ٣,٩ فى القطاع العربى المسلم.

منذ نحو ستة أشهر توقع تقرير الاستخبارات الأمريكية أن مؤشرات الزيادة السكانية - بحلول عام ٢٠٣٠ - قد تساهم إلى حد كبير فى تغيير تشكيل الكنيست الإسرائيلية. ويلفت البروفيسور سيرجو دى لا فرجولا، المتخصص فى الشئون الديموجرافية بمعهد "الدراسات اليهودية المعاصرة" بالجامعة العبرية، إلى أن بيانات الدراسة معروفة فى الأوساط الأكاديمية الإسرائيلية، غير أن التنبؤات الواردة فيها قد تتلاشى فى حالات معينة. وعلى حد قوله، فإنه من غير الواضح حتى الآن ماذا ستكون معدلات الإنجاب فى القطاع الحريدى خلال الأجيال القادمة، مشيراً إلى أنه من الصعب توقع أن تبقى مصادر الدعم المالي الحكومي الموجه للتيار الديني الحريدى كما هى، وهو ما قد يشكك فى مدى تواصل وتيرة الزيادة الطبيعية فى الوسط الديني بشكل عام. وأضاف أنه فى حالة ما إذا اضطر القطاع الحريدى للاعتماد على نفسه فسيضطر لتقليص معدلات الإنجاب لديه.

الآن يمكننا أن نبدأ العيش

بقلم: نوريت فرجفت
هاآرتس ٤/ ٦/ ٢٠٠٩

ذهبت ماسى بسحيه يوم الثلاثاء لزيارة أحد سجناء معتقل كتسيعوت فى النقب، الذى يُسجن به طالبى اللجوء من إريتريا، وهناك أحاطوها بالأسئلة: "أحقاً ليلى قتلت..؟" فأجابتهم بسحيه، المترجمة فى "مركز مساعدة العمال الأجانب"، قائلة: "لقد أدى مقتل ليلى (كما أطلقن عليها صديقاتها، اللائى طالبن عدم نشر اسمها حتى لا تعلم أسرتها فى إريتريا خبر موتها من الصحف)، اللاجئة من إريتريا والتى يُشتبه بأنها قُتلت على يد رجل من اللاجئين أيضا – أدى مقتلها إلى الشعور بوقوع كارثة بين أفراد الأقلية الإريترية.. فالانتحار أولا والآن القتل.. الجميع أصبحوا يخافون ويتساءلون: ماذا يمكن أن يحدث أكثر من ذلك..؟!".

وكان الشقيق الصغير لليلى، التى كانت تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها عند مقتلها، قد أطلق سراحه من المعتقل الأسبوع الماضى. وقبل وفاة ليلى قالت لصديقتها تساجه وهما فى طريقهما إلى العمل صباح يوم الإثنين: "يمكننا الآن أن نبدأ العيش". ولكن مساء هذا اليوم تربص لها بجوار منزلها الواقع جنوب تل أبيب رجل مسلح بسكين، قام بمطاردتها لعدة ساعات، ثم جذبها من يديها وطعنها عدة مرات فى كل جزء من جسدها. وقد تم استدعاء رجال الإسعاف الذين أكدوا بأنها ماتت. أما المتهم بالقتل فقد تم اعتقاله، وأعلنت شرطة تل أبيب أنه اعترف بالجريمة وأعاد تمثيلها.

وكانت صديقات ليلى، وهن تساجه، وسارة، وكيدستى (اللائى طلبن بعدم نشر اسم عائلة ليلى)، قد ذكروا أن اهتمام ليلى كان يتركز كله على مستقبل شقيقها البالغ سبعة عشر عاما، فهى كانت تعمل فى أعمال النظافة لتدخر الأموال من أجل تعليمه. وكان حلمها الأكبر، كما قالوا صديقاتها، هو تحقيق الاستقرار لحياتها، فهى كانت لا ترى فى التصريح المؤقت، الذى يمكن أن يُلغى فى أى لحظة، الشعور بالاستقرار.

عيد للكتاب العبري

هاآرتس ١٠/ ٦/ ٢٠٠٩
بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

أسبوع الكتاب العبرى الذى يبدأ اليوم هو عيد مفاجىء ومثير للسعادة.. «مفاجىء» لأنه رغم النبوءات التى لا تنتهى عن موته القريب، يتبين فى كل سنة من جديد بأن الكتاب حى يُرزق. عمليا، الشباب يقرأون أكثر مما سبق حتى لو حل هارى بوتر ومصاصو الدماء محل حسمبا (*). وبدءا من هذا المساء سيتدفق مئات الآلاف من الإسرائيليين إلى ساحات عرض الكتب التابعة لأسبوع الكتاب فى المدن الكبرى، ليقيموا بحماسة الطقوس الإسرائيلية شبه المقدسة التى تتواصل منذ عام ١٩٢٦.. ومثير للسعادة لأن الأدب العبرى هو فرع التصدير الأجمل لدينا والوحيد الذى يواصل الازدهار.

مائة سنة فقط مرت منذ أن استيقظت لغتنا العبرية المقدسة من سباتها الذى امتد لآلاف السنين، وهى تزدهر اليوم من خلال أدبها، تتجدد وتمتلىء بروح الحكمة دون انقطاع، جميلة دائمة الشباب، يراها الكثيرون أبرز إنجاز حققته عودة شعب إسرائيل إلى بلاده. وبات الأدب الإسرائيلى قوة عظمى على لغات أخرى أيضا: ففى عشرات الدول يمكن أن نجد فى المكتبات دافيد جروسمان، وتسوريا شاليف، وأ.ب يهوشع، وإتجر كيريت، ويهوديت كاتسير، وعاموس عوز، ينقلون إلى ملايين البشر حلولاً ممكنة للتساؤل المستمر حول كيفية أن يكون المرء إسرائيليا.

أسبوع الكتاب يمنحنا فرصة للبحث فى الوضع الذى آل إليه الكتاب. هذا العام يدور النقاش حول مسألة السعر «الصحيح» للكتاب، وهو نقاش يتخطى المسألة المهمة بالفعل، وهي: ما هى العلاقة «الصحيحة» بين أى دولة وكُتابها. فى هذا الشأن لدينا الكثير مما يجب علينا أن نعمل على تحسينه. إسرائيل من بين الدول القليلة التى تُفرض فيها ضريبة قصوى على أجر الكتاب والفنانين؛ وهى اليوم الدولة الغربية الوحيدة، باستثناء بلغاريا، التى تُفرض فيها ضريبة قيمة مضافة كاملة على الكتب؛ وباستثناء منح التفرغ السنوية التى تُقدم، والآلية الناجعة والمفيدة فى المكافآت للكُتاب مقابل استعارة كتبهم من المكتبات، لا تزال إسرائيل ينقصها منظومة

داعمة متنوعة ومحترمة للكُتاب ممن لا يمكنهم أن يرتزقوا من بيع كتبهم، أى الأغلبية العظمى من الكتاب والشعراء.

أسبوع الكتاب ليس عيدا «علمانيا» وليس عيدا «دينيا» فقد ولد بمبادرة تجارية، ولكنه امتلأ بالمضامين الثقافية والاجتماعية، ويستخدم كمنصة للخلافات المتأججة على مكانة الأدب فى المجتمع، وهو نقاش حى ومشوق تفتخر هذه الصحيفة بمتابعته منذ بدايته.

(*) حسمبا هى مجموعة قصصية للأطفال تتناول فترة إقامة دولة إسرائيل من خلال مساعدة أبطال المجموعة القصصية - وهم من الأطفال - للهاجاناه فى الكفاح ضد الانتداب البريطانى قبل قيام الدولة ومساعدة الجيش الإسرائيلى بعد قيام الدولة.

كيف يتركون النساء فقيرات..؟

بقلم: إفرايم دافيدى
يديعوت أحرونوت
٢٠٠٩/٦/١٦

ما المشترك بين خطاب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو فى جامعة بار إيلان وقرار الحكومة الذى صدر فى نفس اليوم بالاعتراف بنفقات رعاية الأطفال بأنها نفقات تستوجب تخفيض الضرائب عنها..؟ كالمعتاد، فى حكومة نتنياهو المقصود بخطوة إلى الأمام خطوتين إلى الخلف.

رئيس الوزراء "اعترف" بالدولة الفلسطينية، ولكن بشروط تحول الفكرة بأكملها إلى مزحة مؤسفة. كما اعترف أيضا باستحقاق نفقات تربية الأطفال للتخفيض الضريبى عنها، ولكن التعويض الذى ستحصل عليه النساء - إن حصلن على شيء - يعتبر أيضا مزحة مؤسفة. إن مشروع القانون الجديد الذى أعدته وزارة المالية وتم التصديق عليه، يثبت أن وزير المالية يواصل جهوده من أجل تفريغ حكم المحكمة العليا بشأن الاعتراف بنفقات رعاية الأطفال كنفقات تستوجب التخفيض الضريبى عنها من مضمونه.

وفقا لمشروع القانون الذى ارتضوه فى وزارة المالية، ينبغى إضافة نقطة استحقاق (أو ضريبة دخل سلبية) للطفل حتى خمس سنوات، وذلك بدءا من عام ٢٠١١. المغزى من وراء إضافة نقطة استحقاق فعلى هو: زيادة الراتب بمبلغ يُقدر بنحو ١٨٠ شيكلا شهريا فقط، فى حين أن تكلفة الرعاية فى دور حضانة اليوم الواحد أو لدى مربية متنقلة تتراوح بين ١٥٠٠ إلى ٣٥٠٠ شيكل على الأقل. كما بحث المشروع الحكومى منح مكافأة نسبية بما يتفق مع شهور العمل، إلا أنه تجاهل حجم الوظيفة بما لا يسمح للنساء اللائى يعملن فى وظائف لبعض الوقت بالتمتع بهذه الميزة.

وينص الحكم الذى سرى على قضية فيريد برى (*) على أنه ينبغى تنفيذ مبادئ الاعتراف بإعفاء نفقات الرعاية من الضريبة عام ٢٠١٠، بينما رفضت وزارة المالية فعليا، وفقا لمشروع القانون الحالى، الزيادة فى الأجور حتى ٢٠١٥.

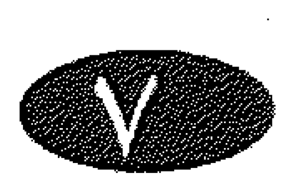
من المهم تعويض الأسر عن نفقات تربية الأطفال، ومن الأرخص فى دولة إسرائيل إرسال الابن أو الابنة إلى الجامعة عن إدخال ابن أو ابنة لدور حضانة.. ومع كل التأييد لمقدمات الالتماس الذى مهد الطريق للاعتراف بالنفقات، وكل الإدانة للموقف المتهرب لوزارة المالية، فقط ثلث النساء اللائى يعملن فى إسرائيل يسددن ضريبة دخل. هن لسن مخالفات للقانون: راتبهن قليل جدا، لذلك هن غير ملزمات بتسديد الضريبة.

إذا تم أيضا التعويض كما حددت المحكمة ("إنفاق مستحق للضريبة") أو كما ترغب الحكومة (نقاط استحقاق فى عام ٢٠١٥) ستظل معظم النساء - لاسيما الفقيرات منهن - خارج دائرة الاستحقاق لأى تسهيلات.

وقد أجروا فى منظمة نعمات تقييما لكافة الاقتراحات، وتوصلوا إلى نتيجة مفادها أن الدعم الكامل لدور حضانة اليوم الواحد ودور الحضانة حتى فترة الظهيرة حتى ٨ سنوات لن يكلف أكثر من الاستقطاع الضريبى من نفقات رعاية الأطفال. ولإرساء العدالة مع كل الأمهات العاملات، وليس فقط مع الأمهات المثبتات بينهم، ينبغى السعى لحل ستعارضه وزارة المالية بضراوة: دعم دور حضانة اليوم الواحد، وتوسيعها، وإقامة دور حضانة لليوم الواحد، فى التجمعات السكنية التى مازالت دور الحضانة غير موجودة فيها (أيضا على غرار القرى العربية) ومن الممكن أن يوفر هذا الدعم الحقيقى حلا اجتماعيا، لا يميز بين أقلية النساء التى تحصل على أجر جيد والأغلبية الكبيرة التى تعمل وتعانى من الفقر.

(*) طلبت المحامية فيريد بيرى استقطاع المبالغ التى دفعتها لدار الحضانة من ضريبة الدخل، وعندما رفض طلبها موظف تقدير الضرائب، قدمت استئنافا للمحكمة التى قررت استحقاق نفقات رعاية الطفل لتخفيض ضريبى.

◆ ترجمات عبرية ◆



حوارات

■ حوار مع رئيس الهستدروت "عوفير عيني"

أجرى الحوار: ناحوم برنياع
يديعوت أحرونوت
٢٠٠٩/٥/١٥

** سوبر عيني:

فى الساعة التاسعة من صباح أول أمس، توجه عوفير عينى للنوم نوم المنتصر. ففى الساعة الحادية عشرة استيقظ على رنين الهاتف من ديوان رئيس الوزراء، وقال نتنياهو: "استدعيت المراسلين الصحفيين للشئون الاقتصادية الساعة الثانية والنصف، وأتمنى أن تكون بجواري".

دعا نتنياهو المراسلين إلى مكتب المجلس الوزارى المصغر، وهو الشرف المحفوظ لكبار الوزراء بوجه عام. كان هناك مديرو مكتبين للعلاقات العامة لمساعدة الحكومة على تسويق هذا الحدث. قام نتنياهو بالسماح لإيهود باراك بالجلوس إلى يساره، ويوفال شتاينيتس إلى يمينه وبجواره عوفير عينى وشرجا بروش، رئيس اتحاد أرباب الصناعات.. كل واحد منهم امتدح الميزانية وبالغ فى الثناء على رفاقه.

دار نقاش حول مضمون القرارات التى تم اتخاذها. البعض وفى مقدمتهم محافظ بنك إسرائيل ستانلى فيشر يمتدحون، والبعض الآخر يوجه الانتقادات. لا جدال حول أسلوب اتخاذ هذه القرارات، فقد كان أسلوباً ملتوياً وقبيحاً وينطوى على إهمال، مما أدى إلى تغير الجدول العام بعدة مفاهيم. هذه



هى المرة الأولى التى يتم فيها التصديق على الموازنة العامة للدولة دون الرجوع إلى شعبة الميزانيات. يمكن تشبيه ذلك، مع المبالغة، بقرار حكومة باحتلال غزة دون الرجوع إلى هيئة أركان الجيش الإسرائيلى. وقد تعرض كبار شعبة الميزانيات، "دورية الأركان الخاصة فى جهاز خدمات الدولة" كما يطلق عليهم إيهود باراك، للإهانة. كما تم تهميش وزارة المالية تماماً بعدما كانت أقوى الوزارات.

واستقال رئيس شعبة الميزانيات رامى بلينكوف. لم يكن على استعداد لتحمل المسئولية عن الموازنة العامة التى تم التصديق عليها، وعلى أسلوب التصديق عليها. وأعرب رفاقه عن غضبهم. وخلال جلسة مجلس إدارة المالية صباح يوم الثلاثاء حاول شتاينيتس رفع معنويات كبار المسئولين بوزارة المالية. وقال مدير عام الوزارة يورام آريئاف بلهجة حادة: "طالما يهمشون شعبة الميزانيات العامة تماماً، سيتضرر الاقتصاد الإسرائيلى من الناحية الإستراتيجية".

وتمنى بلينكوف أن يحدث العكس.. بمعنى أن يمر الوقت ويتضح أن المنتصر هو الخاسر والعكس صحيح. على المستوى الشعبى فى إسرائيل يعتبر الانتصار مقدمة للهزيمة، والهزيمة مقدمة للانتصار. ومن هم على شاكلة نتنياهو يدركون هذا

الإحساس جيداً.

لا جدال على هوية المنتصر فى هذه القصة، فهذه الصفقة تم إبرامها بإيعاز من عوفير عينى بناء على مطالبه وتصوراته، رغم أنه لم يسبق أن استجابت أى حكومة يسارية لرئيس الهستدروت .. لا فى السنوات الأخيرة ولا فى الماضى البعيد، حيث كان الرئيس يكتفى بلقب الأمين العام للهستدروت فقط.

فى جريدة "حيروت" اليومية، التى كانت الجريدة الناطقة بلسان الحزب الذى تمخض عنه حزب الليكود فيما بعد، حرصوا على وضع اسمين بين أقواس لكى يشعروا بأنهما مزيفان، ووهميان، ومآلهما الزوال.. الاسم الأول كان "الأردن": لم تعترف حكومة بيجين بوجود المملكة الهاشمية، والاسم الثانى هو "الهستدروت" فقد كان الحزب يرفض أيضاً الاعتراف بوجوده.

أعطانى عينى نسخة من الخطاب الذى وقَّع عليه نتنياهو أول أمس. ويلتزم فيه نتنياهو بتغيير تسعة قوانين تتعلق بقوانين العمل، حيث سيتم فرض غرامة مالية على صاحب العمل الذى سيعرقل أى اتحاد عمالى، وسيكون بمقدور محكمة العمل النظر فى دعاوى التشهير المرتبطة بنزاعات العمل، وسيتم فرض واجبات على مقاولى الخدمات فى شعبة الأمن والنظافة، وسيتم تمديد فترة سريان تقادم قوانين العمل، وسيتم فرض قيود على إقالة العامل المريض، وغيرها.

ينتمى عينى إلى شجرة أنساب الشخصيات العامة الآخذة فى الانقراض، الذين يحظون بتقدير شديد أيضاً من جانب خصومهم. ويقول وزير المالية السابق رونى بارأون عنه أنه: "ذكى وقوى. ولذا كان يجب عدم السماح له بالسيطرة".

مظهره الرمادى، الذى يشبه موظف الضرائب الكلاسيكى، مضلل، وهو يخفى وراءه رغبة حديدية، ذكاء المتفاوض ونظرية. على عكس سابقيه لم يكن عوفير عينى المبعوث الذليل للجان الكبيرة، فهو مصلح اجتماعى، ولا يستمد قوته من الشارع، ولا من المظاهرات والإضراب، وإنما من المكاتب المغلقة، والمتاجرة أمام المسئولين والساسة. وخلال فترة عمله لم تشهد إسرائيل أى إضراب، وهذا يمثل مكسباً ضخماً للاقتصاد.

ويستمد عينى قوته من ثلاثة أوتاد: تحالفه مع شرجا بروش - بروش يطلق على ذلك "زواج رائع" - وسيطرته على لجان الموظفين، ومكانته الخاصة داخل حزب العمل. فقد أدخل حزب العمل الحكومة، ولذا فإن باراك وكذلك نتنياهو مدينان له ومرتبطان به، وهو المسئول عن تنصيبهما، ويقدر على إقصائهما.. فهو سوبر عينى.

وبالأمس أدلى عينى بحوار شامل لصحيفة "يديعوت أحرونوت"، كان هذا الحوار مثيراً، ولا يرجع ذلك فقط إلى أن العملية الاقتصادية قامت بناء على المعايير التى وضعها، وإنما لأنه التزم الصمت منذ بداية المفاوضات.

* كيف توصلتم إلى هذا الاتفاق..؟

- "أعتقد أنه كان من المفترض أن يكون الأمر مختلفاً. نحن فى حاجة لخطة اقتصادية توفر حلولاً للمقالين، وتوفر فرص عمل. وقلت لهم: دعونا نضع خطة تنطوى على التفاؤل: لنرى كم تكلفتها، ثم نبدأ. والأمور لم تسر بسهولة.. فى بداية المشوار، قبل أسبوعين أو ثلاثة، كانت وزارة المالية قد أعدت خطة اقتصادية لم نشارك فيها. قمنا بمفاوضات وكنا على وشك التوصل لاتفاق، ولكن ظهر حينها قانون التسويات، وكان يتضمن بنوداً مشددة للغاية...

"كانت وزارة المالية تدار بصورة عادية. لم يستوعبوا هناك أننا وأصحاب العمل متحدون وعلى استعداد لضم الحكومة إلى مائدتنا المستديرة. وكان رجالات وزارة المالية يظنون أنهم سيحضرون المناقشات للاستماع إلى ما سيقدمه العمال، وكانت لديهم قائمة مطالب، وكانوا يرغبون فى خفض الرواتب بنسبة ٥٪ والإضرار بصناديق استكمال الدخل، وإلغاء زيادة الرواتب والإضرار بالمعاشات. وكانوا يتوقعون أن نساهم بـ١٢ - ١٥ مليون شيكل...

"أوضحت أننى لا أعتزم إجراء مفاوضات على ما سنقدمه دون التوصل لاتفاق مبدئى بشأن الخطة الاقتصادية، ودون إعادة صياغة قانون التسويات. أى إسهام من جانب العمال سنوافق عليه، سيذهب مباشرة للعمال فى القطاع الخاص، وليس لتمويل الاتفاقات الائتلافية...

"وقلت، لن يتم إبرام أى صفقة إذا لم تحطم الحكومة إطار الموازنة العامة، وإذا لم توفر المزيد من الأموال. يجب عليكم أن تدركوا أنه توجد هنا أزمة من نوع آخر...

"يوم الأربعاء الماضى انفجرت المفاوضات. وفى المساء أعلنت وزارة المالية قراراتها: خطة بلينكوف. تجاوزت هذه الخطة وزير المالية وتم وضعها على مكتب رئيس الوزراء.. قلت لهم لن أقدم لكم شيئاً، وعليكم أن تصدروا هذه القرارات. وفى اليوم التالى، عندما قرأ الجمهور القرارات اندلعت عاصفة جماهيرية ضخمة.. وكانت هذه العاصفة هى المحفز لإجراء المفاوضات. وكانت فى صالحى، وعلى عكس مزاعمهم، لم تكن هناك أى مؤامرة، فلم أكن أعلم بأمر هذه القرارات، ولم أدع إلى اتخاذها...

"وقد أبلغنى شتاينيتس أنه يرغب فى التعاون، ولكن كانت هناك فجوة كبيرة بين وزير المالية ومرؤوسيه. لم يكن المرؤوسون يرغبون فى التعاون. وهم يعتقدون أنهم أصحاب القرار، وأن العمال لا دور لهم...

"عندما شاهدت أن وزارة المالية تبذل كل ما فى وسعها للحيلولة دون إبرام الصفقة، قلت فى لقاء مع نتنياهو إننى أرغب فى لاعب آخر يجيد إبرامها. ولما سألنى نتنياهو مَنْ هو..؟ قلت له أى شخص، المهم أن يؤيد الصفقة.. أبلغنى

نتنياهو برأى شتاينيتس وبلينكوف بأن أورى يوجاف هو هذا الشخص. ولحظة أن دخل يوجاف فى الصورة بدأنا فى إحراز تقدم".

بشكل أو بآخر يعتبر شتاينيتس المسئول عن إشراك يوجاف فى المفاوضات، الأمر الذى همش من دور شتاينيتس شخصياً. فى مطلع الأسبوع الماضى، قبل انهيار الصفقة، ذكر نتنياهو أن كل شيء مهيأ للتوقيع على اتفاق. حان الوقت لدعوة كل الأطراف المعنية وإبرامهم لهذه الصفقة.. وقال نتنياهو ليس لدى متسع من الوقت، وقام بإرسال أورى يوجاف.

هناك من يصف تسلسل الأحداث بصورة مختلفة. فقد تمت صياغة مشروع الموازنة العامة وقانون التسويات داخل شعبة الميزانيات العامة بصورة منتظمة. ومرت بكل المراحل المعتادة حتى وصلت لرئيس الحكومة. وكان أورى يوجاف مشاركاً فى مناقشة كادر المستشار الاقتصادى لرئيس الحكومة. وكانت لديه فكرة خلاقة: تساءل عن سبب الحاجة لكل هذه البنود الصغيرة فى قانون التسويات. عليكم إلغاؤها وبدلاً منها جمدوا كل المخصصات الصغيرة. ولأن حجم التضخم المالى قليل - ٦,٠٪ - سيكون المساس بأصحاب المخصصات المالية ضئيلاً، ستة شيكلات نظير كل ١٠٠٠ شيكل، الأمر الذى سيؤدى إلى توفير مبلغ كبير.

تحمس نتنياهو بشدة لهذه الفكرة، وكذلك كبار المسئولين بوزارة المالية. وسرعان ما تم إعداد الكتيب الذى يتضمن تفاصيل القوانين التى سيتم تجميدها: فالجميع كان يعمل تحت ضغوط رهيبة، لأنه إذا لم يتم استكمال التصديق على الموازنة فى الكنيست قبيل ١٤ يوليو، سيتم إقصاء الحكومة وإجراء انتخابات عامة جديدة. لم يتضمن الكتيب أى شروح. وفى النهاية تم الإعلان عن تفاصيل الكتيب فى المساء. وصباح اليوم التالى حدث إضراب، وحاولوا داخل وزارة المالية تفهم الأبعاد الحقيقية لهذه القرارات حتى تحظى بتأييد عريض، ولكن نتنياهو أصيب بالذعر. وخلال ساعتين أصدر أوامره بإعادة كل المخصصات المخطط استقطاعها لكبار السن والأطفال والمعاقين والناجين من أحداث النازية، وتم دفن فكرة يوجاف، ولكن خلال عملية الدفن أصبح يوجاف الرجل صاحب الرأى فى الاتصالات لإنقاذ الموازنة، وهو لم يتحمل أى مسئولية، ولكنه كان يمتلك كل الصلاحيات. وكانت كلمته تعادل كلمة رئيس الحكومة، ووزير المالية ورئيس شعبة الميزانيات العامة، وكان يقرر الإصلاحات التى سيتم إدخالها، ويقرر قبول أو رفض مطالب الهستدروت وأصحاب العمل.

شارك بلينكوف بصورة فاعلة فى المناقشات مع يوجاف.. كان يتمازح معه كثيراً، ومع ذلك كان يكن له كراهية شديدة، وكذلك شتاينيتس الذى كان لا يزال وزيراً للمالية، وكان من الواضح احتمال حدوث انفجار فى أى وقت.

يعتقد عينى أن احتجاج كبار مسئولى وزارة المالية غير مبرر. وهو يقول: "فى أى دولة عصرية، بمقدور ممثلى الجمهور اتخاذ قرار يخالف رأى مرؤوسيهم، والمرؤوس الذى لا يعجبه ذلك، عليه الاستقالة وعدم السعى لتغيير القرارات بعد صدورها.

"هذا لم يحدث هذه المرة فقط مع هؤلاء اللاعبين، وإنما حدث أيضاً مع إيهود أولمرت عندما كان يحاول تمرير أموال لموازنة الأمن. كلهم مؤهلون، وكلهم يرغبون فى صالح الدولة، ولكن يجب عليهم أن يدركوا أن من حق وواجب القيادة السياسية اتخاذ القرارات".

* هذا لم يكن سهلاً. فأنت تمثل حافزاً اقتصادياً وسياسياً فى مواجهة كبار مسئولى وزارة المالية. وهذا يساعدك أيضاً كما يقولون على سرقة الخزانة.

- "إننى فخور لأننى أمثل أداة ضغط سياسية لصالح المسنين والمعاقين والعمالة غير المنظمة، والعمالة التى فقدت مصدر رزقها.. فى عام ٢٠٠٣، عندما كنا ضعفاء، ألحقوا الضرر بمخصصات التقاعد وبالأجور وبالمتقاعدين. أضربنا لمدة ١٠٠ يوم ومع ذلك ألحقوا الضرر بنا - وحينها غيرت وجهة نظرى، وقلت إننى لا أرغب فى المزيد من الإضراب، وقررت العمل بالسبل السلمية، وأنه فى حالة حدوث مساس بالعاملين يكون مساساً معقولاً...

"من المؤكد أن لدينا مطالب، وقد شاركنا فى هذه المفاوضات بهدف الحصول عليها. ومع ذلك، كنا نرغب فى وجود خطة تؤدى إلى تحقيق النمو الاقتصادى. إذا لم يكن بروش وأنا هناك، كان سيتم التصديق على الموازنة بلا أى أمل فى المستقبل".

* من ضمن ما سيتحمله الجمهور الإسرائيلى تقليص بنسبة ٦٪ من نشاط المصالح الحكومية، و٦٪ أخرى فى العام القادم. وهذا يبدو غير جاد وغير واقعى.

- "لا أضمن أن هذا الأمر سيتوقف عند ٦٪. بل سيتوقف عند نسبة أقل من ذلك. وهناك تغيرات خلال مناقشة الموازنة فى الكنيست.. وقد شاركت فى هذه المعركة بسبب فقدان عشرات الآلاف من العمال لأماكن عملهم خلال الأشهر الأخيرة. يكاد لا يمر يوم ولا أسمع عن مصنع يقيل بعض العاملين فيه. كنت أرغب فى منحهم الأمل...

"فى النهاية لا يجب أن ننظر للعملية وإنما للنتيجة. فهذا حل كبير لمشاكل واجهناها خلال الأزمة. حتى لا يقوم أى مصنع بإقالة عامل، وضعنا نظاماً لحصول العامل على إجازة، يقوم خلالها المصنع بسداد مخصصاته الحكومية، وتقوم الدولة بدفع راتبه".

* قضيتم على اللعبة الطبيعية بين العمال، وأصحاب العمل والحكومة. وهذا تصرف عادل خلال الأزمة، ولكنه ليس جيداً كوضع دائم، وهو تصرف فاشى من الناحية الأيديولوجية.

- "سأبلغك بما قمنا بتغييره. فى الماضى تعاونت الحكومة

مع أصحاب العمل ضد الهستدروت. واليوم الوضع تغير، فقد اتفقنا مع أصحاب العمل على أننا ندير العملية بالحوار، وتمنينا أن تنضم إلينا الحكومة. فالتعاون ليس أمراً سيئاً".

* هل تمنيتم أن تسير الأمور على هذا المنوال دائماً.

- "نعم، فهذا أمر جيد. لماذا يجيد الإسرائيليون الاتحاد خلال الحرب، ولكن عندما تنتهي الحرب يعودون للخصام..؟".

* ربما لأن النقاش هو لب الديموقراطية.

- "احذر من الخطأ. فهناك نقاش دائم. فكرة المائدة المستديرة تقوم على أن الحكومة تمتلك صلاحياتها، ونحن نمتلك حق الإضراب، ولكن إذا كان بالإمكان حل مشكلة قبل إعلان الإضراب، فمن الأفضل حلها. سأبذل قصارى جهدى لمنع الإضراب - فالإضراب تصرف غير جيد، ويضر بالمواطنين...

"من الصعب منع الإضراب.. فالإعلان عن الإضراب أسهل بكثير، ولكن فى نهاية الأمر، الإضراب ليس فى صالح العمال. واللجان بدأت فى استيعاب ذلك".

شاهد كبار المسئولين فى وزارة المالية عينى وبروش يجلسان فى الطابق السادس من مبنى الوزارة ويديران الأمور بعيداً عنهم. وطلب بروش إلغاء الأسلوب الجديد المتبع لفحص الحسابات الضريبية إلكترونياً، وقال إنه نظام معقد. وترى وزارة المالية أن تطبيق هذا النظام يتيح الكشف عن الغش الضريبى الذى يصل إلى مليارات الشيكلات. وقد تعامل يوجاف بجدية مع مطالب بروش، وتم حذفها من جدول الأعمال فور رفضها بقوة من جانب شتاينيتس وآريئاف.

وفى قضايا أخرى حقق بروش نجاحات أكبر. فعلى سبيل المثال، ألغى الضريبة التى كانت وزارة المالية ترغب فى فرضها على المشروبات الكحولية نظراً لمعارضة منتجى الكحوليات الإسرائيليين. وكانت وزيرة الرياضة ليمور ليفنات ترغب فى إضعاف مكانة المراكز الرياضية، وعارض عينى ذلك، بسبب مركز العامل الرياضى، ووصلت هذه القضية إلى مكتب نتنياهو الذى أجلها لنقاش آخر.

كان من المفترض أن يختفى البث التليفزيونى التعليمى، الذى لا يسهم بشيء للتعليم، ولكنه يكلف ميزانية الوزارة الضئيلة ٩٠ مليون شيكل سنوياً، داخل هيئة البث. ولكن هذا الخطر زال، ومارس عينى الضغوط، وقدم شكوى لوزارة المالية، ولكن الحقيقة أن عينى ليس مذنباً: فهناك كتيبة منظمة جيداً من الوزراء ورجال الإعلام يتمتعون بخدمات البث التعليمى أو يكسبون منه.

كان عينى محبوساً لأيام داخل مبنى وزارة المالية. وبطبيعة الحال، كان يحاول حل قضايا أخرى تشغله، فضلاً عن المشاكل الواردة فى قانون التسويات. وكان المسئولون فى وزارة المالية موجودون وجاهزون ومنصتون. وكان أكثرهم موضوعية إيلان ليفين، المسئول عن الرواتب، وتحدث مع عينى عن الصفقة، وعن مشاكله الأخرى.

على سبيل المثال، رواتب هيئة الصناعات العسكرية. كان من المفترض أن تحول وزارة المالية ووزارة الدفاع مبلغ ٥٦ مليون شيكل لهيئة الصناعات العسكرية، نصف هذا المبلغ من وزارة المالية، والنصف الآخر من وزارة الدفاع، حتى تتمكن الهيئة من سداد رواتب موظفيها. ومرت خمسة أيام على موعد السداد، ولم تصل أى أموال. ومارس عينى الضغوط. وتم تحويل الأموال فى صباح يوم التصديق على الموازنة العامة.

مثال آخر: قضية زيادة راتب موظفى صندوق المرضى العام، حيث توصل عينى لاتفاق لزيادة الرواتب بنسبة ٥٪ فى إطار خطة ناجعة، ووافقت الحكومة على منح الصندوق نسبة ٢٪ من الـ٥٪، ولكن وضع الصندوق كان سيئاً. ولذلك، اقترح عينى أن تدفع الحكومة نسبة الـ٣٪ الباقية، ويقدر المبلغ بنحو ٤٢ مليون شيكل، وهذه المسألة بالطبع كانت محل حوار بين عينى ويوجاف.

واتهم بلينكوف أورى يوجاف بالرشوة. عندما طرحت أسئلة على عينى فى هذا الشأن، رفض الإجابة. وعندما ضغطت عليه، اكتفى بالمقولة التالية: "هذا هراء. فموظفى صندوق المرضى العام فى نزاع عمل منذ شهرين. وأنا أعالج هذه المسألة فى إطار عملى. وأنا سعيد لأننى خلال مناقشة الصفقة أتيح لى الوقت للحوار مع المسئول عن الرواتب وتمكنت من زيادة رواتبهم بنسبة ٥٪".

كانت هناك قضية أخرى ناقشها عينى مع يوجاف تتعلق بصورة مباشرة بالعمال التابعين لبلينكوف. وفى وقت لاحق اعترف عينى لإيهود باراك بأنه أخطأ فى ذلك، وأخبره بأنه يطلب العذر من بلينكوف.

وتوضح هذه المواقف أن الخطوط تم تشويهها: حيث أجرى عينى عدة مفاوضات مع نفس الأشخاص. ويوجاف، الذى كان مجرد ضيف فى وزارة المالية، تخبط وبدأ فى التصرف كأنه صاحب المنزل. لم تكن هناك أى شبهة للرشوة، وإنما الشكشوكة الإسرائيلية العادية.

أجرى نتنياهو مناقشات الموازنة العامة بالتوازى مع الاستعداد لزيارته لواشنطن، التى يوليها أهمية كبيرة وله كل الحق.. "أنت تعانى من مجهود زائد".. هذا ما قاله له إيهود باراك. وقد برر باراك تكليف يوجاف بالمفاوضات بأن بلينكوف معارض للصفقة، ولم يكن أمام نتنياهو خيار آخر.

يصف نتنياهو إعداد الموازنة العامة بأنها مجموعة من القرارات التى اتخذها بنفسه من خلال إظهار مثابرة وعزيمة. ويصف باراك إعداد الموازنة العامة بأنها مجموعة من القسريات التى فرضها الاتفاق الائتلافى مع حزب الليكود، فضلاً عن الواقع على الأرض وقوة عينى وبروش، وهو يمتدح نتنياهو

على إجادته للعمل عكس تصوره، فالواقع تغير ورغم ذلك هو يجيد التأقلم.

فعلى سبيل المثال، كان هناك جدل حول الضرائب، وقال كبار مسئولى وزارة المالية إنه نظراً لتفاقم العجز، فلا مفر من رفع الضرائب. جزّ نتنياهو على أسنانه ولكنه تفهم الموقف، وكان على استعداد لتقليل نسبة ١٪ من الخفض المتوقع على ضريبة الدخل. وقد عارضه يوجاف.

ولذلك لم يكن هناك مفر من زيادة ضريبة القيمة المضافة، وفرض ضريبة القيمة المضافة على الفواكه والخضراوات، وزيادة سقف التأمين القومى وخفض كبير لميزانيات المصالح الحكومية. وقد لازم كبار مسئولى وزارة المالية الإحساس بإضاعة الفرصة. فقد كانت خطتهم مبنية على تجميد رواتب القطاع العام والخفض الكبير لميزانية الأمن. وأجهض عينى وباراك هاتين الخطوتين. ومن وجهة نظر وزارة المالية، فقد تعرقل جدول الأولويات. النفقات الموازناتية لم تختف، وكذلك العجز، ولكن لا مجال للتغيير، ولا وجود لزعامة اقتصادية على غرار زعامة باراك أوباما.

وداخل دهاليز وزارة المالية زعموا أن يوجاف نجح فى إبرام صفقة، ولكنها صفقة فاشلة، وكان الجمهور على استعداد لتجميد الرواتب فى القطاع العام، وهذا ما لم يحدث، فلم تجن الصفقة لا الأموال، ولا المناخ المطلوب.

خلال فجر وصباح يوم الثلاثاء جلس نتنياهو وباراك وشتاينيتس وعينى وبروش ويوجاف لمناقشة التفاصيل. كانت هناك خمسة مطالب أخيرة لعينى وخمسة أخرى أخيرة لبروش - وقال أحد الحضور إنه شعر بالحرج لمشاهدة رئيس الحكومة ووزيرا الدفاع والمالية يناقشون قضايا صغيرة. وكان الوزيران يحاربان من أجل ميزانية وزارتيهما. لم يكن من قبيل المفاجأة أن يكون وزراء حزب إسرائيل بيتنا هم أكبر الفائزين، أولاً وزير السياحة، الذى عرض فى ظل غياب ليبرمان - الذى كان يتابع عبر الهاتف - مطالب وزراء حزبه. لم يتم خفض أى أموال من وزاراتهم، كما أن وزير الأمن الداخلى حصل على زيادة. وقد أجرى نتنياهو، الذى وافق على إملاءات حزب العمل، عملية توازن فى تعامله مع حزب ليبرمان. فمن بين ما حصل عليه حزب إسرائيل بيتنا كان هناك مبلغ ٦٩٢ مليون شيكل زيادة لوزارة الخارجية برئاسة ليبرمان للإعلام. يبدو أن هناك حاجة للمزيد من الأموال لتقليل حجم الضرر الإعلامى الذى تسبب فيه ليبرمان منذ توليه هذا المنصب.

وتساءل أحد المرؤوسين عن سبب الاهتمام بالتصويت على هذه الصفقة، وأضاف أن هناك أغلبية لكم داخل الحكومة. فقال شتاينيتس: "هناك كنيست أيضاً". وقال نتنياهو إن هذا ما يحدث دائماً فى أى ميزانية، وأى حكومة. فى الحكومات السابقة كان هذا يمر بهدوء ولكنهم يهاجموننى شخصياً.

ويقول عيني: "لا أحب تقسيم النتائج لفائزين وخاسرين. صحيح أننى كنت مسيطراً فى المفاوضات، ولكننى لم أنتصر. فأنا لا أدير الدولة".

* هل من الصحيح أن الحكومة ضعيفة، وأنك تملأ الفراغ..؟

- "ربما يكون قد ظهر فراغ ما.. أعتقد أن حقيقة أن هناك حكومة - لولا تدخلى لكانت حكومة ضيقة - زادت من قدرتى على التأثير".

* ألا تشعر بالندم..؟

- "عندما أدخلت حزب العمل الحكومة، أيقنت أنه يجب مساعدة أى رئيس حكومة منتخب. فنجاحه هو نجاح للدولة.. وفشله هو فشل للدولة، وهو ما خلق لدى نوع من الالتزام. وعلى مدار شهر من المفاوضات كانت هناك أزمات كثيرة، وأدركت أن أى مقولة من جانبى تنم عن الفشل، لن يكون لها تداعيات على العمال فقط وإنما على الدولة بأسرها. كان حزب العمل سينسحب من الحكومة مما سيؤدى إلى تفكيكها. ولذا فقد التزمت الصمت على مدار شهر المفاوضات. كنت فى حاجة للمزيد من ضبط النفس، والصبر. كانت هناك لحظات فى الوقت الضائع كفيلة بانهيار الصفقة، من بينها نشر كتيب القرارات. كان بإمكانى مهاجمة القرارات أو مواصلة المفاوضات. وقد اخترت طريق المفاوضات. والناس لا يدركون مدى صعوبة الشجار بسبب كل بند.. يجب الحفاظ على مكانة وزارة المالية، والحفاظ على التوازنات. ومن انتهك هذه التوازنات هى وزارة المالية. كانت تمتلك القوة كلها، ونحن كنا نحاول الحصول على القليل. وأنا سعيد لأننا غيَّرنا هذه الفكرة".

* ما رأيك فى وزير المالية..؟

- "شتاينيتس.. إنه وزير جديد، لديه الكثير من النوايا الطيبة. ليس لديه باع فى الاقتصاد، ولكنه وزير منتخب. إذا حظى بدعم رئيس الحكومة وبدأ فى الحوار معنا، سيحقق نجاحاً كبيراً. يجب السماح له بقضاء شهر العسل.. أقام معى علاقات تقوم على الثقة. والثقة هى شيء لا يستهان به".

* هل تخلى نتنياهو عن وجهة نظره..؟

- "لا أعتقد أنه تحول لإنسان اجتماعى. أعتقد أن الحياة أقوى منا جميعاً. فقد أجبرته الظروف على التساهل، ولا يرجع ذلك للتغير الأيديولوجي".

* أنت تتباهى بأنك لست سياسياً. فماذا فعلت فى الأسابيع الأخيرة، إن لم يكن ما قمت به عملاً سياسياً..؟

- "صحيح أن الوضع بدا كما لو أننى أدير الأمور بالقوة، ولكن من الحكمة أن تستخدم القوة بالعقل.. ولأننى أدركت مدى قوتى، فلم أسارع فى استخدامها وقت الأزمات. من لديه المزيد من القوة، يجب أن يبدى المزيد من المسئولية. يجب أن ندرك دائماً أن دولتنا على شفا أزمة".

حوار مع "أورى يوجاف" المستشار الاقتصادى لرئيس الوزراء

بقلم: آريئيلا هوفمان
يديعوت أحرونوت
٢٠٠٩/٥/١٥

يوم الأربعاء الماضى، ذهب موظفو المالية والمستدروت ومستشارو رئيس الوزراء لنيل قسط من الراحة. بعد أسبوع من الليالى البيضاء التى قضوها فى إعداد مشروع الميزانية الشائك، وما تخللها من إحباطات، واستقالة رئيس شعبة الميزانيات، قاموا بإخلاء الطاولات وأفرغوا المكاتب. بعضهم خرج من هناك فى ساعات الظهيرة، والبعض الآخر قبل غروب الشمس. ولم يبق هناك غير أولئك الذين أرسلوا لتمثيل وزارة المالية و/ أو ديوان رئيس الوزراء - المتحدثون باسمه والمتحدثون المتطوعون - وإيضاح كيف تم إعداد تلك الطبخة، وكيف احترقت الطبخة، وكيف خرجوا جميعاً - أو كلهم تقريباً باستثناء عوفير عينى - بأوجه متجهمة من هذه الصفقة برمتها، بمن فيهم وزير المالية، الذى يبذل جهداً شبه بطولياً لجعل مشواره قصة نجاح.

منذ بضع أسابيع فحسب، قبل حدوث كل هذا، وقبل نزولهم منهكين ومرهقين إلى الشارع، كان الأمر يبدو وكأنه رحلة عادية فى الطريق لتقديم ميزانية. فلا يوجد شيء لم تشهده وزارة المالية منذ ٦٠ عاما، ولا شيء لا يستطيع ديوان رئيس الوزراء إدارته بها فى ذلك بالطبع المواجهات والتهديدات الحتمية، والحيل والخدع، ناهيك عن الصراعات التى تنشأ بسبب بنود الميزانية وقانون التسويات.

ما لم يخطر ببال المسئولين فى المالية، ولم يتوقعوه ويستعدون له، كان حقيقة أن هناك لاعباً آخر دخل الملعب، المستشار الاقتصادى لرئيس الوزراء أورى يوجاف، الذى تفوق خلال فترة قصيرة على رجال وزارة المالية، وأدار المباراة من فوق رؤوسهم، وجعلهم يركضون فى أرض الملعب بدون كرة. يقول مسئول كبير بوزارة المالية: "حتى لو كانت النتيجة النهائية مريحة لنا، وهو ما لم يحدث هذه المرة، فإن هذا السلوك لم يكن سلبياً. فقد عمل أشخاص على إعداد مشروع الميزانية هذا على مدار شهور. هذه ليست خطة ولدت مساء، وفى الصباح يكتشف رئيس الوزراء ما بداخلها. إننا بصدد روتين عمل منظم ومنطقى فى ضوء التعاون الوثيق والمتواصل مع رئيس الوزراء. جدير بالذكر أن كتاب الميزانية وقانون التسويات، هما المصدر الذى خرجت منه كافة الإصلاحات فى مرافق الدولة: مرفق المياه، والطاقة، وسوق الاتصالات، والموانىء، والعقارات. حتى ازدهار قطاع التكنولوجيا المتطورة (الهايتك) بدأ بشعبة الميزانيات. إننا بصدد مجموعة ممتازة من المتخصصين المتفانين فى العمل، ولاؤهم الأول للاقتصاد، وليس لأى مصدر سياسي".

"هذا ويعرف يوجاف - بصفته شخص أتى من هناك - هؤلاء الأشخاص جيداً. إلا أن هذا لم يزعجه فى شطب بنود من جدول الأعمال، دون أن يحرك ساكناً. وإننى أتساءل كيف كان سيرد لو كان هو رئيس شعبة الميزانيات، وشخص آخر تصرف هكذا أمامه".

**** قفاز ليد نتنياهو:**

عندما نذكر أورى يوجاف، من السهل جداً التعرف على أى جانب يقف الضيف أثناء الحوار. فى الجانب الأول نذكر أنه نشأ فى وزارة المالية ويعرف ما الذى يتحدث عنه، وأنه نسى بعض الحيل التى لم يتمكن رام بلينكوف - رئيس الشعبة المستقيل - من تعليمها له. فهو يعرف الدسائس، ويعرف كيف يتعامل معها. حقاً إننا بصدد إنسان معتدل المزاج، يتمتع بكاريزما، حكيم ومبدع. وعلى الجانب الآخر، يقولون إنه لا يمكن وصف يوجاف بأنه أحد رجالات وزارة المالية. فمن جانبه، الوزارة هى محطة سريعة ومريحة للمشروع القادم بالقطاع الخاص.

ويقول معارضوه: "هذا رجل يستطيع أن يعرف، وبسرعة، أى الجانبين أكثر ربحية. رجل المالية الحقيقى ما كان ليسمح لنفسه بالتصرف هكذا. هناك فرق لو أن أحد الساسة وصفنا بـ'صبية المالية' أو تحدث عن غطرستنا فى التعامل، وبين وضع يتصرف فيه رئيس شعبة ميزانيات سابق بهذه الطريقة".

بدأ يوجاف مشواره فى شعبة الميزانيات كمراجع حسابات فى الشئون الزراعية والاستيراد الحكومى. وكان فيكتور مدينا فى حينه مدير عام الوزارة، وكان هو أيضاً من عرض على يوجاف أن يكون مساعده الشخصى. ومع انتهاء ولاية مدينا استقال يوجاف من وزارة المالية وانتقل للأعمال الخاصة. وفى عام ٢٠٠٢ قام وزير المالية سيلفان شالوم بتعيينه رئيساً لشعبة الميزانيات، وفى عام ٢٠٠٤، بعد استقالته من منصبه، أسس يوجاف شركة "فيت فيتر" (بالاشتراك مع مستثمر آخر يرفض يوجاف الإفصاح عن اسمه)، التى تعمل فى مجال تطوير تكنولوجيا المياه.

كما جلب يوجاف لإسرائيل بيتزا دومينوز وآيس كريم "Häagen-Dazs"، وكان ممثلاً لمستثمر أسترالى فى

إسرائيل، وأدار شركة المشربات "بلاسترو" التى تم بيعها فى وقت لاحق بربح كبير لشركة أمريكية كبرى. والآن ينتقل يوجاف إلى شركة الكهرباء أيضاً ليشغل منصب المستشار التنفيذى للإصلاح الشامل المقرر لهذا المرفق، ويتقاضى شهرياً مبلغ ٣٠ ألف شيكل تقريباً.

بدأ التعارف بين نتنياهو ويوجاف عندما قام آريك شارون بمنح نتنياهو حقيبة المالية عام ٢٠٠٣. ويقول المقربون من الاثنين إن "يوجاف الذى لم يعتد إخفاء آرائه ومواقفه كان مناسباً ليكون قفازاً فى أيدى نتنياهو. كلاهما واثق من أنه لا يوجد شيء لا يمكن تلخيصه وتبسيطه. لا يوجد موضوع لا يمكن تلخيصه فى ثلاث كلمات، ثلاثة أسطر أو ثلاث جمل. استغرق بيبى يومين حتى أغرم به واكتشف أنه لا يستطيع تسوية أموره بدونه".

جدير بالذكر أن خطة التصحيح التى يعتبر نتنياهو مبتكرها، قام ببلورتها من أجله يوجاف، والمحاسب العام بوزارة المالية فى حينه نير جلعاد، والمسئول عن سوق المال آيال بن شالوش. والآن، يعتبر يوجاف أحد الشخصيات المقربة جداً من رئيس الوزراء، وهو الذى حرر وأعد الكتاب الاقتصادى الذى كتبه نتنياهو مؤخراً حول فترة ولايته كوزير للمالية، وهو الذى أتى بآيال جباى ليعمل الآن كمدير عام لديوان رئيس الوزراء.

ولا ينسى معارضوه ذكر المكاسب المترتبة عن هذا القرب. كما يذكرون أن مستشار رئيس الوزراء يوجاف لا يعمل تطوعاً، أو بأجر محدد بالشيكلات السنوية، مثلما زعم فى حينه أحد المقربين منه، وإنما يعمل وفقاً لتعريفة المحاسب العام لاستشارات الخبراء - بحسب ساعات العمل. ويقول يوجاف "أعتقد وأتمنى ألا يكون ذلك أكثر من بضع عشرات الساعات شهرياً. على أية حال، ليس لدى مكتب وسكرتيرة فى ديوان رئيس الوزراء، وعندما أذهب إلى هناك استعين بخدمات مكتب المجلس الاقتصادى الاجتماعى برئاسة البروفيسور عمانويل ترختنبرج".

ويقول أحد ضيوف هذا الحوار إن "حقيقة تعيينه كمستشار خاص لرئيس الوزراء، بينما لازال يحتفظ بأعماله الخاصة فى مجال تكنولوجيا المياه ومشروعات الكهرباء، تحمل فى طياتها بذور للإنتقاد الموضوعى، الذى قد يؤدى إلى ربط خطير بين المال والسلطة".

ويقول خبير اقتصادى رفيع المستوى: "المستشار القانونى للحكومة ومفوض جهاز خدمات الدولة ناما أثناء نوبة الحراسة عندما لم يطالبانه بالاستقالة من كافة مناصبه. إذا كان يريد المساعدة، فليأت لأداء خدمة الاحتياط، ولا يخلط بين أعماله الخاصة وأعمال الدولة".

على أية حال، بحسب معارفه، فإن الصراع حول الميزانية أجبر يوجاف على الخروج على عادته وإنهاء يوم العمل فى السادسة مساء. فقد حرص يوجاف (٤٨ سنة)، متزوج وأب لخمسة - حرص طوال سنوات عمله فى المالية على تفريغ وقت مناسب لأسرته. ويقول الأشخاص الذين عملوا معه إنه "لم يتغيب قط عن حضور المحافل الخاصة بأولياء الأمور أو احتفالات نهاية العام الدراسى، وكان شريكاً كاملاً فى الرحلات المدرسية. حتى فى اليوم الذى عرضت فيه الخطة الاقتصادية لعام ٢٠٠٣ على الكنيست، ذهب يوجاف إلى المنزل للجلوس مع أطفاله".

"كان بيبى يشتاط غيظاً من ذلك. ذات يوم أنهى جلسة فى العاشرة مساء، وطلب استدعاء يوجاف إلى مكتبه. فقالوا له إنه غير موجود، وإنه عاد إلى منزله. طلب بيبى الاتصال به هاتفياً فى منزله. وكان الهاتف غير متاح. وأثار ذلك غضب بيبى. وفى اليوم التالى استدعى يوجاف، وسأله لماذا لم يكن فى مكتبه فى ذلك الوقت مثل كل رؤساء القطاعات الآخرين. فأجابه يوجاف: لدى أسرة، وكل من لديه سؤال، عليه أن يطرحه على حتى ساعات ما بعد الظهيرة. وبعد ذلك، هناك نواب ومساعدون يستطيعون الإجابة على كافة الأسئلة".

كما اتضح أن يوجاف يقدر بشدة الإمكانيات التى توفرها الحياة الرغدة لمن لديه الفرصة للتمتع بها: رحلات أسرية فى أنحاء العالم (على سبيل المثال، رحلة أسرية لبضعة أسابيع فى كرافان يجوب أنحاء جزر جالاباجوس وأستراليا ونيوزيلاندا). عندما يكون فى إسرائيل، يكتفى بالشاليهات المطلة على البحر وألعاب التسلية الأسبوعية مع الأصدقاء لتصفية الذهن على طريقته الخاصة.

ومن شبه المؤكد أن المبرر الذى يسوقه أصدقاؤه المقربون لتدخله الكبير فى مشروع الميزانية، أكثر مما يستلزمه منصبه كمستشار، هو عدم وجود خيار آخر. "بمنتهى البساطة اكتشف يوجاف أن رئيس شعبة الميزانيات، رام بلينكوف - الذى كان محل ثقة وزير المالية السابق رونى بار أون - ينتهج خطاً يتعارض وموقف رئيس الوزراء. على سبيل المثال، كان بيلنكوف يعتقد أنه يجب الاستثمار فى تطوير الطرقات، بينما فضل رئيس الوزراء الاستثمار فى البنى التحتية للسكك الحديدية. وفى أعقاب هذا الجدل بدأت عمليات التسريب لوسائل الإعلام".

من البدهى أن المسئولين بوزارة المالية يعقبون على ذلك بسخرية شديدة. "يوجاف مثل نتنياهو، يعشق بشدة الخصخصة، وأنه ببساطة يقوم بخصخصة وزارة المالية. لقد تجاوز شعبة الميزانيات وأوجز تفاصيل الميزانية دون أن يشاركه أحد من الوزارة. هذه ليست مجرد فضيحة أخلاقية ومهنية فحسب، وإنما أمر يعد من الخطورة بمكان. هذا نموذج كلاسيكى للصلاحية المفتقرة للمسئولية، حيث إنه

عملياً أدار مفاوضات فاشلة".

** أنا معروف لدى الأمريكان:

بعد ارتياحه بضع ساعات، تفرغ يوجاف للرد على نقاده. فمن جانبه، الأمر يتعلق بخلافات بسيطة فى الرأى، وهو أمر يصاحب بالضرورة أية مفاوضات حقيقية. ولا يعتبر يوجاف ما حدث حرباً بينه وبين أصدقائه فى المالية، ويبذل جهداً كبيراً فى التقليل من قيمة الخلافات فى الآراء: الجانبان وجدا صعوبة فى الوصول لاتفاق، وهو عمل كممثل للجنة تحكيم فحسب، ونجح فى سد الهوة بين الصقور. إنه موجود هنا من أجل شعب إسرائيل، ولذا فإن لديه استعداد حتى لعدم العودة إلى المنزل لتناول العشاء مع زوجته وأولاده.

* لقد اعتمدت الميزانية، ولكنك تركت جثث رؤساء شعبة الميزانيات فى الميدان. فهل يستحق الأمر ذلك..؟

- "يؤسفنى جداً استقالة رئيس شعبة الميزانيات، رام بلينكوف. إننى أقدر تميزه المهنى وتفانيه من أجل الشعبة واقتصاد الدولة، ولكننى لست متأكداً من أننى كنت سأتصرف بنفس الطريقة لو تعرضت لموقف مماثل".

"عموماً، لقد تحقق هنا إنجاز اقتصادى كبير، بما فى ذلك صفقة الرزمة.. إنجاز لم تشهده البلاد منذ سنوات طويلة. كل ذلك جرى فى ظل جدول زمنى جنونى، وفى حكومة لازالت تشب عن طوقها. هذا لم يكن بسيطاً، ويمكننى أن أنظر الآن وأقول: النتيجة مرضية بما فيه الكفاية".

* ألم يكن من الممكن تحقيق ذلك بالتعاون مع مسئولى المالية، مثلما فى أى دولة قويمة، وليس رغماً عنهم..؟

- "تمثلت المشكلة فى الفجوة بين مواقف رجال وزارة المالية ورغبات رئيس الوزراء، وهو ما أدى إلى إجراء المفاوضات مع الهستدروت وأرباب العمل من وراء شعبة الميزانيات. لم يكن المقصود من ذلك النيل من أحد فى المالية أو شعبة الميزانيات".

* أين تركزت المشاكل..؟

- "الموضوعان الرئيسيان اللذان دارت حولهما الخلافات هما قرار تخفيض ضريبة الدخل للأفراد والشركات، وعدم موافقة شعبة الميزانيات على صفقة الرزمة. هذا الخلاف الأساسى تسبب فى إخفاقات أجبرتنى على اقتحام خيوط العنكبوت. خلال الأيام العشرة الماضية أجريت مفاوضات بناء على تعليمات رئيس الوزراء، الذى أراد صفقة رزمة مع الحد الأدنى من المساس بالطبقات الفقيرة".

* رفعت ضريبة القيمة المضافة بنسبة واحد بالمائة، وجعلتها سارية أيضاً على الخضروات والفواكه، وطبقت استقطاعاً عرضياً على الوزارات الاجتماعية - هل هذا هو الحد الأدنى من المساس..؟

- "هناك العديد من المقولات الشعبوية فى هذا الموضوع. صحيح أن ضريبة القيمة المضافة هى ضريبة يقع الضرر الأكبر منها على الطبقات الفقيرة، لأن هذه الضريبة ارتدادية، ولكن فى ظل عدم وجود بدائل، وفى ضوء الرغبة فى الحيلولة دون حدوث عجز فى الميزانية، كان الحل الأمثل - رغم عدم اكتسابه شعبية - هو رفع ضريبة القيمة المضافة لأجل محدد لمدة عام ونصف العام".

"أعتقد، أن هذا أفضل من فرض ضريبة على الاحتجاز بالمستشفيات أو المساس بالطبقات الفقيرة بأى طريقة أخرى. علاوة على ذلك، تقرر، على سبيل المثال، إلغاء رسوم الخدمات الصحية بصورة تصاعدية، بحيث يتم خفض ثلاثة أرباع رسوم الخدمات الصحية لمن يتقاضون رواتب كبيرة، بينما يتم خفض الربع فقط من الطبقات الأقل".

* طولب المستشار القانونى للحكومة بفحص ما إذا كان هناك تضارب مصالح فى تعيينك لهذا المنصب.

- "لقد وقعت على اتفاق كهذا، مثلما طلبوا منى، وليس لدى شك أنه لن يكون هناك مشكلة فى ذلك".

* أنت تعلم أنه بسبب قربك من رئيس الوزراء يحاول الكثير من رجال الأعمال شراء خدماتك. ألا يعد هذا تضارباً بدهياً فى المصالح..؟

- "لا أرى أى مشكلة فى ذلك، فأنا أعمل على بيع تكنولوجيا المياه للولايات المتحدة تحديداً، وعلى حد علمى، لا يوجد أى تأثير لقربى من رئيس وزراء إسرائيل. صحيح أن ذلك دافع لى، ولكن هذا ينطبق على كافة المقربين من رئيس الوزراء. هذا ادعاء مألوف ودارج ضد كل من يتفانون فى عملهم بالساحة العامة وبوزارة المالية. على حد علمى، لا يوجد فى كل ذلك شيء غير قانونى".

* كيف تواجه المقولات التى مفادها أن وزير المالية يوفال شتاينيتس يحمل مفاتيح وزارة المالية، وأنت الذى تدير الوزارة عملياً..؟

- "مع كل الاحترام، هذا الكلام ليس له أية صلة بالواقع. كما أن الأنباء التى مفادها أننى سأحدد من سيكون رئيس شعبة الميزانيات القادم لوزارة المالية لا أساس لها من الصحة. إننى لا أعمل فى وزارة المالية، وليس من اختصاصى تحديد من سيكون رئيس شعبة الميزانيات. إذا طلب وزير المالية مشورتى، سأعطيها له، ولكننى لست واثقاً إطلاقاً أنه فى حاجة إليها، حيث لديه طاقم مهنى ممتاز بالوزارة".

* صدقت الحكومة على ميزانية الدولة، إلا أنها حتى التصديق عليها بالكنيست فى شهر يوليو القادم ستكون مختلفة لتلك التى صدقت عليها الحكومة أمس. وزير الرفاه يتسحاق هرتسوج، على سبيل المثال، على قناعة بأن لجنة المالية بالكنيست ستلغى ضريبة القيمة المضافة على الفواكه والخضروات.

- "أعتقد أنه لن يكون هناك تغييرات جوهرية. الكنيست ستعتمد ميزانية مماثلة لتلك التى اعتمدتها الحكومة".

* لقد أشاد محافظ بنك إسرائيل، البروفيسور ستانلى فيشر، بالميزانية.

- "يسعدنى ذلك. المحافظ له فضل كبير فى دخول الاقتصاد الإسرائيلى هذه الأزمة بصورة أفضل من دول أخرى. أتمنى أن يواصل العمل فى منصبه بعد انتهاء فترة ولايته الأولى بعد قرابة عام".

* إذا تحدثنا عنه، ما رأيك فى مطالبته بإقالة رئيس بنك هابوعليم دانى دنكنر من منصبه..؟

- "ليس لدى تفاصيل، ولكن من الواضح لى أنه إذا كان البروفيسور فيشر قد اتخذ خطوة كهذه، فإنه يعلم ماذا يفعل".

** نعم، كانت هناك اقتراحات غبية:

حدث الانفجار الكبير يوم الخميس، قبل أسبوع ويوم بالضبط من نشر تفاصيل قانون التسويات، مثلما اقترح رجال شعبة الميزانيات. دولة كاملة تدخل فى حالة هيستريا، لاسيما فى ضوء ظواهر مثل نية تجميد مخصصات المعاقين والعجائز والناجين من أحداث النازى. وفى تلك الأثناء، تعرض ديوان رئيس الوزراء لضغط شديد.

كان الانطباع الأول أن موظفى وزارة المالية انتقدوا الميزانية انتقاماً من التسوية التى تبلورت مع الهستدروت والتنازلات المقدمة لعوفير عينى ولوزير الدفاع إيهود باراك.

ويقول أحد المسئولين فى شعبة الميزانيات: "بعدما تم الاتفاق على عدم تجميد الرواتب فى القطاع العام، وعدم الاستقطاع من ميزانية وزارة الدفاع، نشأ فى الميزانية عجز مقداره ١٤ مليار شيكل، وكان يجب تعويض ذلك. وقد كان رئيس الوزراء على علم مسبق بنية تجميد الرواتب. إلا أن شعبة الميزانيات لم تنصب له كمين".

* هذا معناه أن رئيس الوزراء كان لديه علم بذلك.

- "نعم ولا. تقنياً رئيس الوزراء يريد برامج ليصدق عليها. وفى هذه البرامج كل شيء وارد بالتفصيل".

* هل توافقون اليوم على أن هذا الاقتراح كان غبياً..؟ فإسرائيل لن تجمد مخصصات الناجين من أحداث النازى البالغين من العمر ٨٠ عاماً.

- "اتفق معك فى هذا".

* من أين جاءت فكرة المطالبة بـ ٥٠ شيكلاً عن كل يوم احتجاز بالمستشفى، بما فى ذلك من المسنين الذين يمكن بهذه الطريقة إنهاء المخصصات الشهرية المرصودة لهم لو أصيبوا بمرض الأونفلونزا مثلاً..؟

- "ربما كان هذا أيضاً خطأ، ولكننا وجدنا أنفسنا فى وضع لا يوجد فيه موارد لجلب المال".

من ناحية أخرى، أفردت الصحف مساحة لمانشيت رئيسى خاص بانفجار رئيس الأركان، جابى أشكنازى، فى وجه رئيس الوزراء خلال جلسة الحكومة التى عقدت يوم الثلاثاء الماضى. كان نتنياهو قد أجرى قبل توليه مهام منصبه سلسلة من اللقاءات المطولة مع أعضاء هيئة الأركان، وتلقى استعراضات مفصلة للتهديدات القائمة وإمكانية الرد عليها.

وخلال الجلسات التى تناولت مشروع الميزانية، كان الجميع يدركون أن موضوع الأمن، كالمعتاد والمألوف فى إسرائيل، سيمثل أحد النقاط الرئيسية للخلاف، حيث التقى رئيس الوزراء ورئيس الأركان عدة مرات، وأجرى أحاديث مغلقة مع وزير الدفاع، وشارك فى منتديات خاصة على نطاق أوسع، فيما لم يشارك أحد من شعبة الميزانيات فى أى لقاء، وكذلك لم يبلغهم أحد بما أسفرت عنه اللقاءات.

على سبيل المثال، اتفقوا على أن موضوعات معينة، مثل رفع سن المعاش، لن تطرح للنقاش الآن، وسيتم معالجتها بعدما يقوم الجيش بإعداد عمل ميدانى منظم فى هذا الموضوع. وخلال جلسة الحكومة طرح رجال وزارة المالية مسألة المعاش المبكر، حيث إنهم ليس لديهم علم بتفاصيل الاتفاقات، مؤكدين على أنهم يتحدثون عن التشكيلات غير المقاتلة فقط. وفى هذه المرحلة، أوضح رئيس الأركان ما أوضح، وقال إن الجيش لا يوجد به لجنة عمالية. فقال رئيس الوزراء أن هذا الكلام غير مقبول بالنسبة له، فانفجر أشكنازى الحزين بسبب طرح الموضوع أساساً، وقال "حسناً لا تقبل"، وغادر قاعة الجلسات.

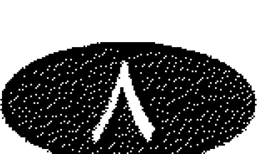
أرجعت وسائل الإعلام انفجار أشكنازى إلى ضعف رئيس الوزراء، وقالت إن هذا ما كان ليحدث مع شارون. ومن جانبه، رد نتنياهو بضبط للنفس، ورفض الانزلاق فى ذلك المنحدر الأملس، وانتهى الأمر باعتذار رئيس الأركان، وإيضاح أن انفجاره كان نتيجة غضب ليس فى محله.

وقد قال ضابط رفيع المستوى: "الحروب بين المالية ووزارة الدفاع هى طقس ثابت فى الواقع الإسرائيلى. فلم تقدم بعد ميزانية لم تصاحبها موجات غضب من الجانبين. صحيح أن الأمر تجلى هذه المرة بأسلوب حاد لم نشهده من قبل، ولكن يجب إدراك أن هذه المعركة برمتها فى غاية الحساسية. ففى ظل التهديدات التى تواجهها إسرائيل اليوم، الجيش الإسرائيلى غير مهيأ لاستقطاعات من ميزانيته".

* لبنان، غزة، العراق، إيران. هذا ما يقولونه دائماً فى الجيش.

- "صحيح. ولكن المواطنين هذه المرة لا يعلمون إلى أى درجة هذا الكلام مضبوط".

◆ ترجمات عبرية ◆

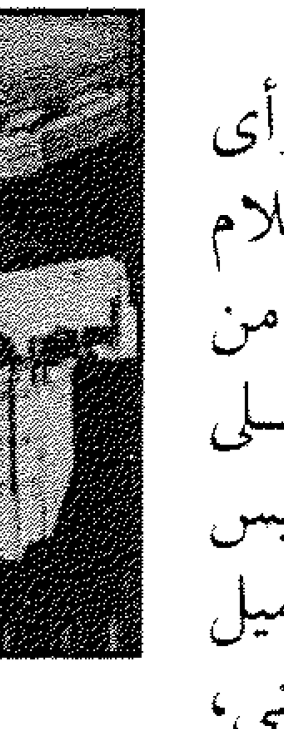


استطلاعات

مقياس الحرب والسلام لشهر مايو ٢٠٠٩ (*)

أجراه: إفرايم ياعر وتمار هيرمان
يديعوت أحرونوت
٢٠٠٩/٦/٤





أظهر استطلاع رأى مقياس الحرب والسلام لشهر مايو أن ٥٥٪ من الجمهور الإسرائيلي يعتقدون أن الرئيس الأمريكي باراك أوباما يميل لصالح الجانب الفلسطيني، وذلك قبيل خطاب المصالحة التاريخى الذى سيلقيه فى القاهرة، بينما يعتقد ٣١٪ أنه محايد، فيما يعتقد ٥٪ أنه يميل لصالح الموقف الإسرائيلي. ويعرب ٦٠٪ عن شكوكهم فى قيام الرئيس الأمريكى بالحرص على المصالح الإسرائيلية فى إطار مساعيه لتحسين العلاقات بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي.

وقد أعرب ٦٥٪ من الجمهور المشارك فى الاستطلاع أن زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو للولايات المتحدة كانت غير ناجحة (١٩٪ يعتقدون أنها كانت زيارة ناجحة)، وذلك رغم الاعتقاد السائد (٥٦٪) بأن المواقف التى عرضها هناك كانت معقولة، أى أنها لم تكن متشددة ولا متساهلة للغاية (١٣٪ يعتقدون أنه عرض مواقف أكثر صرامة و٩٪ يعتقدون أنها كانت أكثر تساهلاً، والباقون لا يعرفون).

لازالت هناك أغلبية كبيرة من الجمهور اليهودى تعتقد أنه لن يتم التوصل لاتفاق سلام مع الفلسطينيين على أساس حل دولتين لشعبين (٦٧٪)، بينما يعتقد ١٨٪ أن هناك احتمالاً للتوصل لاتفاق سلام على أساس دولتين لشعبين.

وفيما يتعلق بالمستعمرات، هناك انقسام بين صفوف الجمهور اليهودي، مع أغلبية ضئيلة (٤٨٪)، يعتقدون أنها تضعف المصالح الإسرائيلية، مقابل ٤٣٪ يعتقدون أنها إيجابية لإسرائيل. فى حين تعتقد الأغلبية ٥٣٪ أنه لا يجب على إسرائيل الموافقة على إخلاء كل المستعمرات، حتى لو كان هذا هو الحل الوحيد للتوصل لاتفاق سلام بين إسرائيل والفلسطينيين، مقابل ٤١٪ يؤيدون إخلاء المستعمرات.

وتختلف الصورة عندما يدور الحديث عن تأييد إخلاء المستعمرات المتفرقة القائمة وسط السكان الفلسطينيين والبؤر الاستيطانية غير القانونية، على عكس الكتل الاستيطانية الكبيرة. وفى هذه الحالة، يعتقد ٥٣٪ من الجمهور اليهودى أنه يجب على إسرائيل الموافقة على إخلاء هذه المستعمرات، بينما يرفض ذلك ٢٩ ٪فقط.

(*) أجرى مشروع مقياس "الحرب والسلام" معهد تامى شتاينميتس لأبحاث السلام وبرنامج إيفنس لتسوية النزاعات بجامعة تل أبيب وتقريب وجهات النظر، تحت إدارة البروفيسور إفرايم ياعر من جامعة تل أبيب والبروفيسور تمار هيرمان من الجامعة المفتوحة، وأجرى الاستطلاعات الهاتفية معهد ب. ى كوهين بجامعة تل أبيب.

مؤشر السلام العالمي: إسرائيل أخطر من إيران

بقلم: عيدان دورنر
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٩/٦/٣

بحسب المؤشر الذى أعده المعهد الأسترالى للاقتصاد والسلام، تحتل إسرائيل المركز الـ١٤١ عالمياً، وتصنف على أنها أحد أخطر الأماكن فى العالم.

تحتل إسرائيل المركز الـ١٤١ عالمياً وفقاً لـ"مؤشر السلام العالمي" الصادر عن المعهد الأسترالى للاقتصاد والسلام، والذى نُشر اليوم (الأربعاء)، وتحرى أكثر الأماكن أمناً وهدوءاً فى العالم. يلى إسرائيل فى الترتيب كل من الصومال وأفغانستان والعراق، التى توصف بأنها أخطر دولة فى العالم. وقد تراجعت إسرائيل مركزاً واحداً فى الترتيب مقارنة بالمركز الذى احتلته فى هذا المؤشر العام الماضي، فيما تتقدم دول مثل باكستان والسودان والكونغو على إسرائيل فى هذا الترتيب.

بحسب المقياس، تعد نيوزيلندا الدولة الأكثر أمناً فى العالم، بعدما أطاحت بأيسلندا التى احتلت المركز الأول العام الماضي، وذلك بعد أن تعرض اقتصادها للانهيار هذا العام. يلى نيوزيلندا كل من الدنمارك، والنرويج، وأيسلندا، والنمسا، والسويد، فى حين نجحت الولايات المتحدة فى القفز ستة مراكز فى هذه القائمة، ورغم أنها تخوض حربين فى نفس الوقت، إلا أنها لا تزال تحتل المركز الـ٨٣ فى هذه القائمة. وفى الوقت الذى تحتل فيه سوريا المركز الـ٩٢، تأتى إيران فى المركز الـ٩٩.

استقصى المؤشر الذى أعده المعهد الأسترالى ٢٣ معياراً، من بينها: الحروب، والصراعات الداخلية، واحترام حقوق الإنسان، وعدد حالات القتل بالنسبة للسكان، وعدد الأشخاص المسجونين فى السجون، وحجم التجارة العسكرية، ومستوى الديموقراطية.

وبحسب المؤشر، أصبح العالم أقل أمناً فى العام الأخير، سواء من ناحية معدلات العنف، أو من ناحية ارتفاع أسعار الغذاء والوقود والوضع الاقتصادى العالمي. كما يتبين من المؤشر أن ثمن الصراعات والأزمات العالمية يصل إلى ٧,٢ تريليون دولار فى العام.

٤٠٪ من عرب إسرائيل ينكرون حدوث النكبة النازية

المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٩/٥/١٧
بقلم: هيئة تحرير الموقع

ثمة مؤشر يشير إلى نوع من التشدد فى مواقف الجمهور العربى فى إسرائيل، حيث يعترف ٤١٪ فقط من عرب إسرائيل بحق إسرائيل فى الوجود كدولة يهودية ديموقراطية. وذلك فى مقابل ٦٥,٦٪ اعترفوا بهذا الحق فى عام ٢٠٠٣. علاوة على ذلك، يتبين من الاستطلاع أن ٤٠,٥٪ من عرب إسرائيل يزعمون أن النكبة النازية لم تحدث، فى مقابل ٢٨٪ زعموا ذلك فى عام ٢٠٠٦.

هذا ما يتبين من المقياس السنوى الخاص بالعلاقات اليهودية العربية الذى قام على إعداده البروفيسور سامى سموحة، الأستاذ بجامعة حيفا، ونشرت الجامعة بعض بياناته اليوم (الأحد). ومن المقرر أن يتم الكشف عن البيانات الكاملة للاستطلاع غداً خلال مؤتمر "مقياس العلاقات اليهودية العربية" الذى سينعقد فى جامعة حيفا.

أجرى الاستطلاع بين ٧٠٠ شخص من الجنسين، وهم يشكلون عينة تمثل السكان العرب فى إسرائيل، بمن فى ذلك الدروز والبدو. وعلى حد قول البروفيسور سموحة، فإن إنكار النكبة النازية بين عرب إسرائيل يتجاوز حد القطاعات، حيث زعم ٣٧٪ من أصحاب التعليم الجامعى أنها لم تحدث. كما يتبين من بيانات الاستطلاع أن ٥٣,٧٪ من عرب إسرائيل يعترفون بحق إسرائيل فى الوجود كدولة مستقلة، فى مقابل ٨١,١٪ اعترفوا بهذا الحق فى عام ٢٠٠٣، فى حين أن ٥٦٪ من المشاركين فى الاستطلاع يرون أن حق العودة الخاص باللاجئين يقتصر على حدود فلسطين فقط، فى مقابل ٧٢,٢٪ اعتقدوا ذلك فى عام ٢٠٠٣.

إلى جانب التشدد الحادث فى مواقف الجمهور العربي، كشف الاستطلاع عن تزايد ملحوظ فى النشاط السياسى، حيث أفاد ٤١,٤٪ من المشاركين فى الاستطلاع بأنهم شاركوا فى أعمال احتجاجية خلال العام المنصرم فى مقابل ٢٨,٧٪ قاموا بذلك فى عام ٢٠٠٣. وأعرب ١٢,٦٪ من

المستطلعة آراؤهم عن تأييدهم لاستخدام كافة الوسائل بما فيها الأسلحة في إطار النضال من أجل تحسين أوضاعهم، في مقابل ٤,٥٪ أيدوا ذلك في عام ٢٠٠٣.

كما أعرب ٥٣,٨٪ من عرب إسرائيل عن موافقتهم على أن يتعلم عرب في مدارس عبرية، وهي نسبة أقل مقارنة بنسبة الذين أيدوا ذلك في عام ٢٠٠٣، حيث بلغت نسبتهم ٧٠,٥٪، كما يعارض ٤٧,٣٪ من المشاركين في الاستطلاع الإقامة بجوار يهودي، وذلك في مقابل ٢٧,٢٪ عارضوا ذلك في عام ٢٠٠٣.

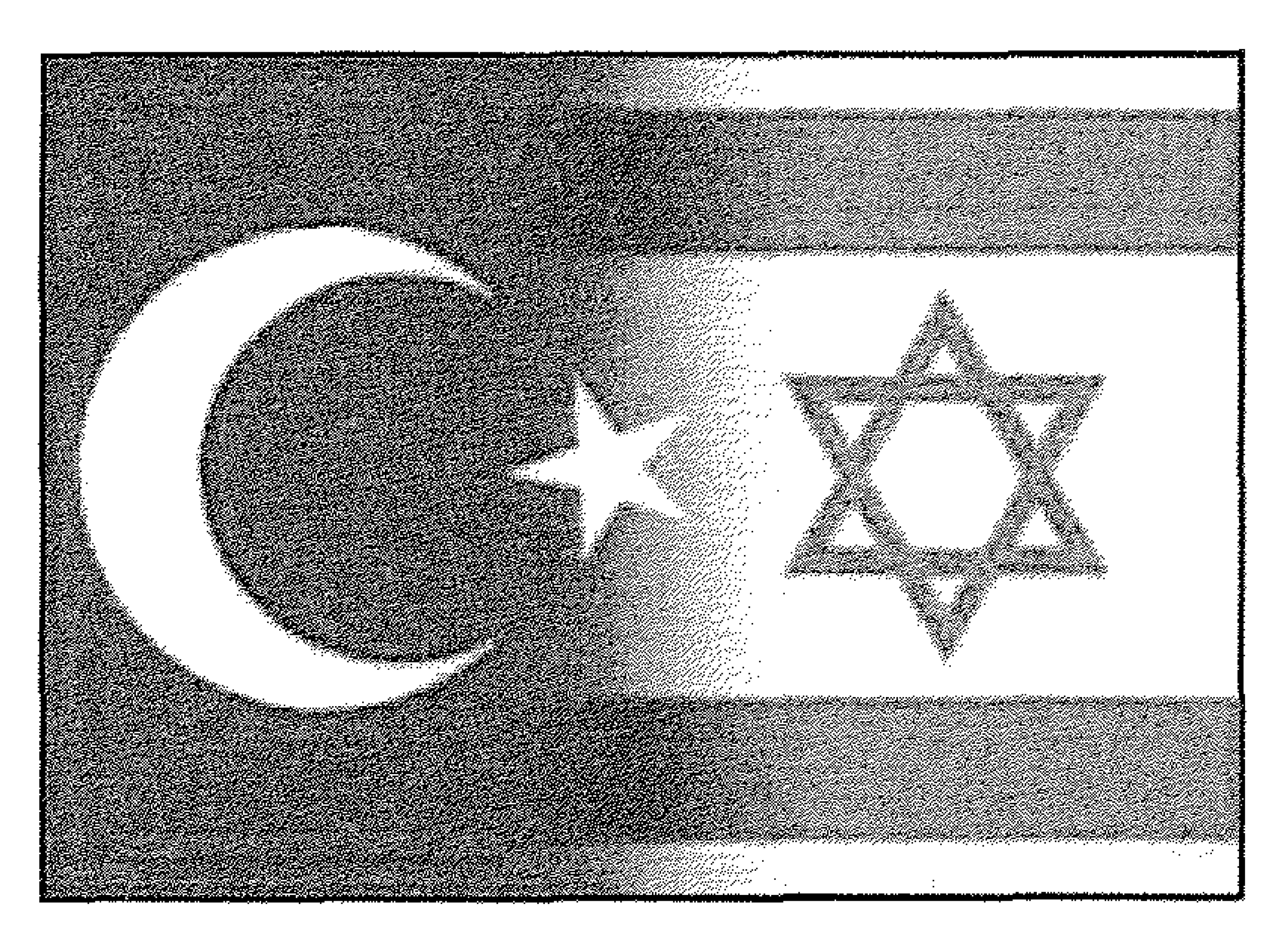
قال البروفيسور سموحة: "إن هذه المغالاة في مواقف العرب قد جاءت نتيجة عدة عوامل منها حرب لبنان الثانية، وجمود التسوية مع الفلسطينيين، وعدم تنفيذ ما ورد في تقرير لجنة أور الخاصة بأحداث أكتوبر ٢٠٠٠، وإغلاق ملفات التحقيق ضد رجال الشرطة الذين قتلوا متظاهرين عرب في أكتوبر ٢٠٠٠، ونشر ميثاق الرؤية العربية التي تطالب بجعل إسرائيل دولة ثنائية القومية، وما إلى غير ذلك".

تركيا: إسرائيل الدولة المسئولة عن مشكلات العالم

هاآرتس ٣١/ ٥/ ٢٠٠٩

بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

ينظر معظم الأتراك إلى إسرائيل باعتبارها أكثر الدول المسئولة عن مشكلات العالم.. هذا ما يؤكده استطلاع للرأي نشرته مؤخراً جامعة بهجشهير باسطنبول. وبحسب بيانات الاستطلاع، شهدت السنوات الأخيرة ارتفاعاً في مؤشر العداء لإسرائيل في أوساط سكان تركيا. ووفقاً للاستطلاع، فإن إسرائيل هي أقل دولة تحظى بتعاطف الأتراك، يليها في الترتيب الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، الذي تسعى تركيا للانضمام إليه منذ عشر سنوات تقريباً.



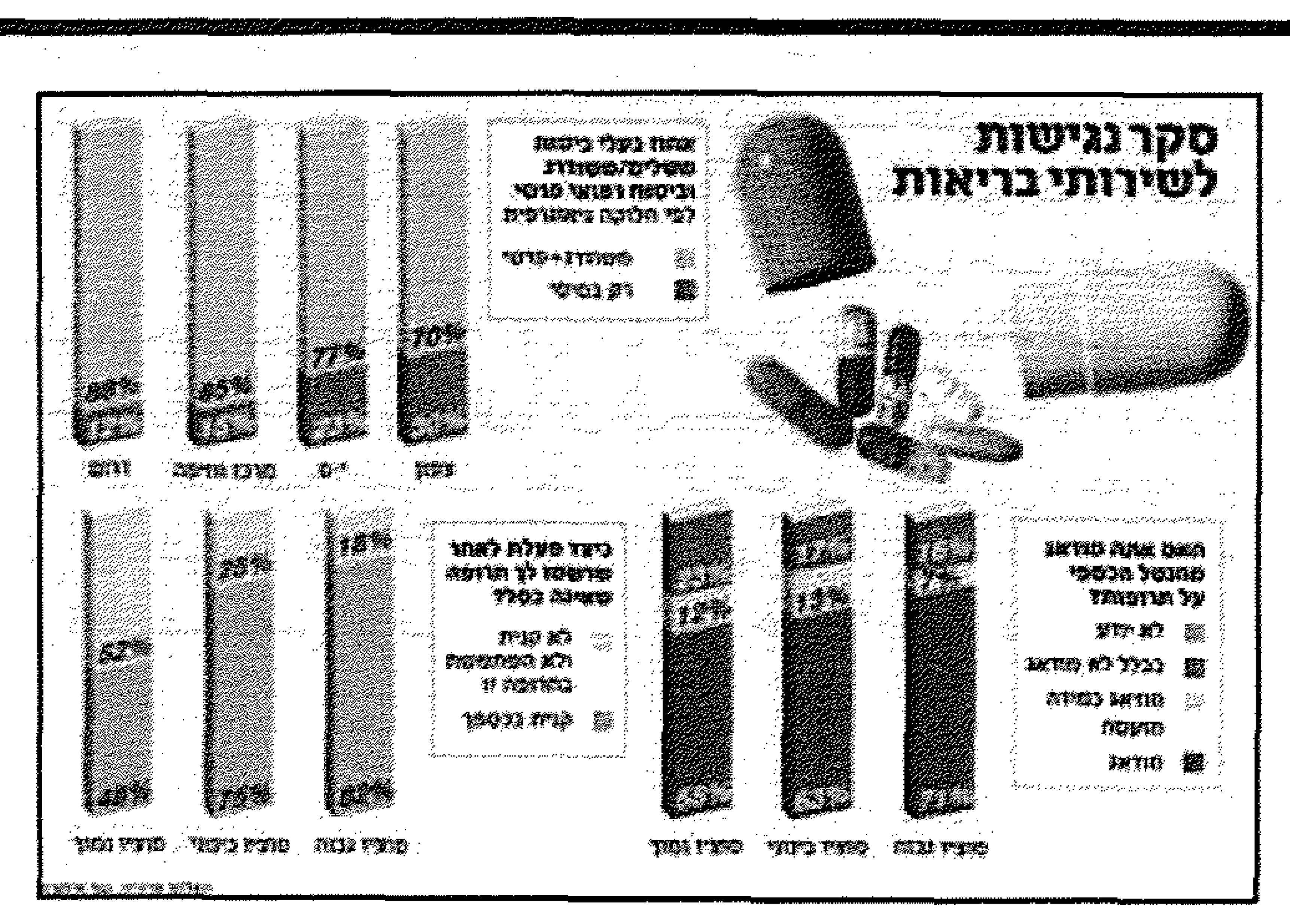
علاوة على ذلك، كشف الاستطلاع أنه لم يحدث أي ارتفاع في التطرف الديني أو النزوع إلى القومية بين الجمهور التركي.. وقد تطرق الاستطلاع الذي أجرى في شهر أبريل الماضي وشمل ١٧١٥ شخصاً، إلى مدى التسامح الذي يبديه مواطنو الدولة تجاه الأديان والأقليات العرقية، وتحرى آراء الجمهور فيما يتعلق بالشئون الخارجية والداخلية.

كما يتبين من بيانات الاستطلاع أنه بالرغم من أن غالبية مواطني الدولة معنيون بالانضمام للاتحاد الأوروبي، فإن معظمهم يعتقدون أنهم في أوروبا ينظرون إلى بلادهم نظرة سلبية استناداً إلى الآراء السابقة عن الإسلام والمسلمين. وعندما سُئل المشاركون في الاستطلاع كيف يصفون أنفسهم من ناحية الانتماء الديني، أجاب ٦٢٪ من المشاركين في الاستطلاع بأنهم يعتبرون أنفسهم "متدينين" في مقابل ١٧٪ وصفوا أنفسهم بأنهم "علمانيين".

وبحسب الاستطلاع، فإنه من بين دول أوروبا، تحتل تركيا المركز الأول من حيث أعلى نسبة عداء تجاه جيران محتملين، وهو السؤال الذي تحرى بواسطته القائمون على الدراسة مدى التسامح في الدول المختلفة، حيث جاءت على رأس قائمة "الجيران غير المرغوب فيهم" في نظر الأتراك؛ الدول المستهلكة للمشروبات الروحية، ثم المسيحيون واليهود.

واحد من كل ثمانية إسرائيليين تنازل عن شراء أدوية فى العام الأخير

بقلم: ران رزنيك
هاآرتس ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٩



"من الواضح أن عدم المساواة فى الحصول على الخدمات الصحية هو السبب الرئيسى فى ارتفاع معدلات الوفيات والإصابة بالأمراض فى إسرائيل، مثل الوفيات بين الأطفال والوفيات بين مرضى السكر".. هكذا حذر أمس، الدكتور يورام بلاشر، رئيس نقابة الأطباء الإسرائيلية، فى تعقيبه على نتائج استطلاع جديد للرأى يشير إلى أنه بالمقارنة بين عامى ٢٠٠٧ و٢٠٠٨ فقد تعمقت الفجوات فى الحصول على الخدمات الطبية بين المناطق الفقيرة والمناطق الغنية وبين سكان الضواحى فى الشمال والجنوب وبين سكان وسط البلاد بشكل ملحوظ.

بالأمس تم عرض نتائج الاستطلاع الخاص بـ"تأثير العبء الاقتصادى على الحصول على الخدمات الصحية فى إسرائيل" خلال مؤتمر صحفى عقدته نقابه الأطباء. وقد أجرى الاستطلاع هاتفياً بواسطة معهد جيوكراتوجرافيا فى مارس ٢٠٠٩، وشارك فيه ٩٥٠ شخصاً، يشكلون عينة قطرية تمثل السكان الذين توجهوا فى العام الأخير إلى طبيب فى مستشفى عام.

يتبين من الاستطلاع أن جزءاً من الجمهور فى إسرائيل، وتحديداً الفقراء، قد اضطروا للتنازل عن الخدمات الطبية الضرورية فى العام الأخير بسبب أسعارها الباهظة. ونقصد هنا المبالغ التى تقوم بتحصيلها أربعة صناديق مرضى بمقتضى القانون كاشتراك ذاتى مقابل الحصول على أدوية وزيارات الطبيب المدرجة ضمن سلة الصحة الحكومية. وبحسب الاستطلاع، تنازل ١٣٪ من الجمهور عن شراء أدوية، وتنازل ١١٪ عن زيارة الطبيب، كما تنازل ٩٪ من الجمهور عن الرعاية الطبية لأطفالهم، وتنازل ١٢٪ من الجمهور عن علاج آبائهم المسنين.

وفى نقابة الأطباء ينسبون تعمق الفجوات فى الحصول على الخدمات الصحية إلى الأزمة الاقتصادية العالمية أيضاً، مشيرين إلى أن أبحاثاً كثيرة قد أظهرت أن هناك علاقة بين البطالة ومعدل الإصابة بالأمراض والوفيات، وتحديداً بين الفئة العمرية من ٣٠-٥٠ سنة. كما أكد البروفيسور ليئون أفشتاين، خبير كبير فى الصحة العامة، أن منظمة الصحة العالمية نشرت فى شهر أغسطس ٢٠٠٨ تقريراً أكد أن انعدام العدالة فى الحصول على الخدمات الصحية فى العالم "يقتل أناساً بلا رحمة".

كما كشف الاستطلاع أن نسبة كبيرة جداً من سكان المناطق الفقيرة قد تنازلوا عن الخدمات الطبية مقارنة بعموم الجمهور فى البلاد، حيث تنازل ١٧٪ من سكان المناطق الفقيرة عن شراء أدوية فى السنة الأخيرة فى مقابل ١٣٪ من عموم الجمهور، كما تنازل ١٨٪ من سكان المناطق الفقيرة عن زيارة الطبيب فى مقابل ١١٪ من إجمالى الجمهور، وتنازل ٢١٪ من سكان المناطق الفقيرة عن الرعاية الطبية لأطفالهم فى مقابل ٩٪ من عموم الجمهور، وتنازل ١٨٪ من سكان المناطق الفقيرة عن رعاية آبائهم المسنين فى مقابل ١٢٪ من عموم الجمهور الذين تنازلوا عن هذه الرعاية.

كما تبين أن نسبة الذين يتنازلون عن الخدمات الطبية لآبائهم المسنين فى الشمال تفوق نسبتهم بنحو الضعف بين عموم السكان، حيث بلغت النسبة ٢٤٪ فى مقابل ١٢٪ بين عموم السكان، كما تبين من الاستطلاع أن ٢٨٪ من سكان الشمال تنازلوا فى العام الأخير عن زيارة الطبيب فى مقابل ١١٪ بين عموم السكان، كما تنازل ١٥٪ من أبناء الطبقات الفقيرة عن الرعاية الطبية لأطفالهم فى مقابل ٤٪ فى المناطق الغنية، فى حين أفاد ٤٩٪ بتدهور وضعهم نتيجة للتنازل عن الرعاية الطبية فى مقابل ٣٧٪ أفادوا بتدهور حالتهم فى استطلاع ٢٠٠٧.

وقد عقب المسئولون بوزارة الصحة بالأمس قائلين إنه "بالرغم من توجهات متكررة للحصول على نص الاستطلاع

المشار إليه من أجل دراسة بياناته والوقوف على مدى مصداقيته، لم نحصل حتى هذه اللحظة على الاستطلاع.. لقد اطلعنا على تقارير أخرى صادرة عن معهد بروكديل، تم إجراؤها بين قطاع كبير من السكان يفوق بثلاثة أضعاف الاستطلاع المشار إليه وكشفت عن نتائج مغايرة، خاصة فى أعقاب الإجراءات التى اتخذتها وزارة الصحة، ومنها خفض الرسوم التى يدفعها المسنون الذين يحصلون على ضمان الدخل».

* التبرعات توقفت وظلت أنجيلا بدون أدوية:

أنجيلا، أحد سكان مستعمرة أوفاكيم، وتعانى من إلتهاب كبدي فيروسى منذ أكثر من سبع سنوات. تنفق أنجيلا شهرياً ٢٠٠٠ شيكل فى المتوسط على الأدوية التى تستهلكها هى وابنتها الصغيرة المريضة بنفس المرض.

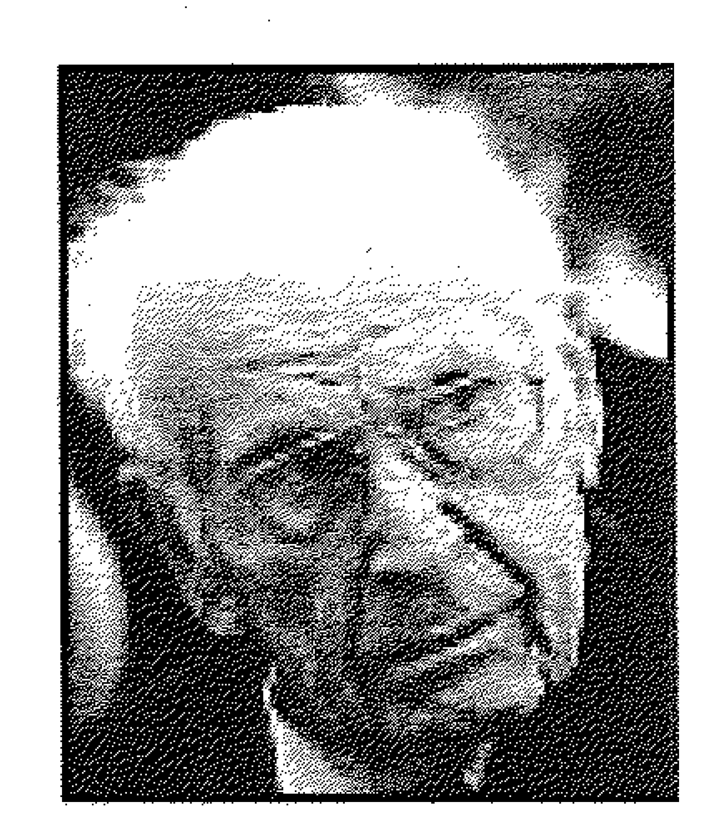
أنجيلا لا تعمل منذ أن تم اكتشاف إصابتها بمرض الكبد، وهى لا تمتلك النقود لشراء الأدوية، وتحتاج لتبرعات خاصة لتمويل تكلفة الأدوية الباهظة. تقول أنجيلا: "استعين ببعض المتبرعين وبالجمعيات الخيرية، وقد كان هناك أشخاص متبرعون ساعدونى فى الماضي، ولكنهم توقفوا الآن عن مساعدتي، وأنا أخشى الخروج من منزلى. ففى الفترة الأخيرة لم يعد لدى نقود لأنفقها على شراء الأدوية".

أنجيلا لديها خمسة أطفال، منهم اثنان يعانون من أمراض، وهى لا تستطيع الإنفاق عليهم، نظراً لأنها توقفت عن العمل بسبب المشاكل الصحية. وتقول: "لا أحد يساعدني. أصبح الوضع فى البيت سيء للغاية. ليس لدى مالاً لأدفعه لشركة الكهرباء، وأحياناً أظل بدون طعام للأطفال. فأنا أنفق معظم مالى على الأدوية ولا أعرف ماذا أفعل".

ترجمات عبرية



شخصية العدد



الرئيس الرابع لدولة إسرائيل الراحل «إفرايم كاتسير»

ترجمة وإعداد: أسامة أبو رفاعي

توفى إفرايم كاتسير فى الحادى والثلاثين من شهر مايو الماضى عن عمر يناهز الثالثة والتسعين عاماً. وقد وافته المنية فى منزله الكائن فى مدينة «راحوفوت»، وشيع جثمانه من معهد فايتسمان للعلوم ليرقد فى مثواه الأخير فى مقبرة راحوفوت.

وُلد إفرايم كتشيلسكى (قام لاحقا بتغيير اسم عائلته إلى كاتسير بعد انتخابه رئيسا لإسرائيل عام ١٩٧٣) في ١٦ مايو ١٩١٦ فى مدينه كييف الأوكرانية، التى هاجر إليها والداه عقب نشوب الحرب العالمية الأولى.. قضى فترة طفولته فى مدينة كييف، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة لودج البولندية، ليهاجر عام ١٩٢٥ مع عائلته إلى القدس.

أنهى كاتسير دراسته الثانوية فى إحدى مدارس القدس، ثم التحق بقسم الكيمياء فى الجامعة العبرية. وحصل على درجة الماجستير سنة ١٩٣٥، وعلى الدكتوراه سنة ١٩٤١، وعُيِّن بعدها معيداً فى الجامعة العبرية، وبدأ فى إعداد الأبحاث العلمية فى الكيمياء.

كان إفرايم كاتسير معلماً فى حركة الشبيبة العاملة والمتعلمة، وعضواً فى منظمة «الهاجاناه». في عام ١٩٣٩، أنهى دورة ضباط تابعة للهاجاناه ثم عين قائداً لفرقة خريجى الجامعات. وخلال نشاطه فى الهاجاناه، عكف كاتسير على تطوير أسلحة ووسائل قتالية. وفى عام ١٩٤٨، عُيِّن قائداً لوحدة العلوم التابعة للجيش الإسرائيلي.

يعتبر إفرايم كاتسير أحد العلماء الذين أسسوا معهد «فايتسمان» للعلوم الكائن فى راحوفوت سنة ١٩٤٩، وقد أنشأ مختبراً لـ«البيو- فيزياء» فى المعهد، وكان رئيساً لهذا المختبر حتى انتخابه رئيساً للدولة.

قام كاتسير فى هذا المختبر بإعداد وتأهيل خيرة العلماء

الإسرائيليين، كما قام بالإشراف على العديد من الأبحاث العلمية الهامة. وقد اكتشف العديد من المواد العضوية التى ساعدت على فهم علم البيولوجى وفهم سر الجينات ومناعة الجسم البشرى للمواد الكيماوية. كما ساهم فى تطوير علم البيوتكنولوجي، واكتشف وطوَّر أنواعاً من «المضادات الحيوية» ومواد طبية أخرى. وعلى اكتشافاته الهامة، حصل على جائزة من حكومة اليابان سنة ١٩٨٥، إضافة إلى الجوائز التى حصل عليها داخل وخارج إسرائيل.

ومع مرور الزمن، اندمج البروفيسور كاتسير فى العمل الجماهيرى وشغل منصب مستشار وزير الدفاع، فى الفترة ما بين ١٩٦٦ وحتى ١٩٦٨، كما أصبح كبير علماء وخبراء جهاز الأمن الإسرائيلي. وفى هذه الفترة، تم إدخال المشاريع العلمية الحديثة فى أجهزة الأمن الإسرائيلية.

فى الأعوام ما بين ١٩٦٦ وحتى ١٩٦٩، ترأس كاتسير لجنة تنظيم الأبحاث فى الحكومة الإسرائيلية برئاسة ليفى أشكول، وقد أوصى البروفيسور كاتسير بتعيين علماء ومتخصصين فى جميع الوزارات بالدولة - الأمر المتبع حتى الآن. وقد أدى ذلك الأمر إلى توطيد الصلة والمشاركة بين المكاتب الحكومية ومراكز الأبحاث والعلوم فى إسرائيل، والذى انعكس فى رفع ميزانيات البحث العلمي فى الدولة وإنشاء الصناعات التكنولوجية المتطورة فى جميع أنحاء إسرائيل.

أصبح كاتسير رئيساً لدولة إسرائيل فى ٢٤/ ٥/ ١٩٧٣، وبعدها بأربعة أشهر نشبت حرب أكتوبر ١٩٧٣. وكان يحرص على إجراء جولات تفقدية فى ساحات القتال وزيارة الأسر الثكلى والجرحى فى المستشفيات. ومع نهاية رئاسته عام ١٩٧٧، استقبل الرئيس المصرى أنور السادات خلال زيارته لإسرائيل.

عمل كاتسير على تطوير النواحى التعليمية، واهتم بالجوانب الاجتماعية للدولة وساهم فى إدخال اليهودية إلى المناهج التعليمية فى المؤسسات التعليمية. وعلى الصعيد الخارجي، ركز اهتمامه على المشاكل التى يواجهها التعليم، وعمل على رفع مستوى الطبقات الفقيرة وشجع الأعمال التطوعية الجماهيرية فى المجتمع الإسرائيلي. وقد رصد جائزة سنوية سماها «جائزة التطوع من قبل رئيس الدولة» تمنح لإثنى عشر فرداً ومنظمة على جهودهم التطوعية وعطائهم الجماهيري.

كان البروفيسور كاتسير يُذكِّر الجمهور الإسرائيلي فى جميع زياراته الميدانية وخطاباته بحلم مؤسسى الحركة الصهيونية فى إقامة مجتمع يهودى إسرائيلي متكافئ ومثالي، وكان يطالب زملاءه من العلماء دائماً بالخروج من الأبراج العاجية والعمل بين الجمهور لتطويره وحل مشاكل المجتمع فى البلاد.

بعد انتهاء فترة رئاسته عام ١٩٧٨، عاد كاتسير إلى البحث العلمى فى معهد «فايتسمان»، وبادر بإقامة قسم البيوتكنولوجى فى جامعة تل أبيب. وفى عام ١٩٨٨، قام بتأسيس اللجنة القومية للبيوتكنولوجي. وبعد توصيات هذه اللجنة التى ترأسها شخصياً، خصصت الحكومة نحو مليار دولار للبحث والتطوير التكنولوجي، كما ساهم فى إنشاء العديد من الكليات ومراكز التعليم التكنولوجية.

رؤية عربية

العدوان على غزة.. الأسباب والمسؤولية والحساب

د. رؤوف سليمان أبو عابد
باحث وكاتب فلسطيني

شكَّل العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨ والذي ذهب ضحيته حتى ١٧/ ١/ ٢٠٠٩ أكثر من ١٣١٢ شهيداً كحصيلة أولية بينهم ٤١٠ من الأطفال، و١٠٤ من النساء، و٥٣٤٠ جريحا بينهم ١٨٥٥ من الأطفال و ٧٩٠ من النساء، وما لا يقل عن ٢،٤ مليار دولار الخسائر المادية، برهان آخر على منهجية القتل والتدمير التي تتبعها إسرائيل في التعامل مع الشعب الفلسطيني، وحلقة من سلسلة طويلة من السياسات التصفوية والعنصرية التي يحاول الاحتلال الإسرائيلي من خلالها القضاء على القضية الفلسطينية، وشرعنة المشروع الصهيوني في المنطقة والهيمنة عليها.

وقد كان لإسرائيل العديد من الأهداف منها ما هو معلن وما هو غير معلن ويتجاوز بمفاعيله وانعكاساته قطاع غزة، فحددت إسرائيل أهدافها على لسان قادتها من أمثال اولمرت وليفني وباراك، بإيقاف إطلاق الصواريخ الفلسطينية، وبخلق مناخ امني مختلف عن سابقة أي خالي من تهديد ما أسموه «بالإرهاب» الفلسطيني، ومنع تهريب الأسلحة،أما الأهداف غير المعلنة فيمكن إيجازها بالتالي:

١- فرض واقع جديد يرسم أمام الإدارة الأمريكية الجديدة - إدارة باراك اوباما - حدود التعامل مع القضية الفلسطينية في إطار الرغبات والإستراتيجية الإسرائيلية، بل ويملي عليها أدوات ووسائل الحل المحتملة للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وأساليب التعاطي مع استحقاقات العملية السياسية، بالإضافة إلى الإبقاء على ملف الحرب على الارهاب مفتوحا، بما يضمن استمرار حصار الشعب الفلسطيني وحركة حماس وعزل حزب الله وسوريا، ونحن هنا لا ندعي إمكانية الانقلاب في النهج والسياسة الأمريكي في التعاطي مع قضايا المنطقة، ولكننا نتحدث عن ما يمكن أن نسميه تغيرات نسبية في السلوك الأمريكي، أو إظهار بعض التفهم للمطالب الفلسطينية تحديدا، بما قد يفضي إلى ممارسة الإدارة الأمريكية نوعا من الضغوط على الجانب الإسرائيلي في إطار العملية السياسية والتخفيف من وطأة الحصار خاصة على قطاع غزة، وهو ما لا تريده إسرائيل.

٢- توجيه رسالة إلى إيران، أو بكلمة أخرى مواجهة النفوذ الإيراني المتزايد في المنطقة، والسعي إلى محاصرتها، فإذا كانت حماس في الإستراتيجية الإسرائيلية ضرورة في ميزان استمرار الانقسام والتناحر الفلسطيني، فإنها ليس كذلك في ميزان القوى الإقليمية كقاعدة للنفوذ الإيراني، فالعدوان سيتيح لإسرائيل ضرب البنية التحتية لحركة حماس كقاعدة ارتكاز إيرانية من جهة، ومن جهة ثانية سيتيح لها إمكانية الانتشار في البحار والممرات الحيوية في المنطقة من خلال الاشتراك في الإلية الدولية لمراقبة منع تهريب الأسلحة.

٣- إعادة الاعتبار لهيبة جيش الاحتلال الإسرائيلي بعد ما يمكن أن نسميه (الإخفاق) الذي مني به في حرب تموز ٢٠٠٦ على يد حزب الله في جنوب لبنان، ففي حين أساء عدوان ٢٠٠٦ لصورة إسرائيل وجيشها الأكثر عتادا وتسليحا ودعما، والذي راح يقتل المدنيين ويدمر المباني والجسور والطرقات بصورة وحشية وانتقامية بعد أن عجز عن دحر مجموعات من «المليشيات المسلحة» - حسب النظرة الإسرائيلية لحزب الله- شكلت معركة تموز عقدة هزت العقيدة العسكرية الإسرائيلية، ونالت من معنويات الجنود الإسرائيليين، والذين تراجعت ثقتهم بالمؤسسة العسكرية فيما لو خاضت حروب متكافئة مع جيوش نظامية، بل أن البعض نظر إلى معركة تموز بأنها

انتصار للسلاح والعسكرية الإيرانية، فأرادت إسرائيل من خلال عدوانها على قطاع غزة، وضرب البنية التحتية للفصائل الفلسطينية وتحديدا حركة حماس، آن تؤكد على قوتها التدميرية، بتحقيق انتصار عسكرى ضد خصم ضعيف مقارنة بموازين القوى، ومن جهة ثانية تحقق انتصار معنويا بكى الوعى الفلسطينى بهزيمة معنوية عبر صور المجازر والدمار الهائل الذى الحقته بالقطاع.

٤- الانتخابات الإسرائيلية، فليس صدفة أن يكون العدوان قبل ٣٣ يوما من موعد الانتخابات الإسرائيلية التى جرت فى ١٠/ ٢/ ٢٠٠٩، حيث سعى ترويكا العدوان (إيهود اولمرت، تسيبى ليفني، وإيهود باراك) إلى تعزيز شعبيتهم من خلال عملية عسكرية حاول كل منهم تسخير مخرجاتها لتحقيق أهدافه الشخصية، فاولمرت المنهية ولاية حكومته على اثر فشله فى حرب ٢٠٠٦، واتهامه بالعديد من قضايا الفساد، سعى إلى تحسين صورته ومحاولة الظهور كقائد يستطيع تحقيق انتصار على العدو وإلحاق الهزيمة به، وليس أفضل من معركة سهلة يخوضها فى قطاع غزة، أما ليفنى الطامحة برئاسة الحكومة الجديدة، فأرادت تعزيز شعبيتها لحصد مزيدا من أصوات الناخبين، وأما باراك فقد أراد تعزيز شعبية حزب العمل الذى انهار على اثر الانقسامات والخلافات بين صفوفه، وبالتالى تعزيز وضعه فى المشاركة فى الحكومة الجديدة بقوة، والحصول على وزارت تتناسب وتاريخ حزب العمل فى الحياة الإسرائيلية، فكان سبيلهم فى ذلك سبيل من سبقهم بإراقة المزيد من دماء الفلسطينيين، والتى كانت دوما احد الأوراق المهمة فى الحملة الانتخابية للأحزاب والقادة الإسرائيليين.

٥- تثبيت التهدئة بالشروط الإسرائيلية، حيث أعطت التهدئة التى توصلت إليها حماس مع إسرائيل بوساطة مصرية لإسرائيل حرية الحركة بعد أن استطاعت أن تكرس عملية الفصل بين الضفة وقطاع غزة على ارض الواقع وعلى المستوى النضالي، فبعد أن حيدت القطاع نشطت فى مجال الاستيطان وتهويد الأرض فى الضفة والقدس، كما إن ستة أشهر من الهدوء التى حققتها القبضة الحديدية لحماس شكلت الذريعة أمام إسرائيل على القيام بعدوانها لإجبار حماس على الاستمرار فى التهدئة بوصفها سلطة الأمر الواقع والقادرة على تثبيت التهدئة وعدم القدرة على التذرع بعدم القدرة على ضبط الوضع.

٦- ضرب قواعد السلطة وتكريس الانقسام على الساحة الفلسطينية، وهو هدف قديم ومتجدد، حيث دائبت إسرائيل على تدمير مرتكزات المجتمع والكيانية الفلسطينية، وإضعاف أى سلطة سياسية فلسطينية ممكن أن تنشأ سواء الضفة أو غزة، وحرصت دائما على الإبقاء على نوع من «القوة صاحبة التأثير المحدود» والاعتراف لها بنوع من الشرعية الاجتماعية والأمنية، ما يتيح لإسرائيل من خلالها التعامل مع ما يمكن تسميته «العنف المنظم والمنضبط» وحصر صلاحيات هذه القوة فى إطار الحكم الذاتى المحدود وفق قواعد لعبة سياسية تعفى إسرائيل من تحمل تبعات إدارة شؤون الفلسطينيين، ووجود قوة أمنية تحقق شيء من الهدوء الأمنى معها، ومن جهة ثانية فان ضرب البنية التحتية لحركة حماس - كما تدرك إسرائيل جيدا - لن يقابله عودة السلطة الفلسطينية ممثلة بالرئيس محمود الذى يرفض العودة على الدبابة الإسرائيلية إلى غزة، وبالتالى بقاء حالة الانقسام الجغرافى بين شطرى الوطن الفلسطينى على الأقل فى المنظور القريب.

٧- تعزيز الفرز على الساحة العربية، فمع اختلاف وتباين السياسات العربية، أصبحت القضية الفلسطينية فى معادلة العلاقات العربية - العربية، تشكل عامل اختلاف بدلا من أن تكون محلا للتنسيق وعامل توحد، والاختلاف هنا ليس على عدالة القضية أو طبيعتها بوصفها قضية احتلال وصراع حول التحرر والاستقلال، وإنما على الوسيلة النضالية وطبيعة المعركة وأدواتها، وموقع القضية وكيفية توظيفها فى السياسات القطرية لكل دولة - القيمة الوظيفية - وفق ميزان تحالفاتها الدولية والإقليمية، ومع إدراك إسرائيل لهذه الحقائق، فإن عدوانها على غزة جاء ليصب الزيت على النار، ويزيد من هوة الخلافات العربية، واتساع مضمون الفرز بين ما يسمى بمحور المعتدلين و«المتمنعين»، بل وليضع التناقض مع الاحتلال فى المرتبة الثانية وربما الثالثة بعد الصراعات بين الدول العربية والإقليمية على خلفيات سياسية ومذهبية، فبينما وصفت بعض دول المحور الثاني الأولى بالمتواطئة والمشاركة فى العدوان، اتهمت الأولى الثانية بالمزايدة والمتاجرة بدماء الشعب الفلسطينى وطالبتها بفتح حدودها وتقديم الدعم المادى واللوجستى بدلا من الاكتفاء بما أسمته بالدعم «اللفظي»، ومن جهة ثانية تسابقت دول المحورين فى الدعوة إلى عقد اللقاءات على مستوى القمة والمؤتمرات التى شكلت منابر لتبادل الاتهامات وضحضها والتسويق لسياساتها، بالإضافة إلى استخدام العدوان واستغلال حالة التعاطف الشعبى فى التنافس الداخلى بين الأحزاب والحكومات والمعارضة، ليصبح العدوان على غزة وكما أرادت له إسرائيل عامل انقسام وفرز على الساحة العربية، والتى كان أخطرها ذلك الفرز المذهبى على أرضية شيعى وسني، ما استدعى التدخل التركى كعامل طرد للتدخلات الإيرانية، وهو ما جعل الصراع فى النهاية يحيد عن مساره الحقيقى مع الاحتلال الإسرائيلى باتجاه الصراع على النفوذ فى المنطقة بين إيران وحلفاءها من جهة ومصر والسعودية وحلفائهم من جهة ثانية.

هذا بالإضافة إلى العامل الاقتصادي، وإن لم يكن حضوره فى العدوان بقوة وفاعل، إلا أنه لا يمكن إهماله، فالاقتصاد الإسرائيلى يوصف بأنه اقتصاد حرب تتجدد دورته فى متوسط

زمني يقاس بخمس سنوات تقريبا هي متوسط الفارق الزمني بين أغلبية الحروب التي تفتعلها إسرائيل، والتي تستطيع من خلالها التأكيد على محوريتها في الإستراتيجية الأمريكية وتحصل بموجبها على مساعدات مالية ضخمة تضخ الدماء في دورتها الاقتصادية.

وفيما تشكل شبه إجماع حول إدانة العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ظلت الآراء والحجج تتصارع حول معرفة على عاتق من تقع المسؤولية فيما حصل في القطاع، فبينما حمل البعض المسؤولية للكيان الإسرائيلي، ألقى البعض بالأئمة على ما اسماه السياسات غير المسؤولية لحركة حماس، ليحمل طرف ثالث المسؤولية للفلسطينيين جميعهم، وتحديدا حركتي فتح وحماس في معرض رده للمسؤولية على الانقسام الحاصل في الساحة الفلسطينية، ولا ننسى ذالك الطرف الذى راح يلوم الحكام العرب، ويصفهم بالمتخاذلين، وبان هذا التخاذل هو الذى شجع إسرائيل ووفر لها الأرضية لاستباحة دم الفلسطينيين، وبين هذا وذاك ضاع الإجماع أو حتى الحد الأدنى من التوافق حول الطرف المسئول عن إشعال نار الحرب، وعن سفك دماء المئات من أبناء الشعب الفلسطيني، وتدمير قطاع غزة.

ولو أردنا أن نقيم هذا الوضع بشيء من الموضوعية استجلاء للحقائق واستخلاصا للعبر، فإننا نقول أن لكل أخطاءه، والمسؤولية تقع على الجميع، وإن تفاوتت النسب، واختلفت الأولويات، فإسرائيل لها النصيب والدور الرئيسي والأكبر في المسؤولية، والفصائل الفلسطينية ليست بمنأى عن دائرة المسؤولية، فحركة حماس ليست معفاة ولا حركة فتح ولا قوى «اليسار الفلسطيني»، وكذلك الأمر بالنسبة للعرب، فكيف ذلك ولماذا..؟.

أولا: إسرائيلياً: من حيث المبدأ فان الاحتلال مرفوض بكل أشكاله، ووجوده بحد ذاته كان ولا يزال أساسا لاستمرار ووجود حالة الحرب، انطلاقا من أنه عمل عدواني ومقاومته حق مشروع، وقد استطاعت إسرائيل أن تحوز بعض من الشرعية، وذلك بحكم الأمر الواقع الذى أفضى إليه توقيع العديد من القوى لاتفاقيات معها، إلا أنها لم تكتفي واستمرت في غطرستها المستمدة مما تمتلكه من قوة عسكرية ودعم دولي، في عدوانها على الشعب الفلسطيني، محاولة النيل من آماله في التحرر وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، مستتبعة ذلك بالعديد من الخطايا والأخطاء أهمها:

١- العقلية الإسرائيلية والسلوك السلبي الرافض للآخر، فإسرائيل حتى الآن لم تقر بوجود الشعب الفلسطيني، بل إن هناك بعض التيارات الفكرية المتطرفة والحركات والأحزاب العنصرية التي تطالب بإبادة الفلسطينيين، أو نفيهم وترحيلهم خارج فلسطين، كما أن معظم استطلاعات الرأى تشير إلى إن غالبية المجتمع الإسرائيلي غير جاهز للسلام مع العرب، وتحديدا الفلسطينيين، بل أنهم يرون في السلام نهاية «الدولة إسرائيل»، وكل ذلك بفعل الموروث الثقافي والتغذية الروحية والمنبع الأيديولوجي والعقائدي للأحزاب والنخب الإسرائيلية والصهيونية، والقائمة على الكراهية والعداء للعرب وللآخرين غير اليهود، وبالاستناد إلى ذلك وليس على أرضية سياسية أو أمنية، يأتي التنكر والرفض الإسرائيلي الدائم للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، ومحاولة مصادرتها عن طريق العنف والإرهاب من خلال الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة والمستمرة على مقدرات الشعب الفلسطيني وأبناءه.

٢- أما الخطأ الثاني فيعتبر نتاجاً لسابقه، حيث أسهمت السياسات التعسفية وتهرب إسرائيل من التزاماتها إلى تشويه "العملية السلمية" ونسف أركانها، وهو ما اضعف من تسميهم إسرائيل نفسها "بالمعتدلين" في صفوف الشعب الفلسطيني لحساب صعود نجم "المتشددين" والراديكاليين، بل إن إسرائيل وفي مسعاها إضعاف السلطة الفلسطينية - تحديداً سلطة الرئيس الراحل عرفات - وسحب الأوراق من أيدى المفاوض الفلسطيني، راحت تقصف المقرات الأمنية، وتضرب الأجهزة الأمنية، وتصعد من انتهاكاتها شبه اليومية، عبر الاغتيالات والاعتقالات والتوسع وبناء المزيد من المستعمرات، وتهويد القدس وبناء الجدار العازل، وصولا إلى اغتيال الرئيس عرفات بعد حصار طويل، وهو ما أوقع الساحة الفلسطينية في نوع من الفوضى، وعاد بالدمار على "العملية السياسية"، والتي أصبح المواطن الفلسطيني يرى بأنه لا جدوى من الاستمرار في مفاوضاتها التي لم تحقق للشعب الفلسطيني ما كان ينتظره من انجازات مأمولة، بل إن إسرائيل اتخذتها ذريعة لمزيد من الافتئات على الحقوق الفلسطينية في العودة والحرية والاستقلال، وتعاملت معها على أرضية مفاوضات استسلام تملى من خلالها الشروط لما تعتبره حقوق لها دون أى اعتبار للحقوق المشروعة للطرف الآخر، وأمام هذا الوضع وجدت حركة حماس طريقها إلى صناديق الاقتراع للفوز بانتخابات السلطة الفلسطينية، عبر برنامجها في التغير والإصلاح ورفعها شعار المقاومة، والتي رأى فيها المواطن الفلسطيني البديل عن مفاوضات لا طائل منها.

٣- ممارسة إسرائيل لسياسات العقاب الجماعي، فبعد أن انقلبت إسرائيل على اتفاق أوسلو، ورفضت الإقرار بالحقوق الفلسطينية، وإعطاء أى انجاز للرئيس عرفات والرئيس أبو مازن في إطار العملية السياسية، ما أسهم في وصول حماس إلى رأس السلطة، راحت تشدد إجراءاتها في حصار وتجويع الشعب الفلسطيني، وهو الأمر الذى تحول إلى ما يشبه إعلان الحرب، وخاصة بعد استيلاء حماس على السلطة في قطاع غزة، وبالتالي فقد مثلت الإجراءات التعسفية والسياسات الإرهابية الإسرائيلية التربة الصالحة لنمو التيارات الراديكالية، والتي

وجدت بان العودة والاستمرار فى الكفاح المسلح والمقاومة هو السبيل واللغة التى تفهمها إسرائيل، ومن جهة ثانية، ففى الوقت التى كانت إسرائيل تعلن الحرب على السلطة الفلسطينية وتعمل على تحجيمها وإضعافها، كانت حركة حماس تعزز من نفوذها، وهو النفوذ الذى رأت فيه إسرائيل ولاسيما بعد انقلاب حماس فى ١٤/٦/٢٠٠٧ امتدادا للنفوذ الإيراني، وخاصة بعدما فشلت إسرائيل من إخضاع حماس من خلال الحصار، بل إن الأخير دفع حماس إلى الانغماس أكثر فى الأحضان الإيرانية التى وفرت لها الدعم المادي.

ثانيا: الفصائل الفلسطينية: ولا تقع مسؤوليتها هنا فى دائرة الفعل المباشر للأحداث وإنما تنصب مسؤوليتها فى خانة المسؤولية المباشرة كحاصل لمسيرة تراكمية من الأخطاء التى ارتكبتها هذه الفصائل على مستوى الفكر والممارسة فى طريقة إدارة الصراع مع الاحتلال وتسويقه وذلك على النحو التالي:

١- حركة حماس: ساهمت السياسات الخاطئة وغير المدروسة والمحسوبةلحركة حماس فى تهيئة المناخ الإقليمي والدولي، بداية فى حصار الشعب الفلسطيني، وانتهاء بالعدوان الغاشم والوحشى علية، وذلك عبر مشاركة الحركة فى السلطة، وعدم الاعتراف بمتطلباتها، ثم محاولة الانقلاب الجذرى والمفاجئ على قواعد اللعبة السياسية فى المنطقة والداخل الفلسطيني، من خلال زج القضية الفلسطينية فى حلبة التناقضات والصراعات الإقليمية والدولية، وسعيها الأخذ بزمام أمور الشعب الفلسطينى بطريقة اقصائية واحلالية عبر مصادرة دور منظمة التحرير وفصائلها والانقلاب عليها، وان كانت إسرائيل لا تحتاج إلى ذريعة فعدوانها متواصل ومستمر على الشعب الفلسطيني، ولكن تلك السياسات غير المحسوبة لحركة حماس قد ساهمت بدورها فى توفير الغطاء الذى سهل على إسرائيل ومنحها الذريعة فى مواجهة الرأى العام، والتمادى فى وحشيتها والإمعان فى قتل أبناء الشعب الفلسطينى فى قطاع غزة والضفة الغربية تحت مسميات عدة، منها محاربة الإرهاب، ووقف إطلاق الصواريخ، وهناك العديد من الملاحظات على هذا النهج والسياسات وأهمها:

أ- الانقسام : وهو من العوامل التى تشترك فيها وتتقاسم المسؤولية كل من حركتى فتح وحماس، فمن المسلم به أن للانقسام دور فاعل وأساسى فى إضعاف الصف الفلسطيني، ويصب فى مصلحة الاحتلال الإسرائيلي، وقد ساهم فى إهدار قدر كبير من التضامن العربى والدولى مع القضية والشعب الفلسطيني، حيث أسهم هذا الانقسام فى كشف الغطاء عن الفلسطينيين، وأعطى إسرائيل الفرصة وسهل عليها القيام بعدوانها، وأخطر ما فى الأمر كان ذلك التجاوب الفلسطينى مع الهدف من العدوان، حيث ذهب البعض إلى تحميل حركة حماس المسؤولية عن العدوان، وفى المقابل خرج البعض أيضا متهما السلطة الوطنية فى المشاركة فى العدوان بتوفير المعلومات الاستخباراتية والأمنية للاحتلال الذى نسيه الطرفان وكأن المعركة بين فتح وحماس، فكان الانقسام الساحة والمساحة التى رحبت فى ميدانها وعلى امتدادها النوازع العدوانية الإسرائيلية فى تبرير العدوان، واستغلال حالة التفكك والتصدع الفلسطيني، والاستفراد بكل طرف على حده، ففى الوقت الذى كانت طائراتها تقصف وتقتل فى غزة، كان ابتلاعها وتهويدها للأرض، وحملات الاعتقالات تجرى على قدم وساق وبالتزامن فى الضفة الغربية.

ب- التهدئة: لقد أثبتت ستة أشهر من التهدئة التى التزمت بها حركة حماس وفرضتها على غيرها من الفصائل، بأنها تستطيع إيقاف إطلاق الصواريخ وتحقق الأمن والهدوء لإسرائيل، بل إن حماس وفى سبيل ذلك سحبت السلاح من العديد من الفصائل واعتقلت العديد من كوادرها، واعتبرت - على لسان محمود الزهار احد ابرز قياداتها- أن كل من يطلق الصواريخ على إسرائيل خائن وعميل، وبالتالى فان كانت حماس قد استطاعت فرض التهدئة على الجانب الفلسطيني، فانه ليس بمقدورها إلغائها أو رفض شروط تجديدها على الجانب الآخر (الإسرائيلي)، وهو ما أعطى إسرائيل الذريعة بإمكان تحقيق تهدئة وفرضها على الفلسطينيين، وان لم يتيسر ذلك بالمفاوضات، فبالقوة العسكرية، التى وجدت الكثير من مناصريها فى إسرائيل وحلفائها الدوليين، ولا سيما أن التهدئة قد جاءت مجزوءة لتشمل قطاع غزة وتستثنى الضفة الغربية، أى أنها وصفة شاملة لتكريس الانقسام وتسهيل العدوان تحت ذريعة خرق التهدئة وعدم الالتزام باستحقاقاتها، أو رفض تجديدها الذى يشكل إعلان للحرب بحسب وجهة النظر الإسرائيلية، بل أن اتفاق التهدئة قد أوحى بوجود جيوش متحاربة ومتقابلة، وليس شعب اعزل يسعى لنيل حريته ومنهك من الحصار فى مواجهة احتلال مدجج بأحدث العتاد، وهو فى المقابل ما أعطى لإسرائيل الحجة فى استخدام القوة العسكرية المدمرة والقيام بعدوانها الغاشم ضد الشعب الفلسطينى الذى صور بجهل أو تجاهل سياسى بأنه جيش مقاتل ومدجج بآلاف الصواريخ التى تهدد الأمن الإسرائيلي. فالتهدئة لا تكون قبل الاستقلال ورحيل المستعمر، وهى فى هذه الحالة وصفة جاهزة لاستمرار الاحتلال والحصار والعدوان على الشعب الفلسطيني.

ج- الارتباطات الإقليمية: حيث جاء العدوان فى جزء منه كعرض للقوة وانعكاسا للصراع بين إسرائيل والولايات المتحدة من جهة، وإيران وسوريا من جهة أخرى، ولكن بدماء الفلسطينيين وعلى أرضهم وعبر حركة حماس والتى تعتبر من الأوراق الإيرانية فى لعبة التوازنات الإقليمية فى المنطقة، وهو أيضا الجزء الذى دفع العديد من الدول الإقليمية إلى

التعامل مع العدوان على انه صراع على النفوذ فى المنطقة بين إسرائيل وإيران، بل وعلى حساب الدور الإقليمى لتلك الدول ونفوذها، والتى راحت تنكر على الفلسطينيين هذه المرة حقهم فى المقاومة التى رأت أنها تصب فى المصلحة الإيرانية على حساب مصالح الشعب الفلسطينى وقضيته، بل أن المقاومة استنادا إلى تلك الارتباطات الإقليمية وبدل من أن تكون عامل إجماع عربى أصبحت عامل انقسام وتنازع بين المحاور العربية، وهو ما وجدت فيه إسرائيل الحجة فى عدوانها على غزة وضرب حركة حماس بوصفها (قاعدة للنفوذ الإيراني).

د- تدنى السقف السياسى لحركة حماس: والتى أصبحت احد أهدافها الاستقلال بقطاع غزة، أو كما يصفه البعض (إمارة غزة)، وذلك بمعزل عن المشروع الوطنى الفلسطينى الجامع، وهو ما رأت فيه إسرائيل الفرصة لإمكانية الضغط بالقوة العسكرية لتحقيق المزيد من التنازلات والتى قد تكون أكثر من تلك التى تقدمها السلطة الفلسطينية، وبما يحرج المفاوض الفلسطينى ويحقق المزيد من المكاسب لإسرائيل على الجانب السياسي، وخاصة بعدما طرحت حماس نفسها صراحة كبديل عن منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعى للشعب الفلسطيني، وأعلنت استعدادها قبول دولة فى حدود الـ٦٧، بل وطالبت من الإدارة الأمريكية والاتحاد الأوروبى وعلى لسان رئيس مكتبها السياسي، باعتمادها كمفاوض بديل عن الرئيس محمود عباس وفريقه.

٢- حركة فتح: ويقع على عاتقها المسؤولية التاريخية والآنية، انطلاقا من أنها كبرى الفصائل فى منظمة التحرير الفلسطينية، والرافعة الأساسية فى حركة التحرر الفلسطيني، والتى تراجع أداءها، وتخلت عن دورها الريادى بفعل الأزمة على صعيد الأداء والفكر والممارسة، أو ما يمكن أن نسميه بالفساد الإداري والترهل التنظيمي والضمور السياسي:

أ- إداريا: أصبحت الحركة مرتعا للمفسدين والفاسدين أصحاب النوازع الانتهازية، ولما كان هناك تماهى بين السلطة وحركة فتح، ذابت الأخيرة فى أجهزة السلطة ومؤسساتها والتى أصبح التعين وارتقاء سلمها لا يتم وفقا للمعاير والاعتبارات الوطنية، كالتاريخ النضالى والانتماء الوطنى والكفاءة، وإنما على أساس المحسوبية والواسطة والولاءات الشخصية والمصلحية والانتماء إلى ذلك الجهاز أو ذاك داخليا وخارجيا، بل وأصبح الطمع فى الرتبة والراتب أساس الانضمام لحركة فتح كمعبر للدخول فى السلطة، ففتح التى صمدت مع باقى فصائل المنظمة ٨٨ يوما فى بيروت أمام جيش من أعتى الجيوش تسليحا وتدريبا، نجدها اليوم تهزم فى غزة بظرف ساعات أمام عناصر من (المليشيات المسلحة بأسلحة خفيفة ومتوسطة).

ب- تنظيميا: أصيبت الحركة بداء (شيخوخة الأحزاب)، فأصبح هناك هوة واسعة بين قواعدها وأطرها القيادية، حيث توقفت الاجتماعات والمؤتمرات، وتعطلت الحياة التنظيمية، وباتت المراكز العليا فى الحركة تشغل بالتعين وحكرا على المسئولين وأبناءهم وأقاربهم والموالين لهم، فالمجلس الثورى واللجنة المركزية دائرة مغلقة على فئة معينة وبعينها، ترفض التجديد أو المساس بمكتسباتها، وهو ما حرم الكثيرين ممن تربوا فى قواعد الحركة ومواقعها ويؤمنون بمبادئها وثوابتها من أبناء الحركة وكوادرها والمناضلين فى صفوفها، ولا سيما الشباب منهم من إمكانية العطاء، وهذا بالتالى ما أطفئ شعلة الحماس والاندفاع ونار الفداء والذين هم المحرك الأساسى فى حركة التحرير والبناء.

ج- سياسيا: تماهت الحركة مع السلطة فذابت فى مرجعياتها وهيكليتها كما ذكرنا، وانزوت خلف منطلقاتها ومفاهيمها، فأصبح الموقف السياسى للحركة ينعكس ويأخذ من تصريحات رجالات السلطة ومواقفهم، وهم المحكومين فى ذلك بالاتفاقات والالتزامات التى تفرضها التفاهمات مع الاحتلال، وبالإطار والسقف السياسى لعملية السلام " العملية السياسية "، ومنذ قيام السلطة الوطنية وقعت الحالة الفلسطينية بزعامة حركة فتح فى نوع من ازدواجية المرجعيات، وتجاذب العقل الفلسطينى عقلية الثورة الساعية إلى التحرر والانعتاق من الاحتلال من جهة، ومنطق الدولة الساعية للاستقلال والسيادة من جهة ثانية، وتحول مركز الثقل إلى السلطة الفلسطينية فى ظل غياب وتهميش لمنظمة التحرير، بل إن اخطر ما فى هذا الأمر هو غياب الحدود بين الهيئتين، والاستخدام الوظيفى لمنظمة التحرير التى تم تعطيل أطرها وأجهزتها، إلا بما تملية اعتبارات القيمة الاستخدامية للجنتها التنفيذية، هذا بالإضافة إلى تدنى الخطاب السياسى للحركة، فبعد أن كان هذا الخطاب فى البدايات خطاب شعبوى يتوجه إلى الجماهير الفلسطينية والعربية والإسلامية دون الاكتراث بالمطالب الدولية، أصبح الآن خطاب نخبوى يتوجه فى معظمه إلى العالم الخارجي، أى انه مازال خطاب بعين واحدة، بل أن الخطاب السياسى للحركة أصبح جزء من خطابات رجالات السلطة والذين بات السلام بما يعتريه من غموض وفهم مغلوط هدف استراتيجى وليس هدف تكتيكيا- التضحية بالهدف بالاستراتيجى مقابل الهدف التكتيكي- واختفى من ذلك الخطاب كل مفردات المقاومة ومعانيها والتى هى إلى جانب الحق وقرارات الشرعية الدولية تعتبر رافعة العمل السياسي، فأصبحت الدولة الفلسطينية فى حدود الرابع من حزيران ليست وسيلة على طريق نيل الحقوق الوطنية الفلسطينية، بل غاية الغايات، وآخر الطموحات، والهدف النهائى والوحيد للشعب الفلسطيني، وذلك بغض النظر عن شكل هذه الدولة وارتباطاتها وصلاحياتها وموقعها فى النظام الإقليمى والدولي.

كل ذلك أدى إلى انكفاء الحركة وتأكل شعبيتها وانحصار فكرتها النضالية لصالح منطق السلطة والتسلط، وتراجع دورها فى توجيه دفة الحياة السياسية على الساحة الفلسطينية التى أصبحت مكشوفة للتدخلات الإقليمية والدولية، وسهل اختراقها من الداخل بما افرز الانقسام وعمليات الفصل والعزل، وأضاع القرار الفلسطينى الذى أصبحت تتنازعه الأهواء والمصالح الشخصية والإقليمية التى وضعت بدورها الشعب الفلسطينى فى معركة سعت إليها إسرائيل وبحسابات دقيقة لتشن عدوانها على قطاع غزة متسلحة بمبررات منحتها لها ضعف الحالة الفلسطينية، ومدعومة بتأييد إقليمي ودولي.

٣- قوى اليسار الفلسطيني: والتى تعانى أيضا من أزماتها الداخلية وتراجع أداءها واكتفاءها بالفعل المقاوم الموسمي، والمناهضة السياسية السطحية، وهى لم تتمكن على الأقل من صياغة برنامج وطنى مشترك بين فصائلها يتعاطى مع المستجدات، ويبرز رؤاها فى إدارة الصراع ووسائل حله.

ثالثا: الدول العربية: لا شك أن فى الوضع العربى انعكاس على الواقع الفلسطينى بكل تجلياته، فالتفكك العربى أرخى بضلاله على الساحة الفلسطينية، وأصبح جزء أساسيا من انقسامها، الذى راحت تدعم أطرافه دول عربية توزعت بين وصف المعتدلة والممانعة، وقد أصبح من المعروف والمسلم به أن فى التفكك العربى دائما ما وجدت إسرائيل الفرصة والعامل المشجع والسبب والدافع لانتشار عدوانها فى أرجاء المنطقة العربية وشموله لبنان وفلسطين والعراق والسودان، وهو العدوان الذى يزداد وحشية وبربرية كلما ازداد تشرذم النظام العربى واستفحل الخلاف والاختلاف بين أركانه.

ومع غياب الدور القائد والمحورى فى النظام العربى جراء تنازع السياسات الوطنية الضيقة، والغايات الشخصية للزعامات العربية، أصبحت الساحة العربية مكشوفة للتدخلات الإقليمية والدولية، ولاسيما الإيرانية التى راحت تملئ الفراغ وتزيد من نفوذها على حساب الأقطاب العربية، ومع غياب المشروع العربى وعدم خروج السياسات العربى عن إطار رد الفعل، أصبح المشروع الإيرانى هو الأكثر قبولا فى المنطقة من العديد من أطرافها. وهو ما وجدت فيه إسرائيل الوسيلة للاستقواء بالأطراف العربية ضد بعضها، بإعادة ترتيب الأولويات، وذلك بتصوير أن التناقض الأساسى ليس مع العدو الصهيونى بل مع التغلغل الشيعي، وبان الصراع ليس مع الاحتلال بل هو صراع مذهبى سنى - شيعي، فاستغلت النفوذ الإيرانى فى المنطقة وارتباطات البعض وتوجس بعض القوى منه، لتصور أن هجومها على غزة يأتى فى إطار التصدى للتغلغل والنفوذ الإيراني.

أما على صعيد الحساب: ففى ظل العجز العربى وعدم القدرة على كبح جماح غرور القوة الإسرائيلي، تظل وحدة الصف العربى والفلسطينى هى أولى الضمانات فى التصدى لسياسات العنجهية والوحشية الإسرائيلية، ويجب أن يفهم القادة الفلسطينيين بأنهم إما أن ينهوا انقسامهم ويتجاوزوا خلافاتهم، وإما أن يرحلوا ويغادروا الصف الفلسطيني، وان كان العنوان الأبرز لنتائج حوارات القاهرة هو إدارة الأزمة وليس حلها، فواقع الحال والقراءة المبدئية لثمرة هذه الحوارات لا تدعونا للتفاؤل، برغم الأزمة التى يعانى منها طرفى الانقسام على الساحة الفلسطينية، وبرغم الجهود التى تبذلها القاهرة وما تمارسه من ضغوط، وذلك انطلاقا من عدة أسباب أهمها:

١- اتساع الهوة بين مواقف الأطراف بشان القضايا الخلافية.

٢- تناقض المصالح الشخصية للنخبة السياسية فى الفصائل الفلسطينية، ولاسيما فى حركتى فتح وحماس.

٣- تناقض المحاور، والروافد السياسية لطرفى النزاع والانقسام الفلسطيني.

٤- انتشار الخلاف إلى مجمل مفردات العمل السياسى والاجتماعي، بالإضافة إلى البعد العقائدي.

٥- تدنى البعد الوطنى فى العقيدة الشخصية للنخبة السياسية، والتراجع فى المشروع الوطنى لحساب المشروع الذاتى فى الذاتية الشخصية لتلك النخبة.

٦- عدم القدرة على احتواء تداعيات الانقسام على الصعيد الاجتماعي، بالإضافة إلى عدم وجود ضمانات لمن ارتكبوا عمليات القتل والتجاوزات، وتسببوا بعشرات الإعاقات فى مجتمع مازال الثار احد تقاليده الثابتة.

٧- إن من يفاوض فى القاهرة لا يملك بشكل كامل القدرة على فرض الحلول على ارض الواقع الذى تتحكم بمعظم تجلياته الأجنحة العسكرية وقياداتها.

٨- التدخلات الإقليمية، والدور الإسرائيلى الساعى والمستفيد من بقاء الانقسام.

٩- تفيد التجارب التاريخية أن النزاعات الداخلية عندما يتم الاحتكام فيها إلى السلاح - أى ينتقل التناقض من مرحلة النزاع إلى مرحلة الصراع التناحرى - وخاصة فى المجتمعات غير الديموقراطية والتى تسود فيها ثقافة الإقصاء وعدم تقبل الآخر، فإنها لا تحسم إلا بالسلاح، وغالبا ما يكون الفشل مصير الحوارات والمصالحات، ولاسيما عندما تتناقض المصالح وتختلف التحالفات.

وهو ما يعنى انه حتى وفى حال تم التوقيع على اتفاق، فان ذلك يخفى الصراع ولا يزيله، فما زالت المصالح الشخصية والمواقف السياسية المرهونة لطرفى الصراع على طرفى نقيض، والشعب الفلسطينى وقضيته آخر همهم، ويبقى الثمن المدفوع وهو من معاناة الشعب الفلسطيني.

◆مصطلحات عبرية◆

■ إعداد: وحدة الترجمة

١ - هامليتس: الفصيح

أول صحيفة عبرية تصدر فى روسيا.. تأسست عام ١٨٦٠ على أيدى ألكسندر تسدربويم.. وقد تحدثت هذه الصحيفة باسم حركة التثقيف، وبعد قيام حركة "بيلو" (حركة هجرة كان معظم أعضائها من طلاب الجامعات اليهود فى روسيا، والذين تركوا مقاعد الدراسة وانضموا إلى الدعوة للهجرة إلى فلسطين) أصبحت الصحيفة هى الناطق الرسمى باسم حركة «حيبات تسيون» أو «أحباء صهيون» التى تأسست فى روسيا عام ١٨٨١.

وقد صدرت كمجلة أسبوعية وكصحيفة يومية إلى أن توقفت عن الصدور عام ١٩٠٤.

٢ - هانوعر هعوفيد فهلوميد: الشباب العامل والمتعلم

منظمة عامة تشكلت من الشبان اليهود فى فلسطين، وكانت تابعة لنقابة العمال العامة.. أسسها عام ١٩٥٩ اتحاد نقابة الشباب العامل الذى تأسس عام ١٩٢٤ مع حركة البناة / الحركة الموحدة، وهذه المنظمة تحاول حماية الشباب العامل من الاستغلال عن طريق سن القوانين المناسبة، وقد أقام أعضاء هذه المنظمة العديد من المستعمرات الزراعية من بينها مستعمرة ناعن.

ومنذ اتحاد نقابة الشباب العامل مع حركة البناة/ الحركة الموحدة عام ١٩٥٩ أصبحت هذه المنظمة تسمى حركة الشباب العامل والمتعلم.

ونقابة الشباب العامل والمتعلم تعتبر أكبر نقابة فى إسرائيل، ويزيد عدد أعضائها عن ١٠٠ ألف منهم ٤٥ ألفاً من المدارس المهنية، وتضم هذه النقابة فى عضويتها أبناء المستعمرات الزراعية، وشبان اتحاد الكيبوتسات، والكيبوتس الموحد، وشباب عمال من الوسط العربى.

٣- مسراد إيرتس يسرائيلي: مكتب أرض إسرائيل

مكتب تابع للهستدروت الصهيونية العالمية عمل على تخطيط وتنفيذ نشاطاتها العملية فى فلسطين.. أقيم هذا المكتب فى يافا عام ١٩٠٨ برئاسة «د. أرتر روبنسي» الذى أدخل العمل العملى فى فلسطين إلى آفاق جديدة لخلق اقتصاد وطنى واستيطان تعاونى.

وقد أدار المكتب المزارع الموجودة فى بن شيمن، وطبريا، وحولده، حيث أعدوا فيها عملاً للاستيطان واختبروا طرقاً جديدة لتطوير الزراعة العبرية الحديثة.

٤- عزرا/ حفرت: شركة المساعدات

رابطة كانت مهمتها تقديم المساعدات ليهود ألمانيا وتقديم العون والمساعدة ليهود أوروبا الشرقية ودول الشرق الأدنى، وتنظيم هجرتهم إلى دول أخرى.

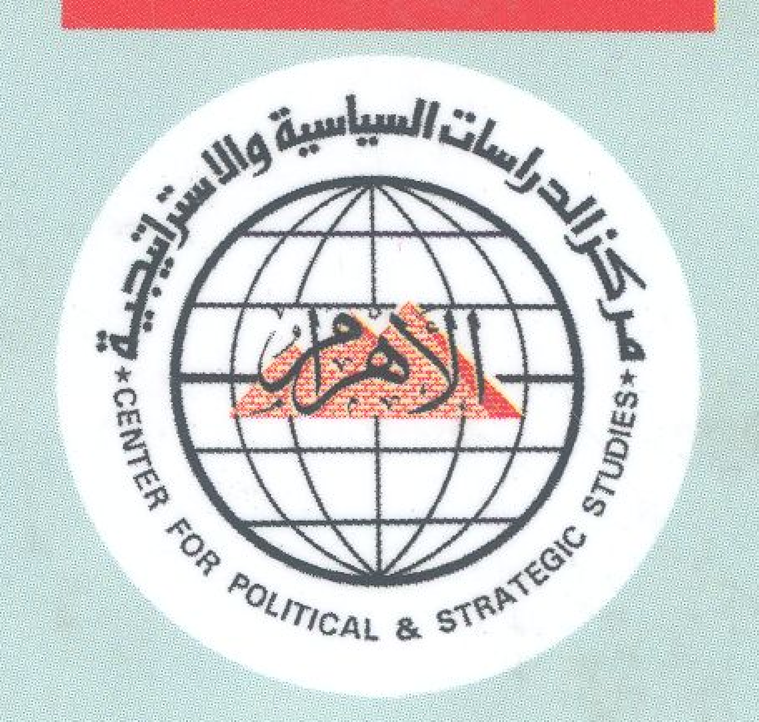
وقد أقيمت هذه الشركة فى برلين عام ١٩٠١. وقد قامت حتى الحرب العالمية الأولى بتقديم المساعدات لليهود الذين تضرروا فى روسيا وغيرها من الدول. وقد ساعدت هذه الشركة بإقامة أحياء سكنية للعمال قرب راحوفوت، وكفار سابا، وساعدت أيضاً فى تهجير يهود اليمن إلى فلسطين إبان الهجرة الثانية.

الصحف الرئيسية فى إسرائيل

م	اسم الصحيفة	معناهاباللغة العربية	تاريخ التأسيس	الجهة المؤسسة	أعداد التوزيع
١	يديعوت أحرونوت يومية	آخر الأخبار	١٩٣٩	ملكية خاصة لعائلة موزيس الإعلامية	الصحيفة الأكثر توزيعاً فى إسرائيل إذ يقرأها حوالى ثلثى قراء الصحف العبرية، حيث توزع ٣٠٠ ألف نسخة يوميا و ٦٠٠ ألف نسخة للعدد الأسبوعى الجمعة
٢	هاآرتس يومية	الأرض	١٩١٩	مالكة هذه الصحيفة هى كتلة الإعلام شوكين	العدد اليومى (٦٥ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٧٥ ألف نسخة)
٣	معاريف يومية	صلاة الغروب	١٩٤٨	ملكية خاصة لعائلة نمرودى الإعلامية	العدد اليومى (١٦٠ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٢٧٠ ألف نسخة)
٤	هاتسوفيه يومية	المراقب	١٩٣٨	المفدال الحزب الدينى القومى	العدد اليومى (٦٠ ألف نسخة)
٥	جيروزاليم بوست	بريد القدس	١٩٢٣	ملكية خاصة لمجموعة جريشون أجررون	العدد اليومى (٣٠ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٥٠ ألف نسخة) (توزع يوميا طبعة دولية فى أمريكا الشمالية وطبعة أسبوعية باللغة الفرنسية فى أوروبا)
٦	جلوبس يومية اقتصادية	-	١٩٨٣	شركة جلوبس لتونوت للنشر التى تمتلكها مجموعة مونتين	٤٠ ألف نسخة
٧	هاموديع يومية	المخبر	-	حزب أجودات يسرائيل	العدد اليومى (٢٥ ألف نسخة) توزع نسخة أسبوعية باللغة الإنجليزية

رقم الإيداع ٣٠٠٦ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 227 - 229 - 6

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



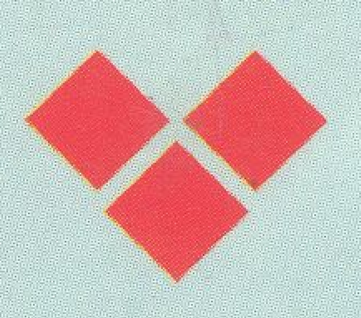


النشاط والأهداف

انشئ المركز فى عام ١٩٦٨ كمركز علمى مستقل يعمل فى إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعى العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والاقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وأيضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة الاف جنيه للهيئة وخمسة الاف جنيه للأفراد).



مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر